القضية الأرمنية

فى الدولة العثمانية

١٨٧٨ - ١٩٢٣

دكتور
محمد رفعت الإمام


منتدى سور الأزبكية



القضية الأرمنية

فى الدولة العثمانية

١٨٧٨ ـ ١٩٢٣

دكتـور
محمد رفعت الإمام

القاهرة ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ٧٠١٣ / ٢٠٠٢
طبع بدار نوبار للطباعة

فهرست
القضية الأرمنية
فى الدولة العثمانية
١٨٧٨ ـ ١٩٢٣

إهـداء

إلى الشعب الفلسطينى

مأساة متكررة

مصرى عربى

مقدمة

مقدمة

عاش الأرمن فى مصر منذ عصور تاريخية قديمة ، ولازالوا . بيد أن تاريخ هذا الشعب محوط بضبابية كثيفة مخيمة على المشهد المعرفى المصرى ، وربما العربى ، لاسيما أم قضاياه الكبرى ألا وهى : الإبادة العرقية *Genocide* التى اقترفتها السلطات الحكومية العثمانية فى أطوارها الحميدية والاتحادية والكمالية ضد الجنس الأرمنى فى الدولة العثمانية بغية تحقيق تناغم رفيع المستوى فى التركيبة الإثنية للبناء الطورانى وقوامه : « قومية واحدة وجنس واحد » .

بيد أن هذا المشروع القومى قد اصطدم بوجود العناصر غير التركية فى الدولة العثمانية لاسيما الأرمن الذين يُشكلون عقبة عرقية - دينية ، سياسية - فكرية ، اقتصادية - اجتماعية فى وجه المشروع الطورانى . ولذا ، فرضت الحتمية المصلحية الذاتية على القيادات السياسية والفكرية التركية (العثمانية) ضرورة التخلص جذرياً من الأرمن ؛ العنصر الغريب فى البنيان القومى التركى ، وما نجم عن ذلك من ممارسات قمعية واضطهادات عنفية وترحيلات جبرية ومذابح دموية وشتاتية مريرة .

ولما كانت الحقيقة التاريخية عن القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية تعتورها الضبابية والتضاربية والتناقضية فى المعرفية العربية ، فقد حملتُ على عاتقى أوزار دراسة هذه القضية الملبدة بالغيوم لاستجلاء أبعادها وتطوراتها وأصدائها قدر استطاعتى .

وتجدر الإشارة إلى أن اهتمامى بهذه القضية ممتد منذ إعداد رسالتى للماچستير فى كلية الآداب جامعة المنصورة عن « الأرمن فى مصر فى القرن التاسع عشر » حيث تعرضتُ إليها لأنها كانت أحد أهم دوافع النزوح الأرمنى إلى مصر منذ منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر . أما هذا الكتاب ، فأصله هو الفصل الأول من أطروحتى للدكتوراة عن « الأرمن فى مصر ١٨٩٦ - ١٩٦١ » ، وأجازتها جامعة عين شمس بدرجة « مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبعها على نفقة الدولة » تحت إشراف الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر . وقمتُ بتعديلات شاملة وإضافات جديدة لتخرج الدراسة على النحو الذى بين يدى القراء الكرام .

ويرجع اختيار سنى الدراسة بين عامى ١٨٧٨ ـ ١٩٢٣ إلى أن سنة البدء تُمثل نقطة تحول فى مسار القضية الأرمنية من سمتها المحلية العثمانية إلى طبيعتها الدولية بموجب المادة « ٦١ » من معاهدة برلين . أما سنة الختام ، فقد سجلت شهادة وفاة القضية الأرمنية رسمياً فى معاهدة لوزان .

هذا ، وقد اعترضت الدراسة عدة صعوبات جمة تبوأت قمتها الطبيعة التعقيدية المتداخلة والمتشابكة لبنائية القضية الأرمنية وحيثياتها وملابساتها . كما أن المرجعيات المتباينة تتعامل مع منظومة هذه القضية من منطلق ثابتين جد متناقضين ؛ أولهما رفضى تبريرى عثمانى ـ تركى ، وثانيهما إثباتى تقريرى أرمنى .

ولعل هذا يتبلور بوضوح فى إشكاليات مصادر الدراسة التى تعددت فى لغاتها بين العربية والمعربة والإنجليزية والأرمنية ، وتنوعت فى أشكالها بين الوثائق والدراسات والبحوث المختلفة ، وتباينت رؤاها الأيديولوجية بين أقصى النقيضين بلا وسطية مما استلزم جهداً فائقاً فى صياغة البنية البحثية وتركيب الصورة الحدثية وتحليلها على النحو الذى خرجت به الدراسة .

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول رئيسية تسبقها مقدمة وتُنهيها خاتمة وثلاثة ملاحق .

يرصد الفصل الأول « الحميديون والأرمن ١٨٧٨ ـ ١٩٠٩ » وضعية الأرمن فى الدولة العثمانية منذ الاستيلاء على المناطق الأرمنية التى سُميت بـ « أرمينية العثمانية » مروراً بانبعاث اليقظة الفكرية الأرمنية وانبثاق الطموحات السياسية الأرمنية وانتهاءً بتحول المسألة الأرمنية إلى قضية دولية عقب مؤتمر برلين ١٨٧٨ وما تمخض عنها من ردود فعل أرمنية وإقليمية ودولية أدت إلى اندلاع المذابح ضد الأرمن إبان عهد السلطان عبد الحميد الثانى . كما يُواصل هذا الفصل رصد العلاقات الأرمنية ـ العثمانية حتى نشوب الانقلاب العثمانى وسقوط الحميدية .

ويستعرض الفصل الثانى « الاتحاديون والأرمن ١٩٠٩ ـ ١٩١٨ » نمو النزعة القومية التركية وتضخمها بالدرجة التى دفعت الاتحاديين إلى اجتثاث العرق الأرمنى الشاذ كيانياً عن المنظومة البنيوية التركية . وبذا ، اقترف الاتحاديون أول جريمة إبادة عرقية فى القرن العشرين . كما تتبع الفصل ميلاد أول جمهورية أرمنية فى التاريخ الحديث عام ١٩١٨ وظروف ميلادها وتطورها حتى نهاية الاتحادية .

وُيتابع الفصل الثالث « الكماليون والأرمن ١٩١٩ ـ ١٩٢٣ » ظهور الكمالية وتكريس الذاتية التركية وأثرها على كيانية الشعب الأرمنى . كما يرصد الحروب الكمالية فى الأناضول وما وراء القوقاز وانضمام « أرمينية » إلى الكتلة البلشفية واغتيال القضية الأرمنية على مائدة لوزان عام ١٩٢٣ .

وتُبلور الخاتمة أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة . أما الملاحق ، فيتناول أولها سلسلة خرائط توضيحية لمسارات التاريخ الأرمنى والمحطات الفاصلة على الخريطة السياسية الأرمنية . ويرصد ثانيها أهم أحداث القضية الأرمنية فى تتابع زمنى . أما ثالثها ، فمخصص للتعريف بتراجم الشخصيات الأرمنية ذوات الفعالية فى تاريخ القضية الأرمنية . وقد اقتصرت هذه التراجم على الشخصيات الواردة فى الكتاب فقط سواء بالمتن أو الهوامش .

ولا يسعنى فى النهاية إلى أن أُقدم وافر شكرى وتقديرى وإعزازى لكل من أسهم فى إخراج هذا الكتاب . وأخص بالذكر أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق الذى شرّفنى بالإشراف على أطروحتى للدكتوراه ، والأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بآداب الإسكندرية ، والأستاذ الدكتور طلعت إسماعيل رمضان أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بآداب المنصورة اللذين تفضلا بمناقشة الرسالة والحكم عليها .

كما أوجه عميق شكرى للأستاذ بيرج ترزيان رئيس « جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة » والأستاذ هوفهانيس دير بدروسيان رئيس تحرير جريدة « أريف » الأرمنية المصرية اليومية . ولا يفوتنى إبداء تقديرى لـ « جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة » لما تبذله من جهود ثقافية على مستوى الثقافتين الأرمنية والمصرية .

وعلى الله قصد السبيل

د . محمد رفعت الإمام

حدائق المعادى ـ القاهرة

٢٣ فبراير ٢٠٠٢

الفصل الأول

الحميديون والأرمن

١٨٧٨ - ١٩٠٩

١ ـ الأرمن العثمانيون : الملة الصادقة

٢ ـ اليقظة الفكرية : الذات الأرمنية

٣ ـ القضية الأرمنية : الاستثمار الدولى

٤ ـ مذابح ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ : نحر أمة

٥ ـ فشل الثورة الأرمنية : إجهاض الأمانى

١ - الأرمن العثمانيون : الملة الصادقة

شملت المنطقة التى عُرفت تاريخياً بـ « أرمينية القديمة » مساحةً شاسعةً تحدها آسيا الصغرى من الغرب وسلسلة جبال القوقاز من الشمال ، والبحر الأسود من الشمال الغربى ، وبحر قزوين (كاسبيان) من الشمال الشرقى ، وأرض فارس من الجنوب الشرقى (خريطة رقم « ١ ») . (١) وجدير بالذكر أن موقع أرمينية جغرافياً قد جعل منها « قلعةً طبيعيةً » أغرت الغزاة مراراً وجعلتها منطقة صراع بين الإمبراطوريات المتنافسة عبر التاريخ بسبب موقعها الجغرافى - الإستراتيجى على مفرق الطرق التجارية والعسكرية بين أوربا وآسيا . (٢)

وهكذا ، غدت أرمينية مسرحاً للعمليات الحربية بين الدولتين المتصارعتين التركية العثمانية السنية (١٣٠٠ - ١٩٢٤) والفارسية الصفوية الشيعية (١٥٠٢ - ١٧٣٦) مما أسفر عن تقسيم أراضيها فيما بينهما . فقد خضعت أرمينية كلها للدولة الصفوية بين عامى ١٥٠٢ - ١٥١٤ حينما تمكن السلطان العثمانى سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) من الاستيلاء على غربى أرمينية بعد هزيمة الصفويين فى معركة جالديران عام ١٥١٤ . (٣) وفى عام ١٥١٦ استولى نفس السلطان على أرمينية الصغرى (قيليقية : خريطة رقم « ٢ ») الواقعة تحت حكم سلاطين المماليك بمصر منذ عام ١٣٧٥. (٤)

ثم تكررت الحرب سبع مرات بين الدولتين الصفوية والعثمانية منذ عام ١٥٣٤ حتى عام ١٦١٦ مما أدى إلى تقسيم أرمينية إلى قسمين : شرقى وغربى . (٥) إذ أُطلق اسم « أرمينية الشرقية » أو « الفارسية » على المنطقة الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر آراكس (الرس) . (٦) وتضم مدن يريڤان وناخيتشيڤان وجنزه وإيتشميادزين - المركز الروحى للأرمن - وإقليم آراراد . ومنذ عام ١٨٢٨ استولت روسيا القيصرية (١٥٣٣ - ١٩١٧) على أرمينية الشرقية وصارت تُسمى « أرمينية الروسية » . (٧)

أما اسم « أرمينية الغربية » أو « العثمانية » فقد أُطلق على ست ولايات هى : بيتليس (بدليس) جارين (أرضروم) ، ڤان (وان) ، خربوط (معمورة العزيز) ،

سيڤاس (سيواس) ، جزء من دياربكر (خريطة رقم « ٣ ») . (٨) وهكذا ، سيطر العثمانيون على ست ولايات أرمنية إضافةً إلى قيليقية . وقد أدى تقسيم أرمينية إلى شرقية وغربية إلى تطور كل من قسميها تطوراً مستقلاً .

هذا ، وقد تم تنظيم الرعايا غير المسلمين وفقاً للنظام الإدارى العثمانى فى هياكل شبه مستقلة تُسمى « ملل » *Millets* تحل محل السلطة المباشرة لحكومة السلطان وتُمثل بؤرة التمركز الاجتماعى . واعترف العثمانيون بملة الأرمن الأرثوذكس فى عام ١٤٦١ . (٩) ولما كان الجاثليق *Catholicos* - الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية - يُقيم فى إيتشميادزين الواقعة ضمن أرمينية الشرقية خارج نطاق الدولة العثمانية ، فقد أسس محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) بطريركية أرمنية بالأستانة *Istanbul* فى نفس العام. وأصبح البطريرك الأرمنى مسئولاً عن الموظفين والإدارة الروحية والتعليم العام والمؤسسات الدينية والخيرية لملته . (١٠)

ومنذ البداية ، أدرك العثمانيون ذكاء الأرمن ومهارتهم ، فنقلوا إلى الأستانة حوالى « ٤٠ » ألفاً ليُنافسوا الأروام (اليونانيين) فى الحرف والتجارة والفنون فترقى . وتوافدت أفواج أرمنية إلى الأستانة ، عدا الذين سبق أن سكنوها قبلاً ، وعدا الذين يعملون فيها مؤقتاً . (١١)

كما تكونت بالأستانة شريحة من الأرمن الأثرياء الذين تعاونوا مع الحكومة العثمانية وتلقبوا منذ منتصف القرن الثامن عشر بلقب « أميرا » *Amira* . (١٢) وقد عمل معظمهم صيارفة ، وتقلدوا نظارة دار سك العملة السلطانية التى احتكرها أمراء أسرة دوزيان . وكان بعضهم جواهرجية وصاغة أمدوا أسرة السلطان وحاشيتهم بحوائجهم من الأحجار الكريمة والجواهر مثل أمراء أسرة يراميان . وأسهم الأمراء الأرمن فى إدارة المشروعات الصناعية القليلة بالأستانة والأقاليم مثل أمراء أسرة آربياريان الذين تقلدوا إدارة مناجم الفضة وأمراء أسرة داديان الذين تقلدوا إدارة مصانع البارود السلطانى والنسيج والورق . وكذا ، تقلد أمراء أسرة باليان وظيفة « معمار باشى السلطان » ؛ أى كبير المعماريين . (١٣)

وانخرط الأرمن فى الهيكل الوظيفى العثمانى ، فتقلدوا أعلى الوظائف بسبب

استعداداتهم لخدمة الدولة وذكائهم وجديتهم وافتقارهم إلى طموحات الاستقلال . وتُشير إحصائية عن موظفى الأرمن فى الحكومة العثمانية إلى وجود «٢٢» وزيراً عملوا فى الخارجية والمالية والخزانة والأشغال العامة والبريد والتلغراف ، وخمسة وكلاء وزارات ، وقناصل فى برلين وروما ولندن وبروكسيل وڤيينا . ناهيك عن المستشارين والسكرتيريين والمترجمين والمديرين وغيرهم . (١٤)

وهكذا ، أضحت الأستانة مركزاً اقتصادياً وثقافياً وسياسياً للأرمن الذين نعموا برعاية السلاطين حتى حكم عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٩) ونالوا مساعدتهم حتى غدوا من أرقى العناصر . بيد أن وضعية أقرانهم فى الولايات الست وقيليقية كانت على النقيض تماماً .

عاش الأرمن فى ولايات أرمينية الغربية ، عكس أقرانهم فى أرمينية الشرقية ، مشتتين عبر مساحات كثيرة واسعة ويفصل بينهم عدد من المستوطنات الكردية والتركية أو المراعى . وكان معظم الأرمن فى هذه الولايات أميين يتحدثون اللغتين الأرمنية والتركية بلهجات محلية ، وتشبثوا بتقاليدهم المحلية وعاداتهم الدينية . (١٥)

كانت منازلهم صغيرة مبنية من الطوب اللبن ويتوسطها التنور . وتبدو صورة القرية الأرمنية على هيئة منازل عشوائية متناثرة . ورغم الحذر من الغارات الكردية ، عاشت عائلات أرمنية فى جوار حميم معهم فى منازل متلاحمة ذوات أزقة مغطاة وأسقف متماسة طالما كانت الدولة قوية وواسعة . وقد أدى الشعور بعدم الأمان إلى زواج الفتاة الأرمنية فى سن مبكرة - غالباً من الثالثة عشر حتى الخامسة عشر - وحرص الأرمن من الجنسين على الاختلاط بجيرانهم المسلمين مرتدين ملابس مشابهة لهم . أكثر من هذا ، ارتدت الأرمنيات البراقع فى جهات متباينة بالولايات الأرمنية العثمانية . (١٦)

وبعامة ، كان الأرمن فى الدولة العثمانية - لاسيما الولايات - مطوقين وسط عالم متنوع القوميات والأديان . ونظراً لأنهم احدى أقليات الدولة ، فقد فُرض عليهم التمييز رسمياً وعُوملوا بكونهم مواطنين من الدرجة الثانية . وقد ظهر هذا فى عدم قبول شهادتهم فى المحاكم وحظر حمل السلاح عليهم وإلزامهم بأداء الجزية . ورغم مختلف

الضغوط التى مابرحت تُثقل كاهل الفلاحين العُزل ، إلا أن كثيراً منهم قد تشبثوا بوطنهم الأم ، وارتضوا العمل فيه مزارعين أو محاصصين تحت سيطرة نخبة من الإقطاعيين والعسكريين العثمانيين . [١٧]

وعندما انهارت بنية الدولة العثمانية إدارياً وعسكرياً ومالياً تحت وطأة الفساد الداخلى والتحديات الخارجية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، تعالت أصوات بعض العثمانيين الأحرار بأن استمرار دولتهم منوط بالإصلاح مما تمخض عنه ما عُرف بـ « التنظيمات » (١٨٣٩ – ١٨٧٦) . [١٨] فى هذا الاطار ، أصدر السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩ – ١٨٦١) خطى « كلخانه » فى ٣ نوفمبر ١٨٣٩ و « همايونى » فى ١٨ فبراير ١٨٥٦ وبمقتضاهما : كَفَّلَ أمن الرعايا المسيحيين وحيواتهم وأعراضهم وملكياتهم . وألغى ضريبة القرعة العسكرية وأصبح المسيحيون مؤهلين للخدمة العسكرية ولكن مع حرية شراء الإعفاءات ، وفتح الوظائف المدنية أمام جميع الرعايا ، وكبح جماح السلطة الدينية لرؤساء الملل على نحوٍ صارم . [١٩]

ورغم الضجيج الذى ثار حول التنظيمات ، فإنها عملياً لم تُؤد إلى أى تحسين فى الحياة اليومية للعوام خاصة الريفيين الذين لم يستفيدوا منها . بيد أن المراكز الحضرية الرئيسية قد استفادت فقط من هذه التنظيمات . وفعلياً ، لم تُحسن عقود التنظيمات أحوال الأرمن الغربيين بل زادتها سوءاً . إذ امتعض الحكام الأتراك والأكراد من أى تدخل للعاصمة وشعروا أن التنظيمات قد هددت سيطرتهم على القرويين المسلمين والأرمن التابعين لهم . ومن ناحية أخرى ، شجعت التنظيمات رؤساء القرى الأرمنية ورجال الكنيسة فى الأقاليم على إرسال مظالمهم إلى الأستانة بغية إصلاح الأوضاع . ولهذا ، عهدت الحكومة المركزية للحكام من الأغاوات والبكوات والباشاوات التحقيق فى مظالم الأرمن مما عرَّضهم لثأر الحكام . ونجم عن هذا ، إزاحة الأرمن بعيداً عن أراضيهم ، وتزايد عدد الذين فقدوا أراضيهم وهاجروا إلى المدن بشكل ملحوظ بعد عام ١٨٥٦ . أما أكثر الذين بقوا فيُمكن توصيفهم بمثابة رقيق أو أقنان . [٢٠]

ورغم هذا ، كان الأرمن أشد الشعوب المسيحية فى الدولة العثمانية إخلاصاً فى

خدمتها وأخرها فى التحول عن الولاء لها . (٢١) فلا غَرْوَ أن أطلق عليهم العثمانيون لقب « الملة الصادقة » . (٢٢)

❀ ❀ ❀

٢ ـ اليقظة الفكرية : الذاتية الأرمنية

بيد أن ثمة عوامل قد غيرت من سلوك الملة الصادقة . بادئ ذى بدء ، بحلول القرن التاسع عشر نجم عن التغييرات السياسية - الاجتماعية التى دعا إليها المتنورون والثورة الفرنسية (١٧٨٩) فى الدولة العثمانية إدخال الصحافة ووصول الخبراء التجاريين والفنيين الأوربيين . وكانت الأقليات المسيحية ، وعلى رأسها الأرمن ، أول المستفيدين من هذه التغييرات . (٢٣)

وأيضاً ، تَدْخُّلْ الدول الكبرى لاسيما روسيا القيصرية فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية . فقد سعت روسيا إلى كسب أراض عثمانية لمد إمبراطوريتها إلى المياه الدافئة فى البحر المتوسط . ولهذا ، عملت على تقويض القوة العثمانية من الداخل بإثارة الطموحات القومية لدى رعايا السلطان المسيحيين : اليونانيون والسلاف فى البلقان والأرمن فى الأناضول . (٢٤)

وكذا ، تُعد النهضة الفكرية عاملاً قوياً فى اليقظة الأرمنية . كان المخيتاريون أول من أقاموا الاتصال الحقيقى بين الأرمن وأوربا فى العصور الحديثة . (٢٥) فقد اهتم المخيتاريون كثيراً بحفظ الثقافة الأرمنية ، وإحياء دراسة التاريخ الأرمنى واللغة الأرمنية وفقهها . كما ترجموا الكلاسيكيات الأوربية إلى اللغة الأرمنية وكتبوا أعمالاً تاريخية ولغوية وأدبية ودينية معتمدين على المصادر الأصلية باللغتين اللاتينية واليونانية وغيرهما . وجدير بالذكر أن المخيتاريين لم يُمكنوا أوربا أن تطّلع على الماضى الأرمنى فحسب ، ولكن أعمالهم قد وجهت الفكر الغربى شطر الأرمن بالدولتين العثمانية والروسية ، وقامت بدور رئيسى فى صياغة النهضة الثقافية الأرمنية خلال القرن التاسع عشر . (٢٦)

كذلك ، قام التعليم بدور رئيسى فى اليقظة الأرمنية . ثمة عدد ضئيل من المدارس الابتدائية كانت قد افتُتحت فى الأستانة بين عامى ١٧٩٠ - ١٨٠٠ . ثم تأسست مدارس البنات بعد عام ١٨٢٠ . ولكن بحلول منتصف القرن التاسع عشر ، كان بالأستانة وحدها - أثر التنظيمات - ما يقرب من « ٥٠٠٠ » تلميذاً وتلميذة من الأرمن الذين يذهبون إلى حوالى « ٤٠ » مدرسة . (٢٧) وقد ساعدت الضرائب المفروضة على الأرمن هذه المدارس التى كانت مجانية تقريباً ، ومكّنت حوالى « ٢٤ » طالباً من الحصول على منح دراسية فى فرنسا سنوياً . (٢٨) وعند عودة هؤلاء الخريجين كانوا ينشرون الأفكار الحديثة عن طريق التدريس والتأليف وإصدار الصحف . (٢٩)

كما قامت الطباعة والصحافة بدور حاسم فى اليقظة الأرمنية . (٣٠) ففى عام ١٨١٢ أصدر الأرمن بالأستانة « رقيب بيزنطة » : أول صحيفة فى الدولة العثمانية . ثم أسسوا « ١٤ » دورية بالعاصمة العثمانية - نتيجة التنظيمات - بين عامى ١٨٤٠ -١٨٦٦ . من أهمها : « ماسيس » (جبل آراراد) و « هايرينيك » (الوطن) . (٣١) وخلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، قامت هذه الدوريات - التى أصبح بعضها يومياً - بدور رئيسى فى اليقظة السياسية لدى جموع الأرمن القاطنين بالأناضول . (٣٢)

ثمة قوى أخرى أدت إلى إيقاظ الروح الأرمنية تتمثل فى ضغط الإرساليات التبشيرية الغربية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر مما أسفر عن تأسيس ملة أرمنية كاثوليكية مستقلة فى ٢٤ مايو ١٨٣١ وأخرى بروتستانتية فى ٢٧ نوفمبر ١٨٥٠ . (٣٣) وقد منح تأسيس هذه الملل للأرمن الكاثوليك والبروتستانت فرصاً كى يُواصلوا تعليمهم العالى فى وطنهم الأم أو بالخارج ، وأن يُسافروا إلى أوربا والولايات المتحدة ناهيك عن تمتعهم بالحماية الدبلوماسية من نظائرهم الأوربيين والأمريكيين . (٣٤)

كما أثرت هذه النشاطات التبشيرية تعليمياً وثقافياً وإدارياً فى الملة الأرمنية . إذ تزايدت الحاجة إلى المدارس العليا داخل الملة الأرمنية لمقاومة المؤسسات التعليمية البروتستانتية . وأصبح طلاب أرمن كثيرون منذ منتصف القرن التاسع عشر على

علاقة وطيدة بالحياة الغربية وفكرها من خلال مختلف المؤسسات التعليمية لاسيما الفرنسية . وقد قامت مجموعة من هؤلاء الشباب الذين اكتسبوا معرفة علمية وأفكاراً عن الديمقراطية فى أعقاب عودتهم بصياغة نظامنامة الملة الأرمنية ؛ أى الدستور الأهلى الأرمنى فى عام ١٨٦٠ وصدّقت عليه الحكومة العثمانية فى ٣٠ مارس ١٨٦٣ . (٣٥)

تلك ، هى أهم العوامل التى غيرت المجتمع الأرمنى وجعلته أخيراً يمتلك أدوات بدء إحياء سياسى بعد خمسة قرون من سقوط آخر مملكة أرمنية مستقلة فى عام ١٣٧٥ .

بيد أن هناك أسباباً جعلت الأرمن هم فقط الملة المسيحية الكبيرة التى على الرغم من انتعاشها ثقافياً لم تُطالب بحكم ذاتى أو استقلال عن العثمانيين . فمن ناحية الاستيطان الأرمنى ، نجم عن الغزوات المستمرة والهجرات الأرمنية واستقرار الأتراك والأكراد والچراكسة وغيرهم فى أرمينية أن أصبح الأرمن لا يُشكلون إلا تجمعاً فى بعض أماكن ولم تكن لهم أغلبية إلا فى مناطق ضئيلة بأرمينية الغربية . إذ تداخلوا بشكل وثيق فى النسيج الديموجرافى المسلم بما لا يسمح لهم تكوين نواة دولة مستقلة منفصلة شأن العرب أو مسيحيى البلقان . (٣٦)

أكثر من هذا ، تكونت « الزعامة الأرمنية » من الرأسماليين المدنيين الذين لم يعيشوا فى أرمينية بين جموع الريفيين المستاء ين، بل عاشوا فى الأستانة وأزمير والقاهرة والإسكندرية وحلب وتفليس وباكو وناخيتشيڤان الجديدة وموسكو أو فى المراكز الحضرية الأخرى بأوربا وآسيا . ولم يكن للأرمن داخل بلادهم قادة عسكريون أو نبلاء يستجمعون قوى السكان باستثناء شريحة جبلية ضئيلة . (٣٧)

وتجدر الإشارة إلى أن الأرمن اندمجوا فى الهيكلين السياسى والإدارى للدولة العثمانية بشكل أكثر من أية أقلية غير مسلمة مما جعل مكانتهم أكبر فى الدولة فى عين اللحظة التى غدا فيها « وعيهم بهويتهم القومية » أكثر حدة . (٣٨) وفى الواقع، وجدت الصفوة المدنية الأرمنية أن العمل مع القوة الحاكمة مفيداً لرفاهيتهم الاقتصادية - الاجتماعية ، وبالتالى ، سعوا إلى الحفاظ على أوضاعهم دون إحداث تغيير مفاجئ ونصحوا رعاياهم بارتضاء أوضاعهم . (٣٩) زد على ما سبق ، الموقف

السلبى للدول الأوربية تجاه الأرمن حيث كانوا يرمون إلى إبقاء الدولة العثمانية والدفاع عنها ضد توسعات روسيا . (٤٠)

لهذا ، لم يسعَ الأرمن الغربيون إلى الانفصال أو الاستقلال عن الدولة العثمانية ، بل طالبوا فقط بإجراء إصلاحات داخلية فى الولايات الست وقيليقية فى نطاق بقائهم ضمن رعاياها ، ورغبتهم فى تحقيق الحماية لأنفسهم وأملاكهم من الموظفين الفاسدين ومن عصابات النهب فضلاً عن مساواتهم مع الرعايا المسلمين . (٤١)

❀ ❀ ❀

٣ـ القضية الأرمنية : الاستثمار الدولى

وبدلاً من القيام بإصلاحات للأرمن ، سعت الحكومة العثمانية للاستيلاء على إقليم زيتون الجبلى ذى الحكم الذاتى بولاية مرعش شمال شرق قيليقية . (٤٢) إذ بعد محاولات فاشلة لكبح جماح استقلال زيتون المتزايد ، قررت الحكومة فى عام ١٨٦٢ أن تُسيطر على زيتون إثر انزعاجها من التدخل الفرنسى فى لبنان العام السابق . فإدعوا أن سكانها لم يدفعوا الضرائب ، ولذا ، هاجم جيش عثمانى ضخم المنطقة . وفى ٢ أغسطس ١٨٦٢ هزم الأرمن هذا الجيش وألحقوا به خسائر فادحة واستولوا على مدافعه وذخيرته . ثم حاصر الجيش العثمانى زيتون بغية تجويعها . عندئذٍ ، ناشد الأرمن – على نحو ما فعل موارنة لبنان – مساعدة الإمبراطور الفرنسى نابليون الثالث الذى أجبر العثمانيين على فك حصارهم مقابل السماح لهم ببناء قلعة فى زيتون ومركز للجنود بها. (٤٣)

وقد ترك تمرد زيتون أثره . إذ توالت الانتفاضات فى ڤان (١٨٦٢) وأرضروم (١٨٦٣) وموش (١٨٦٤) . ويرى بعض المؤرخين أن هذا التمرد ربما كان الإشارة الأولى ليقظة الأرمن الغربيين سياسياً . (٤٤)

تقدم بطريرك الأرمن الأرثوذكس بالأستانة نرسيس ڤارچابيديان (١٨٧٤ – ١٨٨٤) طالباً إجراء إصلاحات أرمنية إلى القوى الأوربية المجتمعة فى يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦

بالأستانة لمناقشة شكاوى مسيحيى البلقان . [٤٥] بيد أن ما أثار دهشتهم هو إعلان الباب العالى دستوراً ليبرالياً فى نفس يوم انعقاد المؤتمر موقعاً عليه من عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٩) . [٤٦] عندئذٍ ، كان الأرمن أشد مسيحيى الدولة تحمساً لصدور الدستور استناداً إلى أنهم صاروا مساوين للمسلمين العثمانيين طبقاً للدستور الجديد . [٤٧]

هنا ، شعر الدبلوماسيون الأوربيون أن مثل هذا الدستور يجعل أية مناقشة تتعلق بمسيحيى البلقان عديمة الجدوى . ولكن استمرار المذابح البلغارية ورفض الحكومة العثمانية مناقشة الوضع فى بلغاريا قد أعطى روسيا مبرراً لإعلان الحرب على الدولة العثمانية فى ٢٤ أبريل ١٨٧٧ . اندلع القتال على جبهتين : أوربا الشرقية وأرمينية الغربية . وبعامة ، ساعدت البطريركية الأرمنية الباب العالى ولم تتحالف مع الحركة السلافية أو الكنيسة الروسية . [٤٨]

بيد أن الأرمن فى أرمينية الغربية غدوا ضاجرين من أوضاعهم التى لا تُطاق خاصة عندما استغل الأكراد فرصة الحرب وهاجموا القرى الأرمنية . لذا ، رحب الأرمن بالجيش الروسى تحت قيادة الجنرالات الأرمن واشتراك المتطوعين الأرمن الروس . وبحلول عام ١٨٧٨ كان الروس يُسيطرون تقريباً على أرمينية الغربية ، وكان الجيش الروسى على مقربة من الأستانة . عندئذٍ ، طلبت الأستانة وقف إطلاق النار وبدأت المفاوضات فى ٣١ يناير ١٨٧٨ . [٤٩]

وهكذا ، أيقن الأرمن عدم جدية الحكومة فى تنفيذ الإصلاحات ، وخشوا تنكيل الحكومة بهم إثر اشتراك أقرانهم الأرمن الروس فى الحرب . [٥٠] وعندما علم المثقفون الأرمن فى الأستانة بأخبار الفظائع التى ارتكبتها الغوغاء فى أرمينية الغربية ، طالبوا زعماءهم بإنهاء حذرهم ومناشدة الروس لتبنى مستقبل الأرمن الغربيين فى مباحثات السلام . [٥١]

وفعلاً ، نجحت المساعى الأرمنية جزئياً ، إذ تضمنت معاهدة « سان إستيفانو » المبرمة فى ٣ مارس ١٨٧٨ [٥٢] بين الدولتين الروسية والعثمانية المادة «١٦» التى نصت على : « تنفيذ الإصلاحات وضمان سلامة الأرمن من اعتداءات الأكراد

والچراكسة ، وألا تنسحب القوات الروسية من المناطق التى احتلتها فى أرمينية الغربية حتى تقوم الحكومة العثمانية بتنفيذ تلك الإصلاحات فوراً » . (٥٣) كما تضمنت هذه المعاهدة ضم روسيا أقاليم جارس وأردهان وآلاشجيرد وبايزيد من أرمينية الغربية ، وإعادة إقليم أرضروم الذى كانت قد احتلته إلى الدولة العثمانية . (٥٤)

اعتقدت بريطانيا أن معاهدة سان إستيفانو سوف تُعرض مصالحها للخطر . لذا ، جنَّدت الدول الأوربية لدعمها وإثارة مخاوف روسيا بالتهديدات الحربية . عندئذٍ ، دعا المستشار الألمانى أوتو ڤون بسمارك إلى عقد اجتماع أوربى لاستعراض بنود المعاهدة وتعديلها . (٥٥) وفعلاً ، انعقد مؤتمر برلين فى الفترة من ١٣ يونية حتى ١٣ يولية ١٨٧٨ .(٥٦) وجدير بالذكر أن معاهدة « برلين » قد عدّلت معاهدة سان إستيفانو وفق توجيهات المفاوضين البريطانيين (خريطة رقم « ٤ ») . (٥٧)

وعمل الأرمن فى هذا المؤتمر على إقرار المادة «١٦» فى معاهدة سان إستيفانو ، فاستبدلها المؤتمرون بالمادة «٦١» فى معاهدة برلين التى نصت على أن : « يتعهد الباب العالى ، وبدون أى تأخير ، بإدخال التحسينات والإصلاحات التى تستلزمها المتطلبات المحلية فى الولايات التى يقطنها الأرمن ، وضمان أمنهم تجاه الچراكسة والأكراد ، كما يتعين على الباب العالى من حين لآخر أن يُحيط القوى الكبرى ، التى ستقوم بالإشراف على تنفيذها ، علماً بأى أمر يتعلق بذلك » . (٥٨)

ولم يُناقش المؤتمر الحكم الذاتى لأرمينية الغربية ، إذ طبقاً للمادة «٦١» أُلغيت القوات الروسية وحلت محلها مسئولية أوربية جماعية – دون إشراف مباشر أو ضمانات دولية جدية محددة – من أجل تنفيذ الإصلاحات فى أرمينية الغربية .(٥٩) عندئذٍ ، رحل آلاف الأرمن الغربيين ليستقروا فى القوقاز.(٦٠)

وهكذا ، تصاعدت المسألة الأرمنية فى أعقاب مؤتمر برلين من كونها مشكلة عثمانية محلية إلى كونها قضية دولية . وعلى مدى عامين متتاليين تظاهرت الدول الكبرى بتنفيذ مسئوليتها ونبهت الحكومة العثمانية من حين لآخر إلى وعودها إزاء الأرمن .(٦١)

بيد أنه منذ عام ١٨٨٠ وقعت أحداث عالمية حولت أوربا إلى اتجاهات أخرى . فالنشاطات السلاڤية فى النمسا – المجر واحتمال وقوع تحالف فرنسى – روسى قد

أسفر عن إتفاق ألمانيا والنمسا - المجر مع الحكومة العثمانية واستعدادهم لمساعدتها . كما أن روسيا منذ حكم قيصرها الكسندر الثالث (١٨٨١ - ١٨٩٦) قد عَدَلَتْ عن سياسة حمايتها شعوب دول البلقان المسيحية التى استقلت آنذاك عن الدولة العثمانية وحماية كافة الشعوب المسيحية العثمانية . زد على هذا ، شَغَلَ التوسع الاستعمارى فى إفريقية وجنوب شرق آسيا والصين الدول الكبرى عن « القضية الأرمنية » . (٦٢)

وهكذا ، بحلول عام ١٨٨١ بدا واضحاً أن المساعدات الأوربية بشأن أرمينية الغربية غدت ضئيلة جداً . عندئذٍ ، تجاهل بعض المثقفين الأرمن نصائح رؤسائهم ، ومستلهمين حركات المقاومة البلقانية والصراع المسلح فى زيتون ، وبدأوا يُنظمون جماعات دفاعية فى عدة مواقع . وأدى شعور الأرمن بالخداع والخذلان إلى أن راح عدد كبير منهم يُناصرالطرق غير المشروعة لمقاومة استبداد عبد الحميد . واقتنع آخرون بضرورة حمل السلاح . (٦٣)

❀ ❀ ❀

٤ ـ مذابح ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ : نحر أمة

تطورت الحركة القومية الأرمنية من مجرد فكرة إلى جمعيات ثورية سرية محلية وعامة مالبثت أن تمخض عنها الأحزاب الثورية . وقد مارست هذه الجمعيات نشاطها الدعائى والفدائى والثورى فى أقاليم الدولة العثمانية . (٦٤)

أما بخصوص الأحزاب الأرمنية . ففى عام ١٨٨٥ تأسس حزب الأرميناجان فى ڤان : أول حزب سياسى أرمنى والحزب الوحيد الذى تأسس فى أرمينية ذاتها . وقد أسسه بعض المدرسين الشباب بمدرسة المعلمين فى ڤان بمبادرة من مجرديتش پورتوكاليان (١٨٤٨ - ١٩٢١) . كان هذا الحزب وطنياً أرمنياً لا يتبنى أى فكر اشتراكى ، وهدفه التحرر الوطنى لأرمينية بكل الوسائل . وقد دعا برنامج هذا الحزب إلى تعليم عام ومقاومة مسلحة والاستعداد لاحتمالية قيام حكومة ذاتية . ولم يُؤكد

الأرميناجان على فكرة الانفصال ، وإن نظم جماعات مسلحة من أجل الدفاع عن ڤان ضد الغارات الكردية إبان تسعينيات القرن التاسع عشر . (٦٥)

وفى عام ١٨٨٧ تأسس حزب « الهنشاك » (الناقوس) الاشتراكى الديمقراطى الأرمنى فى چنيف بسويسرا . وفى عام ١٨٨٩ انضم هذا الحزب إلى مؤتمر الدولية الاشتراكية الثانية للأحزاب الاشتراكية المنعقد فى باريس بوصفه حزباً اشتراكياً .(٦٦) ولكن منذ عام ١٨٩٦ انفصل عنه جناح يمينى مؤسساً « حزب الهنشاك المعاد تكوينه » فى مصر . (٦٧)

أما حزب « الاتحاد الثورى الأرمنى » (الطاشناق) فقد تأسس فى تفليس عاصمة إقليم القوقاز الروسى عام ١٨٩٠ ، وهو الحزب الاشتراكى الوطنى الأرمنى . (٦٨) وينقسم برنامج حزب الطاشناق إلى ثلاثة محاور . أولاً الأهداف : « يهدف حزب الطاشناق إلى تحقيق الحرية السياسية والاقتصادية لأرمينية العثمانية بوسائل التمرد والثورة » . ثانياً الوسائل : الدعاية ، تعليم ثورى للشعب ، تنظيم الشعب وتسليحه للدفاع عن نفسه ، أعمال التخريب ، اغتيال الموظفين الفاسدين وجميع المستغلين والخونة الأرمن . ثالثاً التنظيم : تبنى الحزب مبدأ اللامركزية التى تُعد نظاماً ملائماً لمنطقة العمليات الواسعة المزمع التنفيذ فيها . هذا ، وقد خلقت اللامركزية شبكة ديناميكية من الهياكل التنظيمية أدارت العمل التنظيمى والثورى بحرية استناداً إلى ظروف كل منطقة – فى اطار أهداف الحزب – مما كفَّل للحزب نشاطاً وانتشاراً .(٦٩)

تلك ، هى أهم الأحزاب الأرمنية . ولكن ، بينما كان الأرميناجان وطنياً قُحاً ، تبنى الهنشاك والطاشناق الاشتراكية بوضوح . وبينما أعطى الهنشاك أولوية للاشتراكية ، سلك الطاشناق – مع اشتراكيته – مساراً أكثر قومية . وثمة اختلافات أيضاً فى البناء الداخلى . ففى حين انتهج الهنشاك المركزية ، مارس الطاشناق اللامركزية . ورغم هذا ، كان يُؤمن كلاهما بأن الصراع المسلح ضرورى ، ويستعدان لاستخدام الإرهاب تحقيقاً لأهدافهما ، ويعتمدان كثيراً على مساعدة الغرب . (٧٠)

اتحد الهنشاك مع الطاشناق بعد تأسيسه فى عام ١٨٩٠ ، بيد أنهما انفصلا فى العام التالى لاعتبارات شخصية أكثر منها أيديولوچية . وبذا ، لم يتفق الثوار الأرمن

على تحديد مسارهم . رأى الهنشاك أن المظاهرات ضد الحكومة العثمانية سوف تُوعز إلى الدول الأوربية بأن الأرمن لم ينسوا قط المادة «٦١» من معاهدة برلين . ولهذا ، نظم الهنشاك فى عام ١٨٩٠ مظاهرات فى أرضروم وفى الكاتدرائية الأرمنية فى كوم كابو بالأستانة . بيد أنها أسفرت عن قمع وموت كثير من المتظاهرين . (٧١) وأيضاً ، جَهّزَ أرمن روسيا فى نفس العام قوة مسلحة صغيرة أعدها الطاشناق للإغارة على الدولة العثمانية . ورغم فشل هذه الإغارة ، إلا أنها أبلغت رسالة واضحة : « لم ينس أرمن روسيا قط القضية الأرمنية » . (٧٢)

واجهت الدولة العثمانية هذه التهديدات على مستويين . ديموجرافياً ؛ ويتمثل فى استخدام المهاجرين القادمين من روسيا فى تعزيز العناصر الإسلامية خاصةً على امتداد الحدود الروسية – العثمانية . ثم سياسياً ؛ ويتمثل فى إنشاء فرق « الخيالة الحميدية » فى صيف ١٨٩١ من عناصر غير تركية مثل الألبان والچراكسة والأكراد بصفة خاصة . وقد قامت هذه الفرق بدور الحرس الخاص للسلطان فى الأستانة ، وأُنيط بها مسئولية الحفاظ على النظام فى شرقى الأناضول . أى تحديداً : مواجهة الأنشطة الثورية الأرمنية . (٧٣)

وفى عام ١٨٩٤ تزايدت الضرائب الفادحة على الأرمن الجبليين فى ساسون (٧٤) فضلاً عن الخدمات التى يُعطلها الباشاوات الأتراك والأكراد . ولذا ، شجعهم الهنشاك على عصيان مسلح . ورغم صمود ساسون لمدة شهر ، إلا أن وعود العفو العام قد أدت إلى استسلامهم . على أية حال ، كان الاتفاق مجرد خدعة فقط . فبدلاً من العفو العام تعرضت ساسون بين ١٥ أغسطس – ١٥ سبتمبر ١٨٩٤ إلى النهب وإعدام كثير من الأرمن دون مراعاة السن أو الجنس . (٧٥)

حينئذٍ ، رفع القناصل الأوربيون والمبشرون المسيحيون أصواتهم عاليةً ضد هذا الانتهاك مما أسفر عن عودة أوربا إلى القضية الأرمنية مطالبةً الحكومة العثمانية بتشكيل لجنة تحقيق . وتقيّد المثلون الأوربيون بتقرير لجنة التحقيق ومؤداه : أن أرمن ساسون اضطروا إلى حمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم . بيد أن أعمال القسوة والتخريب الجماعية التى اقترفتها القوات العثمانية تُعد أمراً يستحق التأنيب . (٧٦)

ورغم هذا ، استمرت المذابح الأرمنية منذ ١٣ أكتوبر ١٨٩٤ حتى ٣٠ نوفمبر ١٨٩٥ عندما بدأت القوات العثمانية والكردية بأوامر من الأستانة هجوماً منظماً على القرى الأرمنية وعلى الأحياء الأرمنية بمدن الولايات الست . ثم بلغت المذابح ضراوتها فى مدينة الرها خلال يومى ٢٨ - ٢٩ ديسمبر ١٨٩٥ حيث أبادوا بها حوالى ثلاثة آلاف أرمنى حرقاً . واستمرت المذابح وعمليات السلب حتى يولية ١٨٩٦ . (٧٧)

وتُقدر المصادر عدد الضحايا بحوالى « ١٠٠ » ألف قتيل وتشريد أكثر من نصف مليون أرمنى . هذا ، وقد شهدت ڤان وزيتون خسائر أقل حيث كان بهما أرمن مسلحون متمرسون . وباستثناء فئة ضئيلة من الرجالات المسلحين الذين حاربوا تحت قيادة الزعماء الشعبيين فى ساسون وبيتليس وڤان وموش ، فقد تأثرت غالبية الأرمن سلبياً . وخلال كل هذا ، اعترض القناصل البريطانيون والفرنسيون والروس ظاهرياً دون أن يتدخلوا فعلياً .(٧٨)

وهكذا ، تبددت المظاهرات السياسية التى قام بها الهنشاك ، وقتلت الحكومة العثمانية رؤساء الأرميناجان والهنشاك ، وظل الطاشناق هو الحزب الأرمنى الوحيد النشط . وبينما هدأت المذابح فى الولايات الأرمنية الست ، شهدت الأستانة عاصفةً دمويةً فى أغسطس ١٨٩٦ إثر الأعمال الإرهابية التى قام بها الثوار الأرمن الطاشناقيون . إذ حركت اللامبالاة الأوربية حزب الطاشناق الذى لم يشترك فى المظاهرات العامة التى نظمها الهنشاك . وفى يوم الأربعاء ٢٦ أغسطس ١٨٩٦ احتل « ٢٦ » أرمنياً طاشناقياً عثمانياً مسلحين بمتفجرات البنك العثمانى بالأستانة .(٧٩)

بدأ القتال مباشرةً بمحاولة إغلاق أبواب البنك الرئيسية . بيد أن الطاشناقيين وجدوا صعوبةً غير متوقعة فى إغلاقها . عندئذٍ ، نشبت معركة عنيفة بين الأرمن والشرطة عبر الشارع الضيق المجاور للبنك قُتل على إثرها أربعة أرمن . وعندما أدركت السلطات العثمانية صعوبة طرد الأرمن ، تمهلت فى إطلاق النيران . واحتفظ الطاشناقيون بحوالى « ١٥٠ » رهينة من موظفى البنك وعملائه . (٨٠)

وأعرب الطاشناقيون أن هدفهم من احتلال البنك هو الضغط على الدول الكبرى للتدخل بفعالية لحل القضية الأرمنية خاصةً وأن الاستيلاء على هذا البنك قد وضع

المصالح الأوربية فى خطر . وأعلن الطاشناقيون أنهم يحتلون البنك لمدة يومين ، فإذا لم تُستجب مطالبهم ، فإن البنك وموظفيه والرهائن سوف يُنسفون جميعاً . (٨١)

وبينما فشلت القوات العثمانية فى استرداد البنك عنوةً ، نجح القنصل الروسى فى الأستانة ماكسيموف فى عقد تسوية بين الحكومة العثمانية والطاشناقيين تم على إثرها إخلاء البنك وترحيلهم دون التعرض إليهم إلى الخارج ووعدهم بتدخل الدول الأوربية لحل القضية الأرمنية . وفعلاً ، غادر الطاشناقيون الأستانة فى صبيحة يوم ٢٧ أغسطس ١٨٩٦ على متن السفينة الفرنسية جيروند *Gironde* إلى مرسيليا . (٨٢)

وبينما كان الطاشناقيون يمتطون السفينة مبحرين إلى فرنسا ، تركوا خلفهم الأرمن يُكفرون - لأوقات طويلة - عن « جريمتهم الإرهابية » دون تلبية مطالبهم . فثأر عبد الحميد لذلك بتنظيم مذبحة ضد الأرمن العُزل فى شوارع الأستانة . إذ بمجرد الاستيلاء على البنك وقبل وصول الشرطة إلى مسرح الأحداث ، ظهرت عصابات تركية فى شوارع الأستانة للاعتداء على الأرمن ؛ بعضهم من القطاعات الأكثر جهلاً والأيسر استثارةً من الشعب ، بينما كان بعضهم الآخر من المتطرفين الدينيين . (٨٣)

وعندما جاءت الباشبوزوق (القوات غير النظامية) على الأقدام ، بدأوا العنف والقتل والسلب ؛ فأى أرمنى كان يُقابله هؤلاء الباشبوزوق يُذبح أو يُضرب حتى الموت ونُهبت المحلات الأرمنية فى جالاتا . ولم تكن أغلبية الأرمن القتلى من الثوار أو الرأسماليين ، بل كان معظمهم من العمال الفقراء المهاجرين إلى الأستانة من ولاية سيواس التى أضحت غير صالحة للسكنى . زد على هذا ، أن الأرمن أُبيدوا كليةً فى حى قاسم باشا وفى الحى اليهودى بـ « خاسكوى » . (٨٤) واستمر القتل فى شوارع الأستانة خلال اليوم التالى ٢٧ أغسطس ، ولم يتوقف إلا عندما ترامت الأخبار إلى الباب العالى فى المساء بأن الغواصات البريطانية قد تحركت لـ « حماية حياة البريطانيين » . (٨٥)

مرة أخرى ، أيقظت مذبحة الأستانة الرأى العام فى أوربا ضد الحكومة العثمانية التى اضطرت إلى إصدار بلاغ فى ١١ نوفمبر ١٨٩٦ وعدت فيه بتنفيذ الإصلاحات فى ولاياتها الأرمنية الست . (٨٦)

هذا ، وقد نجم عن مذابح الأرمن فى الدولة العثمانية بين عامى ١٨٩٤ - ١٨٩٦ موت حوالى من « ١٠٠ - ١٥٠ » ألفاً إما نتيجة مباشرة للقتل أو نتيجة للجوع والتشريد والبرد والمرض . كما هاجر آلاف الأرمن إلى البلاد العربية وروسيا والبلقان وأوربا وأمريكا ، وهبط عددهم إلى النصف فى ولايات أرضروم وڤان وبيتليس . (٨٧)

❀ ❀ ❀

٥ ـ فشل الثورة الأرمنية : إجهاض الأمانى

وهكذا ، نجح عبد الحميد فى إضعاف الحركة القومية الأرمنية . إذ مارس فى سياسته الأرمنية العنف والقتل علناً ، وبكل قسوة ، وعلى نطاق واسع ، حتى جعل «المذابح» جزءاً مألوفاً فى السياسة الداخلية للدولة إزاء الأرمن . (٨٨) كما أدت سياسة عبد الحميد إلى خلق « هوة » من الريبة والعداوة بين المسلمين والمسيحيين فى شرقى الأناضول عندما ألَّبَ الأكراد ضد الأرمن . (٨٩)

وتجدر الإشارة أيضاً إلى ضعف الحركة الأرمنية نتيجة تبنى حزبى الهنشاك والطاشناق أيديولوچية اشتراكية وانتهاجهما الإرهاب والعنف مما أبعد عنهما الرأسماليين الأرمن . ناهيك أن أسوأ ما فى الحركة القومية الأرمنية أنها لم تكن موحدة ، فالحزبان الكبيران منقسمان لأسباب شخصية وليست عملية .(٩٠)

لم يكن فى نية عبد الحميد تغيير سياسته القمعية إزاء الأرمن . فنظراً لتقلص دولته (٩١) اعتبر أن ظهور يقظة سياسية - قومية أرمنية فى شرقى الأناضول على وجه الخصوص أمر خطير ، لأنه إذا نجح الأرمن فى الحصول على حكم ذاتى أو استقلال - كما فعل مسيحيو البلقان - فإن الأتراك سوف يفقدون جزءاً كبيراً من المنطقة التى اعتبروها « موطنهم الأم » . (٩٢)

وبذا ، أُضيفت المشكلة الأرمنية إلى المشكلات اليونانية والصربية والبلغارية ، وغدت تُمثل خطراً جديداً يُهدد وحدة أراض الدولة العثمانية . ولذا ، فلابد - من الوجهة العثمانية - وعلى ضوء التجارب السابقة ، سحق البذور الأولى للنزعة القومية الأرمنية

قبل فوات الآوان . وكان الأرمن يعدون كل تراجع عثمانى فى البلقان عاملاً تشجيعياً لهم ، بينما كان ينظر إليه القادة العثمانيون بوصفه سبباً إضافياً لتوطيد سيطرتهم على الأناضول . (٩٣)

ورغم أن بعض الأتراك قد استقروا نسبياً فى البلاد العربية أو فى البلقان ، إلا أن غالبيتهم قد استقروا فى الأناضول . وفوق هذا ، يُعد الأناضول مصدراً زراعياً ومعدنياً أساسياً للعثمانيين ويضم طرقهم التجارية الرئيسية . (٩٤) ولذا ، فإن الطريق الأيسر بالنسبة للسلطات العثمانية لمنع أرمينية الغربية من الحصول على استقلالها الذاتى عن الدولة العثمانية أو انضمامها إلى أرمينية الروسية هو تقليل عددهم فى الولايات الست . هنا ، غدت « المذبحة » سياسةً عثمانيةً رسميةً ؛ التخلص من الناس حتى لا يتشبثوا بأراضيهم . وطالما ارتضى الأرمن بوضع أقل مرتبة ، سيظلون فى خدمة الدولة . ومن ثم ، فلابد من « تعويد » الأرمن على الإذعان . (٩٥)

وأيضاً ، ساعد الموقف الدولى عبد الحميد على الاستمرار فى سياسته إزاء الأرمن . ويكفى أن نقتبس من مذكراته هذه السطور : « ... كنتُ أعلم فى تلك الأيام بأنباء تصادم إنجلترا وروسيا فى الشرق الأقصى ، فلا روسيا ولا إنجلترا ، ولا أيضاً فرنسا التى تعمل حساباً لألمانيا ، يستطيعون التدخل بشكل جدى . وبالفعل لم يتدخلوا ... لكن الدول الكبرى كانت تعرف أنى لن أُعطى الاستقلال الذاتى لهؤلاء الأرمن المبعثرين الذين لا يُكونون أكثرية فى أى مكان قط . وكانت تعرف أنى سأستطيع أن أضع عينيى على كل شئ ، ... وهكذا أصبحت المسألة الأرمنية من المسائل التى تشغل الرأى العام العالمى ، لكنها لم تكن بالمسألة الجادة دولياً ... » . (٩٦)

فى ذلك الوقت ، كانت سياسة عبد الحميد نشيطة أيضاً ضد المثقفين والمنشقين الأتراك وكبحَ جماح عدداً من رؤساء جماعة « تركيا الفتاة » . (٩٧) هنا ، يُعّدل الثوريون الأرمن إستراتيچيتهم ، ويتحالفون مع المعارضة العثمانية ضد عبد الحميد بغية إعادة العمل بدستور ١٨٧٦ . ففى عام ١٩٠٢ اتحدت « تركيا الفتاة » مع حزب الطاشناق الأرمنى والعرب والألبان والأكراد والچراكسة واليونانيين واليهود فى أول

مؤتمر للأحرار العثمانيين المنعقد فى باريس بين يومى ٤ - ٩ فبراير . ورغم أنهم قد اتفقوا على العمل من أجل إقامة دولة دستورية تحصل فيها جميع القوميات والأديان على حقوق متساوية ، إلا أنهم لم يتفقوا حول التدخل الأوربى فيما يتعلق بـ «الأقليات» خاصة المادة «٦١» من معاهدة برلين ١٨٧٨ التى أصر عليها الأرمن . وانتهى المؤتمر دون توحيد الجهود الثورية المعارضة ضد عبد الحميد . (٩٨)

وتستمر العمليات الأرمنية الإرهابية ضد السلطات العثمانية والمتعاونين معها. (٩٩) ففى ٦ يناير ١٩٠٣ حاول أرمنى طاشناقى يُدعى آجوب اغتيال ماغاكيا أورمانيان بطريرك الأرمن الأرثوذكس بالأستانة (١٨٩٦ - ١٩٠٨) يوم عيد الميلاد الأرمنى فى كنيسة كوم كابو لاتهامه بالخيانة والضعف والتعاون مع عبد الحميد . بيد أن هذه المحاولة قد فشلت . (١٠٠)

وفى ذات الوقت ، تتواصل سياسة القمع العثمانية إزاء الأرمن . فتقع حوادث دامية ضدهم على أيدى القوات العثمانية فى جبل ساسون بين يومى ١١ - ١٥ أغسطس ١٩٠٣ ، ثم ثانية بين يومى ٢٥ - ٢٩ مايو ١٩٠٤ . وقد رد الطاشناق عليها بأعمال انتقامية (١٠١) خاصة محاولتهم الفاشلة لاغتيال عبد الحميد يوم ٢١ يولية ١٩٠٥ فى أعقاب خروجه من صلاة الجمعة .(١٠٢)

وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧ قررت منظمتا « تركيا الفتاة » فى باريس وسالونيك الانصهار فى منظمة واحدة صارت تُسمى لجنة « الاتحاد والترقى » . ومنذئذٍ ، هيمنت لجنة سالونيك على الحركة ، وحل الضباط محل « تركيا الفتاة » التى مارست المعارضة فى المنفى . وبذا ، انتقل مركزها من العواصم الأوربية إلى سالونيك . (١٠٣)

وجدير بالذكر أنه خلال الفترة من ٢٧ - ٢٩ ديسمبر ١٩٠٧ انعقد فى باريس المؤتمر الثانى للأحرار العثمانيين بناءً على دعوة حزب الطاشناق . (١٠٤) واتفق الأتراك والأرمن على العمل سوياً من أجل إسقاط عبد الحميد وإقامة دولة بدون أية مساعدة أوربية . وأعلن زعماء الطاشناق فى هذا المؤتمر تمسكهم بـ « وحدة » الدولة العثمانية . عندئذٍ ، اتهم الهنشاكيون الطاشناق بالتعاون مع العدو . (١٠٥)

وقتئذٍ ، تدهور الوضعان الاقتصادى والاجتماعى عبر أنحاء الدولة العثمانية . (١٠٦)

ناهيك أن التطورات الدبلوماسية قد أضافت مزيداً من الهموم إلى هذه الدولة . ففى عام ١٩٠٧ شكلت بريطانيا وروسيا وفرنسا كتلة مضادة للمثلث الألمانى والنمسوى – المجرى والإيطالى . عندئذٍ ، تَخَوَّفَ الرأى العام العثمانى من احتمال تمزيق دولتهم . هنا ، وجد المنتمون إلى حركة تركيا الفتاة أنفسهم وقد أصبحت ظهورهم إلى الحائط . ومن ثم ، غدا حتمياً عليهم السعى فعلياً لإعادة الدستور بخاصة والحيلولة دون تمزيق الدولة بالأخص . وهكذا ، بدأت « تركيا الفتاة » تتحرك . (١٠٧) سار الجيش من مقدونيا تحت قيادة الأتراك الشباب إلى الأستانة وأجبروا عبد الحميد – دون معركة – على إعلان الحكومة الدستورية فى ٢٤ يولية ١٩٠٨ . (١٠٨)

بعد شهور قلائل ، وبوحى من الدستور العثمانى قامت مجموعة من الأرمن الليبراليين وبعض أفراد الطبقة الوسطى الأرمنية بمحاولة تأسيس نوع مختلف من التنظيم السياسى مغايراً للتكتيكات الإرهابية . وفعلاً ، أسس الثوار الأرمن كيانات لأنفسهم فى الدولة العثمانية وروسيا وإيران ومصر . (١٠٩) واحتفل الأرمن والأتراك فى العاصمة العثمانية بنهاية استبداد عبد الحميد وتطلعوا إلى عصر جديد من التعاون التركى الأرمنى . (١١٠) ودخل « ١٤ » أرمنياً فى مجلس المبعوثان (البرلمان) الذى انعقد فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٨ وتنبأوا بـ « مستقبل زاهر » . (١١١) وحتى حزب الهنشاك الأرمنى ، الذى رفض التعاون مع تركيا الفتاة ، قرر الإحجام عن أية نشاطات إرهابية فى انتظار الإصلاحات . (١١٢)

بيد أن شهر العسل قد انتهى سريعاً . ففى ٥ أكتوبر ١٩٠٨ ضمت النمسا البوسنة والهرسك ، وفى اليوم التالى أعلنت كريت اتحادها مع اليونان ، وأعلنت بلغاريا استقلالها . وفى مجلس المبعوثان أصبح حزب الأحرار العثمانيين نواة معارضة سياسية مالبث أن اتهم لجنة الاتحاد والترقى بفرض ديكتاتورية وتسييس الجيش والتخلى عن المثل الأعلى لـ « النزعة العثمانية » لحساب الأتراك وحدهم . (١١٣)

وفى ١٣ أبريل ١٩٠٩ جرت محاولة انقلاب مضاد بغية تطبيق الشريعة الإسلامية . عندئذٍ ، حاول عبد الحميد الثأر لنفسه . فأصدر أمره إلى البرلمان بضرورة احترام

الشريعة ، وحل الأحرار سريعاً محل الاتحاديين . ووقعت فى الأستانة عدة أحداث عنيفة . (١١٤)

بيد أن شيئاً لا يُضاهى التمردات التى نشبت فى قيليقية خاصة آضنه . إذ أن إعلان تمرد الأستانة قد أثار النفوس بشدة هناك ، وانتشرت إشاعة بين مسلمى آضنه مفادها أن الأرمن يستعدون للثورة مما عرضهم لمذابح اقترفها الرجعيون والقوميون الأتراك . وبدءاً من ١٤ أبريل حتى ٢٧ أبريل ١٩٠٩ توالت عمليات العنف والذبح حتى راح ضحيتها عدة آلاف من الأرمن . ورغم أن أكثر مرتكبى هذه المذابح قد نالوا عقابهم ، فالحقيقة أن بعض الأتراك الشباب فى قيليقية قد وافقوا على ، إن لم يُساعدوا ، فى إفساد العلاقات الأرمنية – التركية . (١١٥)

ولكن انتصار خصوم « الاتحاد والترقى » مالبث أن انهار . ففى ٢٤ أبريل ١٩٠٩ حاصر الجيش المقدونى الأستانة . وفى ٢٧ أبريل أعلن البرلمان العثمانى خلع عبد الحميد ونفيه إلى سالونيك وإحلال أخيه الضعيف محمد رشاد الخامس (١٩٠٩ – ١٩١٨) محله سلطاناً وخليفة . (١١٦)

❀ ❀ ❀

الهوامش

(١) تحديداً ، تشمل أرمينية القديمة فى الوقت الراهن معظم شرقى تركيا ، والجزء الشمالى من إيران ، وأجزاء من جمهوريتى أذربيجان وچورچيا فضلاً عن جمهورية أرمينية بأكملها . هذا ، وقد بلغت أرمينية أقصى اتساع لها إبان حكم ديكران الكبير (٩٥ - ٥٥ ق . م) .

Encyclopaedia of Islam, London.1960, Vol. 1, p. 630;

The New Encyclopaedia Britannica, 30 Volumes, London, 1974, Vol . 1 , p. 524 .

(٢) تعرضت أرمينية بسبب موقعها الجغرافى - الإستراتيجى للغزو والاحتلال من قبل الميديين والفرس والإغريق والرومان والبيزنطيين والعرب المسلمين والأتراك السلاچقة والمغول والأتراك العثمانيين والروس .

Encyclopedia International, Vol . 2, Lexicon Publications, 1981, P. 37.

(٣) فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرمنى منذ البداية حتى اليوم ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٤) تقع قيليقية *Cilicia* (أرمينية الصغرى) شمال شرق البحر المتوسط على منعطف تركيا وسورية عند خليج مرسين والإسكندرونة . وقد تأسست مملكة قيليقية من الأرمن النازحين إلى هذه المنطقة أمام الزحف السلچوقى حول الإمارة التى أنشأها الأمير الأرمنى روبين على مقربة من سيس فى سنة ١٠٨٠ . وقد حكمتها ثلاث أسرات أرمنية على التوالى هم : روبينيان وهيثوميان ولوسينيان . ثم خضعت للحكم المملوكى بمصر منذ عام ١٣٧٥ . وللمزيد :

مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ص ٢٢٢ - ٢٤٤ .

(٥) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٦) يُعد نهر أراكس أطول أنهار أرمينية وأهمها قاطبة . يبدأ هذا النهر من جبال الأناضول الشرقية ويصب فى بحر قزوين . ويُطلق الأرمن على هذا النهر لقب «أراكس الأم» ، ويُوصف واديه بأنه أرض اللبن والعسل ويعده بعض الكُتاب «جنات عدن» . وقد أطلق عليه العرب عدة أسماء مثل « نهر الرس » أو « أرس » أو « الترس » .

Lang, David Marshall : Armenia, Cradle of Civilisation, London, 1980, pp. 26 - 30;

فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١ - ٤٠ هـ / ٦٣٢ - ٦٦١ م) ، دار نشر الثقافة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٩٨ ، هامش ١٥٠ .

(٧) أنهت معاهدة « تركمانشاى » المبرمة فى ٢٢ فبراير ١٨٢٨ الصراع بين روسيا وفارس . وبمقتضاها ضمت روسيا إليها چورچيا وأذربيجان وأرمينية الشرقية .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٨) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ثلاثة أجزاء ، الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٨٣ ، الجزء الثانى ، ص ١٥٣٦ ، ١٥٤٧ .

(٩) بدأت الدولة العثمانية تُطبق نظام الملل رسمياً فى عام ١٤٥٤ بانتخاب الراهب «اجناديوس» بطريركاً جديداً لكنيسة الروم الأرثوذكس . ثم اعترفت بملتين فى عام ١٤٦١ هما « ملة اليهود » و « ملة الأرمن الأرثوذكس » . ولم يقم هذا التقسيم على أساس جنس أو قومية ، إنما قام على أساس عقيدة . وبذا، وقع الديافزة *Dyophysites* (المؤمنون بطبيعتين للسيد المسيح عليه السلام) فى دائرة اختصاص البطريرك الرومى ، ووقع المنافزة *Monophysits* (المؤمنون بطبيعة واحدة) فى دائرة اختصاص البطريرك الأرمنى . وللمزيد :

هاملتون جب وهارولد بووين : المجتمع الإسلامى والغرب ، جزءان ، ترجمة : أحمد عبد الرحيم مصطفى ، سلسلة تاريخ المصريين ، رقم ٣٦ ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٠ ، ص ص ٢٩٦ ـ ٢٩٩ .

(١٠) كان هوفاجيم المطران الأرمنى لمدينة بروصة أول من جلس على الكرسى البطريركى الأرمنى فى الأستانة (١٤٦١ ـ ١٤٧٨) .

Atamian, Sarkis : The Armenian Community, New York, 1955, pp. 20 - 27 .

(١١) وهكذا ، أضحى من الأرمن الحرفيين فى الأستانة : صاغة وصناع أحذية وغزالون وخياطون ومطرزون وحفارون وبناءون ونجارون ونقاشون وخبازون وبوابون وسقاءون وميكانيكيون ولحامون وخراطون وصناع أقفال ومراكبية وصيادون وغيرهم.

Burtt, Joseph : The People of Ararat, London, 1926, pp. 123 - 125 .

(١٢) أميرا ، من الكلمة العربية أمير . وهو لقب عثمانى منحه السلاطين للأرمن واليونانيين الأثرياء المتعاونين معهم .

(١٣) أيضاً ، قام الأمراء ، بوصفهم علمانيين ، بدور مهم فى إدارة الكنيسة الأرمنية وتدخلوا فى انتخاب البطاركة وتوسطوا بينهم وبين الحكومة . وقد أثروا بقوة فى الإدارة المركزية للتهم بفضل نفوذهم الاقتصادى والسياسى . وللمزيد :

Artinian, Vartan : " The Role of The *Amiras* in The Ottoman Empire " , The Armenian Review, Vol. 34, No. 134, Los Angeles, 1981, pp. 190 - 193 .

(١٤) Sonyel, Salahi Ramsdam : The Ottoman Armenians, London, 1987, pp. 24 - 25 .

(١٥) Bournoutian, George A. : A History of The Armenian People, 2 Vols, California, 1994, Vol. 2, p. 86 .

(١٦) Ibid : pp. 86 - 87 .

(١٧) Hovannisian, Richard : " The Armenian Question 1878 - 1923" in A Crime of Silence, The Armenian Genocide, The permanent Peoples' Tribunal, London, 1985, p. 12 .

(١٨) بدأت « التنظيمات » أو « الإصلاحات الخيرية » إبان حكم السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ – ١٨٠٧) وخليفته مصطفى الرابع (١٨٠٧ – ١٨٠٨) ومحمود الثانى (١٨٠٨ – ١٨٣٩) . ورغم أن إصلاحات هؤلاء السلاطين الإدارية والمالية والقضائية قد أحرزت نجاحاً فى أحسن الأحوال ، إلا أنها قد فتحت الباب أمام المؤسسات الغربية وأفكارها ووضعت الأساس لتحديث الدولة العثمانية . وللمزيد :

قيس جواد العزاوى : الدولة العثمانية – قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ص ٣١ – ٥٩ .

(١٩) فعلياً ، استفاد الأرمن من التنظيمات فى صدور الدستور الأهلى الأرمنى فى عام ١٨٦٣ فضلاً عن تأسيس مدارس وإصدار صحف . وسوف نتحدث عن هذه التأثيرات فى جزء لاحق من هذا الفصل عند الحديث عن اليقظة الثقافية الأرمنية . وللمزيد :

Etmekjian, James : " The *Tanzimat* Reforms and their Effect on the Armenians in Turkey" , The Armenian Review, Vol. 25, No. 97, Los Angeles, 1972, pp. 14 - 16 .

(٢٠) Bournoutian : op. cit., p. 87 .

(٢١) يُؤكد السلطان عبد الحميد الثانى فى مذكراته على هذه الحقيقة بقوله : « ... وأستطيع القول – وأنا مرتاح القلب – أن الأرمن أفضل من يتبنون العثمانية ، وأفضل من يُمثلونها . لقد خدموا حضارتنا وعملوا على الحفاظ على دولتنا . وظهر فيهم عثمانيون ممتازون بخدماتهم وحسن صداقتهم . ولم تكن للأرمن منا شكوى قط » .

مذكرات السلطان عبد الحميد ، إعداد : محمد حرب ، كتاب الهلال ، عدد ٤١٨ ، دار الهلال ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٨٥ ، ص ٧٩ .

(٢٢) Sonyel : op. cit., p. 11 .

(٢٣) كان مرادچى حسون – تُرجمان القنصلية السويدية – أول داعية أرمنى عثمانى لمبادئ الثورة الفرنسية . وهو مؤلف كتاب « الجدول العام للدولة العثمانية » .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ١٩٠ ، ٢٢٥ .

(٢٤) نجم عن التدخل الروسى أن أخذت بعض الأقاليم الأوربية العثمانية تتوق إلى حكم ذاتى أو استقلال عن الدولة العثمانية ، مما تمخض عنه اندلاع الثورة اليونانية فى عشرينيات القرن التاسع عشر . وقد أثارت هذه الثورة المشاعر القومية لدى الأرمن .

Sonyel : op. cit., pp. 11 - 12 .

(٢٥) ظلت الكنيسة الأرمنية تُقاوم التغيير مما قوّى الاستياء لدى العناصر التقدمية وأدى ، على نحو مباشر، إلى تأسيس النظام المخيتارى . وقد أسس هذا النظام أباتى مخيتار الذى وُلد فى سيباسطيا (سيواس) عام ١٦٧٦ . وكان مقتنعاً بأن التعليم قد وصل إلى مستوى منخفض فى وطنه الأم . لذا ، فكر فى تأسيس نظام دينى يُلبى الحاجات الروحية والعقلية لأبناء بلده مما عرّضه لتوبيخ رجال الدين الأرمن . وبعد أن اعتنق مخيتار الكاثوليكية فى حلب عام ١٦٩٥ ، أسس نظاماً جديداً فى الأستانة مع عشرة أعضاء فى ٨ سبتمبر ١٧٠١ . اعتقد مخيتار أنه من الممكن أن يُخلص للسلطة البابوية ويظل مخلصاً للأرمنية فى آن واحد . ولكن أحداً لم يتقبل ولاءه المزدوج . اضطر المخيتاريون أن يرحلوا إلى المورة باليونان الواقعة تحت سيطرة البندقية وقتئذ . وفى عام ١٧١٢ اعترف الفاتيكان بنظام الرهبنة المخيتارى . وفى عام ١٧١٥ احتل العثمانيون المورة وهدموا الدير المخيتارى ، فاضطر القساوسة إلى الارتحال صوب البندقية . وفى عام ١٧١٧ سافر مخيتار إلى روما للدفاع عن نظامه ضد الشائعات المستمرة . نجح فى إقناع الفاتيكان بصحة معتقده وكرس بقية حياته للنشاطات الدينية والفكرية . توفى بـ سان لازارو يوم ٢٧ أبريل ١٧٤٩ . وفى عام ١٧٧٣ غادر البندقية بعض الآباء المخيتاريين المستاءين وأسسوا فرعاً مستقلاً للنظام فى تريست عام ١٨٠٣ . وفى أعقاب حملة نابليون على إيطاليا ، هربوا إلى فيينا ، حيث أسسوا مركزاً جديداً فى عام ١٨١١ . ولاتزال التجمعات المخيتارية فى البندقية وفيينا نشيطة حتى الوقت الراهن .

Bournoutian : op. cit., pp. 10 - 11 .

(٢٦) أسس المخيتاريون مدارس وأصدروا دوريتين هما : « بازمافيب » التى صدرت فى البندقية منذ عام ١٨٤٣ و « هانتيس أمسوريا » التى صدرت بـفيينا بدءاً من عام ١٨٨٧ .

Ibid : p. 11.

(٢٧) ركزت المناهج التعليمية بالمدارس الأرمنية على اللغات الأرمنية والتركية والفرنسية ، وبدرجة أقل على الإنجليزية والألمانية . ودرِّست جغرافية الدولة العثمانية وتاريخها بشكل أساسى ، وجغرافية أرمينية وتاريخها على نحو غير رسمى .

Alaux, Louis : " The Armenian Schools in the Ottoman Empire", Armenia, Vol. 1, No. 5, 1905, pp. 44 - 46 .

(٢٨) تأخر تأسيس المعاهد الأرمنية إلى أواخر القرن التاسع عشر عندما أسس الأرمني الروسي ساناساريان المعهد الذي حملت اسمه في أرضروم عام ١٨٨١ ، ثم تأسس معهد الهندسة بالأستانة ومعهد بربريان بضاحية إسكودار بالأستانة في عام ١٨٨٧ .

Ibid .

(٢٩) من هؤلاء : الجاثليق خريميان (١٨٢٠ - ١٩٠٧) ، الشاعر بدروس توريان (١٨٥١ - ١٨٧٢) ، الناقد الساخر هاجوب بارونيان (١٨٤٥ - ١٨٩١) ، الفقيه كريكور أوديان (١٨٣٤ - ١٨٨٧) ، الموسيقار جوميداس (١٨٦٩ - ١٩٣٥) وغيرهم .

Bournoutian : op. cit., p. 21 .

(٣٠) تجدر الإشارة إلى أن اللغة الأرمنية هي خامس لغة تُطبع بها الكتب بعد اللغات اللاتينية واليونانية والعربية والعبرية منذ اختراع الطباعة . ففي عام ١٥١٢ طُبع بالبندقية أول كتاب بالأرمنية وهو تقويم كنسي . وفي عام ١٥٩٥ أسس آبكار التوكادلي أول مطبعة باللغة الأرمنية في البندقية ثم نُقلت بعد عامين إلى الأستانة . وفي عام ١٦٦١ طُبع الكتاب المقدس بالأرمنية في أمستردام بهولندا . ولم تُؤسس مطبعة بالأرمنية في أرمينية ذاتها إلا في عام ١٧٧٤ بـ إيتشميادزين . أما أول صحيفة أرمنية فهي « أزترار » (المنبه) . وقد أسستها الجالية الأرمنية بـ مدراس في الهند عام ١٧٩٤

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٢٢٩

(٣١) ازدهرت الصحافة بين الأرمن الذين كانت لهم - إلى جانب صحافتهم - صحافة تركية صادرة بالخط الأرمني موجهة إلى الأرمن الناطقين بالتركية مثل «منادي» و « منظومي إيفيكيار » (جامع الآراء) . كما نشر الأرمن صحافة باللغة والخط التركيين مثل « تياترو » و « صحت » (المجلة الصحية) . هذا، وقد عمل بعض الأرمن ناشرين ومترجمين وطباعين ومصممين ومخرجين في الصحافة العثمانية .

Caprielian, Ara : " The Role of the Armenians in the Ottoman Empire" .The Armenian Review, Vol. 21, No. 83, Los Angeles, 1968, pp. 53 - 55.

(٣٢) كانت أكثر الجرائد تأثيراً في أرمينية الغربية « نسر ڤاسبوراجان » و «نسر دارون» اللتين أصدرهما الأب خريميان على التوالي في ڤان وموش .

Bournoutian : op. cit., p. 19 .

(٣٣) ركز المبشرون الكاثوليك جهودهم على الأرستقراطية الأرمنية ، بينما ركز البروتستانت على المثقفين ورجال الدين والحرفيين الأرمن . وقد حققت الكاثوليكية والبروتستانتية مراكز ثابتة بين الأرمن

العثمانيين بفضل التفوق العلمى لمبشريهم ناهيك عن مؤازرة الدول الأوربية والولايات المتحدة لهم .
وللمزيد :

Artinian, Vartan : " The Formation of Catholic and Protestant *Millets* in the Ottoman Empire" , The Armenian Review, Vol. 28, No. 109, Los Angeles, 1975, pp. 1 - 11 .

(٣٤) Bournoutian : op. cit., p. 21.

(٣٥) احتوى الدستور الأرمنى على «٩٩» بنداً شملت الشئون الدينية والمدنية للأرمن على كافة المستويات . تكون المجلس الملى من «١٤٠» نائباً من الأرمن : «٢٠» رجل دين و «٨٠» علمانياً من الأستانة و «٤٠» من المراكز المدنية . لم يكن أرمن الولايات الست مشمولين ضمن هذا المشروع أو متأثرين به . شارك المجلس فى انتخاب بطاركة القدس والأستانة وجاثليق إيتشميادزين .

Atamian : op. cit., pp. 24 - 41.

(٣٦) كرسام أهارونيان : القضية الأرمنية أمام الرأى العام العربى ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٩ .

(٣٧) Bournoutian : op. cit., p. 85.

(٣٨) فرانسوا چورچو : « النزع الأخير » (١٨٧٨ - ١٩٠٨) ، فى تاريخ الدولة العثمانية ، إشراف : روبير مانتران ، ترجمة : بشير السباعى ، جزءان ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، الجزء الثانى ، ص ٢١٥ .

(٣٩) Bournoutian : op. cit., p. 86 .

(٤٠) كانت بلاد الأرمن بعيدةً عن أوربا عكس بلاد اليونان التى ارتبط بها الأوربيون روحياً .

عبد العزيز الشناوى : المصدر السابق ، ص ص ١٥٤٦ - ١٥٤٨ .

(٤١) Hovannisian : op. cit., p. 13 .

(٤٢) قضت غزوات البيزنطيين والعرب المسلمين والأتراك والمغول والتركمان على معظم سلائل الأمراء الإقطاعيين والقادة العسكريين الأرمن . بيد أن بعضهم هرب إلى المناطق الجبلية بأرمينية لاسيما كاراباخ وزيتون اللتين ظلتا تتمتعان بحكم ذاتى . هاجمت القوات العثمانية زيتون ، لكنها فشلت فى الاستيلاء عليها بسبب دفاع حكامها من الأمراء الأرمن . وفى النصف الأول من القرن السابع عشر وافق السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) أن يترك أهل زيتون فى سلام مقابل تقديمهم زيت مصابيح مسجد آيا صوفيا . ولم يُرسل إلى هناك موظفين أتراك ، أما السكان فقد نالوا حكماً ذاتياً وتم تسليح بعضهم .

Bournoutian : op. cit., p. 87 .

(٤٣) Ibid : p. 88 .

ثمة ملاحظة مؤداها أنه بينما كان الدم العثماني يهرق في جبال زيتون لم تُسفك أية قطرة من دماء الأرمن قاطني الولايات الأخرى لأن السلطان عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦) لم يشأ أن يُحمل تبعة الأرمن الأبرياء خارج زيتون .

أستارچيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ، ١٩٥١ ص ٢٧٢ .

(٤٤) لم يُسفر تمرد زيتون عن أي حل للمشكلات الأرمنية ، وُجل ما هنالك أنه زود الأرمن مزيداً من الجرأة.

كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٤٥) تمرد القرويون البوسنيون والبلغاريون بين عامي ١٨٧٥ – ١٨٧٦ ضد سوء الحكم العثماني . بيد أن سكان قرى عديدة بأكملها قد ذُبحوا انتقاماً لذلك . عندئذٍ ، طالبت أوربا وصحافتها بحل فوري لشكاوى مسيحيي البلقان على مدى قرن .

Shaw, Stanford J. & Shaw, Ezel Kural : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, 2 Vols, London, 1978, Vol.2, pp. 165 - 166, 172 -174 .

(٤٦) أُطلق على هذا الدستور اسم « القانون الأساسي » . وقد أكد أن للجميع حقوقاً مدنية وحرية دينية وسلامة الحياة والرفاهية ، وكفل مساواة جميع الرعايا أمام القانون . انعقد البرلمان في ١٩ مارس ١٨٧٧ . بيد أن عبد الحميد قد ضاق به ، فحله في ١٤ فبراير ١٨٧٨ وأوقف العمل بالدستور ونفى أعضاء البرلمان .

Ibid : pp. 174 - 182 .

(٤٧) رفض عبد الحميد رسمياً في ٢٠ يناير ١٨٧٧ مقترحات الدول الكبرى المتعلقة بالإصلاحات الخاصة بمسيحيي البلقان والأناضول (الأرمن) . وبذا ، انفض مؤتمر الأستانة دون الوصول إلى نتيجة حاسمة .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(٤٨) Bournoutian : op. cit., p. 90 .

كانت الدولة العثمانية آنذاك متأخرة في مضمار الحضارة محرومة من الطرق المعبدة ووسائل النقل البخارية . لذا ، نقل حوالي من « ٢٠–٣٠» ألف أرمني على ظهورهم الأسلحة والمؤن إلى جبهة القتال منساقين بالعصي .

أستارچيان : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٤٩) Shaw : op. cit., pp. 182 - 184.

(٥٠) انضم بعض الأرمن الغربيين إلى القوات الروسية متأثرين بالدعاية الروسية لمساعدتهم فى الحصول على الاستقلال وإنشاء دولة مستقلة لهم فى شرقى الأناضول . لهذا ، أعملت الحكومة العثمانية نهباً وحرقاً وتدميراً وأسراً فى الولايات الأرمنية .

عبد العزيز الشناوى : المصدر السابق ، ص ص ١٥٤٨ - ١٥٥٠ .

(٥١) Hovannisian : op. cit., p.14 .

(٥٢) منحت معاهدة « سان إستيفانو » الاستقلال التام لرومانيا وصربيا والجبل الأسود . كما منحت بلغاريا حكماً ذاتياً واسعاً شمل معظم مقدونيا . وللمزيد :

Shaw : op. cit., p. 188 .

(٥٣) تُعد معاهدة « سان إستيفانو » أول معاهدة دولية فى التاريخ الحديث يُذكر فيها اسم « أرمينية » .

Toriguian, Shavarsh : The Armenian Question and International Law, Beirut, 1973, p. 18.

(٥٤) Bournoutian : op. cit., p. 91 .

(٥٥) Shaw : op.cit., p. 190 .

(٥٦) اشترك فى مؤتمر برلين كل من الدولة العثمانية وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا - المجر وإيطاليا . وتجدر الإشارة إلى أن المؤتمرين فى برلين لم يسمحوا للوفد الأرمنى بالدخول إلى مقر الاجتماع ، بل اكتفوا فقط بأخذ مذكرتهم الحاوية مطالبهم .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٥٧) مُنح الإنجليز جزيرة قبرص « مفتاح الغرب » ، وهى قاعدة مهمة فى البحر المتوسط تُمكنهم من مراقبة قناة السويس بعناية . وفى المقابل ، تعهدوا إذا قامت الحكومة العثمانية بإصلاحات جديدة سوف تحميها ضد أى هجوم روسى فى الأناضول : أى أرمينية الغربية تحديداً . وأعادت روسيا إلى الدولة العثمانية إقليمى ألاشجيرد وبايزيد فقط وأبقت لنفسها أقاليم أولطى وقاغزڤان وجارس وأردهان وأرتڤين وباطوم .

وللمزيد حول نتائج معاهدة برلين :

Shaw : op. cit., pp. 190 - 191 .

(٥٨) Toriguian : op. cit., p. 18 .

(٥٩) Bournoutian : op. cit., p. 92 .

(٦٠) Hovannisian : op. cit., p. 15 .

(٦١) Sonyel : op. cit., pp. 74 - 77 .

(٦٢) Bournoutian : op. cit., p. 92 .

(٦٣) Hovannisian : op. cit., p. 16 .

(٦٤) تأسست أول جمعية أرمنية سرية محلية وهى « جمعية اتحاد الخلاص » فى ڤان بأرمينية الغربية عام ١٨٧٢ . ثم تأسست بها أيضاً « جمعية الصليب الأسود » فى عام ١٨٧٨ . وتُعد جمعية « حماة الوطن » التى تأسست فى أرضروم عام ١٨٨١ أهم هذه الجمعيات . وقد تكونت هذه الجمعيات من ثلاث شرائح . الأولى : الزعماء الذين يرسمون الخطط ويُصدرون الأوامر . الثانية : الشباب المثقفون الذين ينشرون الدعايات ويُجندون الأنصار ويجنون الأموال . الثالثة : العوام الذين يُناط بهم تنفيذ الأوامر .

نعيم اليافى وخليل الموسى : نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثمانى ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ١٩٩٥ ، ص ص ٧٦ - ٧٧ .

(٦٥) أسس پورتوكاليان صحيفة « أرمينية » فى مارسيليا بفرنسا - بعد طرده من الدولة العثمانية - لتكون لسان حال حزبه . وظلت هكذا حتى وفاته فى عام ١٩٢١ . فى نهاية القرن التاسع عشر انخرط عدد من أعضاء الأرميناجان فى حزبى الهنشاك والطاشناق . وأخيراً ، انضمت أغلبية الأعضاء إلى حزب ساهماناتير رامجاڤار ثم الرامجاڤار .

Atamian : op. cit., pp. 93 - 94 .

(٦٦) أصدر حزب الهنشاك صحيفة « هنشاك » لساناً لحاله فى ذات سنة تأسيسه بچنيف وحررها مؤسس الحزب أڤيديس نزارپيجيان . هذا ، وقد اعتمد حزب الهنشاك فى مؤتمره العام المنعقد خلال سبتمبر ١٩٠٥ برنامج حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى بزعامة لينين برنامجاً له مع بقائه مستقلاً عنه .

Ibid : pp. 96 - 100 .

(٦٧) قرر حزب الهنشاك رسمياً حل نفسه بالاتحاد السوڤيتى فى مؤتمره العام المنعقد بتفليس عام ١٩٢٣ . ولم ينجح هذا الحزب بسبب إدارته المركزية القوية وعدم انتظام تشكيلاته الداخلية . ناهيك عن اختلاف الرأى والانقسام بين رؤسائه وأعضائه .

أستارچيان : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٦٨) أصدر حزب الطاشناق صحيفة « تروشاج » (العلم) فى تفليس عام ١٨٩٠ التى غدت إصداره

الرئيسى وصوته الرسمى . ثم أصدر مجلة « برو أرمينية » فى باريس عام ١٩٠٠ وصاحفها عدد كبير من رجال الفكر والسياسة الفرنسيين .

Dasnabedian, Hratch : History of the Armenian Revolutionary Federation Dashnaktsutiun 1890 - 1924 , Milan , 1990, pp. 29 - 32, 36, 55 - 56, 61 - 62 .

(٦٩) Ibid : pp. 33 - 34 .

(٧٠) Walker, Christopher J. : Armenia, The Survival of a Nation, London, 1980, p.131 .

(٧١) Bournoutian : op. cit., p. 94 ;
Sonyel : op. cit., pp. 126 - 131 .

(٧٢) فشلت هذه الإغارة بسبب قلة تجاربهم واصطدامهم بالأكراد . وتجدر الإشارة إلى أن جنود القوزاق الروس قد قبضوا على أفراد هذه القوة وحاكمتهم السلطات الروسية .

Walker : op. cit., p. 133 .

(٧٣) يُلاحظ أن إنشاء الفرق الحميدية يندرج أيضاً فى اطار سياسة عبد الحميد الكردية التى تتمثل فى السعى إلى تعزيز تضامن المسلمين وتجنب أى تواطؤ بين الأكراد والأرمن . فمثل هذا التواطؤ من شأنه أن يجعل الدفاع عن شرقى الأناضول أمراً بالغ الصعوبة .

فرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٢١٩ ؛

مروان المدور ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ؛

نعيم اليافى وخليل الموسى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٧٤) يقع قضاء ساسون الجبلى جنوب سنجق موش من أعمال ولاية بيتليس بين سلسلتى جبال كورنيك وآندوك . ويشمل « ١١٠ » قرية يقطنها حوالى « ٢١ » ألفاً منهم « ٤٠ » ٪ أرمن والباقى أكراد وچراكسة وغيرهما .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٧٥) Walker : op. cit., pp. 136-144;
The Armenian Genocide, Documentation, Germany , 1987, Vol . 1, p. 50 , 58 .

(٧٦) اجتهدت الحكومة العثمانية فى نفى إصدارها أوامر بقتل أرمن ساسون وأوحت إلى صحافتها بإلقاء تبعة هذه الأوامر على عاتق ثريا باشا كبير أمناء عبد الحميد . وللمزيد :

Sonyel : op. cit., pp. 163 - 172 ;
Hovannisian : op. cit., p. 16 .

(٧٧) Bournoutian : op. cit., pp. 94 - 95 .

(٧٨) لمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث :

The Armenian Genocide, Vol. 1, pp. 120 - 142, 154 - 194 ;

Sonyel : op. cit., pp. 185 - 208 .

(٧٩) يقع البنك العثماني في قلب حي جالاتا بالأستانة . كان البنك عثمانياً فقط في اسمه ؛ فهو الأداة الرئيسية التي من خلالها مارس الرأسماليون الأوربيون أعمالهم في الدولة العثمانية . وكان تأمين الذهب في السراديب دولياً وليس عثمانياً . ويُعد مبنى البنك ذاته بمثابة قلعة حصينة هيابة . وقد قاد هذا الهجوم بابجين سيوني (١٨٧٩ - ١٨٩٦) الذي قُتل ثم خلفه أرمن كارو باسدرمچيان (١٨٨٣ - ١٩٢٤) .

وللمزيد عن كيفية اقتحام الطاشناقيين البنك :

Walker : op. cit., pp. 164 - 165 .

(٨٠) Dasnabedian : op. cit., p. 48 .

(٨١) انحصرت مطالب الطاشناقيين في الآتي : مندوب سامي أوربي للولايات الست ، موظفون محليون يُعينهم المندوب السامي ، تشكيل شرطة مختلطة أرمنية - عثمانية ، إصلاحات قضائية ، حرية العبادة والتعليم والصحافة ، إعادة الأملاك المغتصبة ، السماح بعودة الأرمن الفارين ، منح عفو عام للسياسيين الأرمن ، تشكيل الدول الكبرى لجنة مؤقتة للإشراف على الإجراءات السابقة .

Sonyel : op. cit., p. 211 .

(٨٢) ينظر البعض إلى حادثة البنك العثماني بوصفها أول عمل من نوعه في تاريخ الإرهاب السياسي في العصر الحديث . بينما يعتبرها آخرون مخاطرة ساذجة ، وأن القائمين عليها لم يكونوا مغامرين سياسيين متمرسين فحسب ، بل كانوا شباباً صغاراً يعتنق بعضهم المثالية السياسية بينما كان بعضهم الآخر من مثيري الإرهاب .

Dasnabedian : op. cit., p. 48 ;

Walker : op. cit., p. 166.

(٨٣) Sonyel : op. cit., p. 215 .

(٨٤) Walker : op. cit., p. 167 .

(٨٥) يُقدر عدد القتلى خلال هذين اليومين من خمسة إلى ستة آلاف قتيلاً .

The Armenian Genocide, Vol. 1, pp. 195 - 201, 215 - 221.

(٨٦) أحدثت مذبحة الأستانة « موجة تعاطف » فى أوربا إزاء الأرمن . وساعتئذٍ ، تحدث المجلس الوطنى الفرنسى عن حقوق الأرمن ، وضاعف جلادستون جهوده لصالحهم . حتى روسيا بدأت تستعد لهجوم بحرى . وبسبب هذه المذابح ، أطلق كليمنصو على عبد الحميد لقب « السلطان الأحمر » وسماه جلادستون « القاتل الأعظم » . ويُعلق عبد الحميد على هذا بقوله : « بقدر ما أحمل من أوسمة أجنبية بقدر ما سُميت بأسماء أُطلقت علىَّ من هذه البلاد الأجنبية . لستُ غير محق أن أفخر بهذا » .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ؛

مذكرات السلطان عبد الحميد : مصدر سابق ، ص ٧٦ ، ٨٢ .

(٨٧) Bournoutian : op. cit., p. 94 .

(٨٨) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٨٩) فرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٩٠) نفسه : ص ٢٢١ .

(٩١) بالإضافة إلى المناطق التى خسرتها الدولة العثمانية إثر الحرب الروسية ـ العثمانية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ ، خسرت أيضاً تونس (١٨٨١) ومصر (١٨٨٢) . وللمزيد :

Shaw : op. cit., pp. 190 - 195 .

(٩٢) Bournoutian : op. cit., p. 95 .

(٩٣) فرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

(٩٤) Bournoutian : op. cit., p. 95 .

(٩٥) Walker : op. cit., pp. 172 - 173 .

(٩٦) مذكرات السلطان عبد الحميد : مصدر سابق ، ص ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٩٧) يرجع تأسيس حركة « تركيا الفتاة » إلى عام ١٨٨٩ عندما أسس بعض طلاب مدرسة الطب العسكرى بالأستانة جماعة سرية لمعارضة نظام عبد الحميد أُطلق عليها « لجنة الاتحاد العثمانى » . وقد انتمى إليها بادئ ذى بدء أتراك وأكراد وألبان وعرب مسيحيون . ثم انتشرت هذه الحركة خارج الدولة العثمانية : فى باريس وچنيف ولندن ورومانيا و (القاهرة) بين صفوف المنفيين هناك هرباً من الرقابة أو من الإبعاد إلى احدى الولايات البعيدة . وقد نشطت جماعة « تركيا الفتاة » بين عامى ١٨٩٥ ـ ١٨٩٧ داخل الدولة العثمانية وخارجها . إذ وزعوا سراً منشورات ساخرة من عبد الحميد داخل الدولة ، وتعاطف الرأى العام الأوربى معهم بسبب سياسة عبد الحميد القمعية ضد الأرمن . لهذا ، انزعج عبد الحميد . وبدءاً من عام ١٨٩٦ بذل كل ما فى وسعه لكبح جماح معارضيه فى الخارج . وتُعد الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر أوج عبد الحميد : ففى عام ١٨٩٦ نجح فى

قمع الأرمن ، وفى عام ١٨٩٧ أخمد صوت معارضيه من « تركيا الفتاة » وهزم الجيش اليونانى فى تساليا ، وفى عام ١٨٩٨ ضمن صداقة ألمانيا . بيد أنه منذ عام ١٩٠١ انبعثت المعارضة ثانيةً عندما انضم صهر عبد الحميد : محمود باشا داماد (١٨٥٣ ـ ١٩٠٣) وابناه صباح الدين ولطف الله إلى « تركيا الفتاة » فى أوربا إثر خلافهما حول منح امتياز سكة حديد بغداد . فبينما آثر داماد بريطانيا، منحه عبد الحميد لألمانيا . ويُعد هذا ضربة شديدة لعبد الحميد ، لأن المعارضة هنا اخترقت قلب القصر السلطانى ذاته .

حول نشأة حركة « تركيا الفتاة » وتطورها :

أرنست . أ. رامزور : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة : صالح أحمد العلى ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ص ٤٩ ـ ٨٩ .

(٩٨) نفسه : ص ص ٩٣ ـ ١١٦ .

(٩٩) لم تقتصر العمليات الإرهابية الأرمنية ضد الدولة العثمانية فحسب ، بل امتدت أيضاً ضد روسيا القيصرية التى سعت إلى « ترويس » الأرمن دينياً وجنسياً . وكان الرد الأرمنى : عصيان مدنى ، مظاهرات ، إضرابات ، اعتداءات . كما وجهت الأحزاب الأرمنية ـ لاسيما الطاشناق ـ نشاطاتها الثورية ضد روسيا .

Sonyel : op. cit., pp. 245 - 246 .

(١٠٠) Ibid .

(١٠١) Dasnabedian : op. cit., pp. 73 - 76 .

(١٠٢) حول محاولة الطاشناقيين اغتيال عبد الحميد وأثر ذلك عليه :

Sonyel : op. cit., pp. 261- 265 .

(١٠٣) Shaw : op. cit., p. 265 .

(١٠٤) تكونت رئاسة هذا المؤتمر من أحمد رضا (تركيا الفتاة) والأمير صباح الدين (الأحرارالعثمانيين) وخاتشادور مالوميان (الطاشناق) .

أرنست . أ. رامزور : المصدر السابق ، ص ص ١٣٩ ـ ١٤٥

(١٠٥) نفسه : ص ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ؛

Sonyel : op. cit., p. 278 .

(١٠٦) فى تلك الأثناء ، ارتفعت الأسعار ، شحت أخشاب التدفئة والفحم ، هزلت المحاصيل الزراعية ، نشبت تمردات متعاقبة فى شرقى الأناضول ، تمرد الجنود مراراً بسبب تأخر رواتبهم .

فرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(١٠٧) نفسه : ص ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(١٠٨) أرنست . أ. رامزور : المصدر السابق ، ص ص ١٤٦ ـ ١٥٢ .

(١٠٩) Bournoutian : op. cit., pp. 96 - 97.

(١١٠) Hovannisian : op. cit., p. 18 .

(١١١) إلى جانب النواب الأتراك الـ «١٤٧» ، ضم هذا البرلمان «٦٠» عربياً ، و «٢٧» ألبانياً و «٢٦» يونانياً وسلافياً وأربعة يهود .

Shaw : op. cit., p. 278 .

(١١٢) Sonyel : op. cit., p. 280 .

(١١٣) أسس الأمير صباح الدين حزب « الأحرار العثمانيين » فى ١٤ سبتمبر ١٩٠٨ ، وكان يدعو إلى المساواة بين المسلمين وغيرهم . كما يدعو إلى اللامركزية . لذا ، وجد دعماً قوياً من العناصر غير التركية فى الدولة العثمانية .

Shaw : op. cit., pp. 276 - 277 .

(١١٤) Ibid : pp. 279 - 281 .

(١١٥) شملت هذه المذابح إقليم قيليقية المؤلف من ولايتى أضنه ومرعش . كما شملت إقليم أنطاكية بولاية حلب شمال سورية . وثمة خلاف حول مدبرى هذه المذابح . فيرى البعض أنها من تدبير حكام الدولة الجدد ، بينما يرى آخرون أنها من تدبير أنصار عبد الحميد للثأر من الأرمن المعادين له وإحراجاً لمركز الحكام الجدد . وتُشير إحصائية عن خسائر قيليقية وقتئذ إلى موت «٢٨١٠٣» نسمة ، تدمير «٣٤» كنيسة ، «١٩» مدرسة ، «٦٤٦٠» منزلاً ، «٥٩٥» محلاً ، «٢٦٥» مزرعة ، «٤٣» فندقاً ومصنعاً ، وتم ترحيل حوالى «٧٩٠٣» طفل أرمنى . وللمزيد :

مولان زاده رفعت : الوجه الخفى للانقلاب التركى ، تعريب : توفيق برو ، مطبعة الوقت ، حلب ، ١٩٩٢، ص ص ١٠٥ ـ ١١٦ ؛

Yeghiayan, Puzant : Heroes of Hayastan, Cairo, 1993, p . 522 .

(١١٦) Shaw : op. cit., pp. 281 - 282 .

❀ ❀ ❀

الفصل الثانى

الاتحاديون والأرمن
١٩٠٩ ـ ١٩١٨

١ ـ تنامى الطورانية : تضخم الذات التركية
٢ ـ الجينوسيد الأرمنى : أم المآسى
٣ ـ ما وراء القوقاز : لعنة الجغرافيا
٤ ـ الجمهورية الأرمنية : عصفور فى اليد

١ – تنامى الطورانية : تضخم الذات التركية

فى أعقاب ثورة « تركيا الفتاة » عام ١٩٠٨، تدفق على الدولة العثمانية مناضلو حركة تركيا الفتاة واللاجئون السياسيون الأرمن والبلغار ناهيك عن أتراك من روسيا . وهكذا ، تغلغلت فى الدولة ذخيرة كاملة من الأفكار الجديدة : التجديد الإسلامى والشعبية والقومية والتضامنية والاشتراكية . بيد أن تيارين كبيرين انبثقا فى طوفان الأفكار التى اجتاحت الدولة واستقطبا حولهما مجمل الحياة الفكرية . إذ يقف « التيار الإسلامى » على طرف المروحة الأيديولوچية ، فى حين يقف « التيار التغريبى » على طرفها الآخر . (١)

وبين هذين التيارين المهيمنين على المسرح الفكرى العثمانى ، يظهر تدريجياً تيار من نمط ثالث يتحسس خطاه : إنه النزعة التركية القومية . وقد انبثقت هذه النزعة من لقاء تيارين بعد اندلاع ثورة ١٩٠٨ هما : حركة مسلمى روسيا الذين وجدوا فى اتحاد الشعوب التركية فى روسيا القوة الضرورية لمقاومة خطر الجامعة السلافية ، وحركة علمية ثقافية وُلدت فى الأستانة تتجه إلى « استكشاف » ماضى الأتراك وهويتهم . هذا ، وقد جندت لجنة الاتحاد والترقى ، وهى لاتزال فى سالونيك ، عدداً من الكتاب والشعراء للبحث عن « لغة جديدة » : أى تركية مبسطة ونقية من المفردات العربية والفارسية . (٢)

هنا تحديداً ، بدأ الاتحاديون مساعيهم إلى فرض استعمال اللغة التركية على جميع قوميات الدولة العثمانية . واعتلى ضياء چوك ألب (١٨٧٦ – ١٩٢٤) على رأس جميع الكتاب والشعراء حتى أضحى « أيديولوچى » لجنة الاتحاد والترقى التى تبنت تدريجياً النزعة التركية القومية على يديه . ودعت قومية چوك ألب إلى ضرورة «ثورة اجتماعية» تبحث عن حياة « قومية جديدة » وإلى « قيم جديدة » ليست مجرد تقليداً لأوربا ، بل هى نتاج تركيب بين « الثقافة القومية » و « الحضارة الأوربية » . وبذا ، أرسى چوك ألب أسس مفهوم رومانتيكى لـ « النزعة التركية القومية » . بيد أن هذه الأفكار لم تجد جمهوراً لها ساعتئذٍ خارج أوساط محدودة فى سالونيك والأستانة . (٣)

وبعد أن غدا الاتحاديون القوة السياسية المسيطرة على الدولة العثمانية ، لزم عليهم

العمل من أجل إنقاذ وحدة دولتهم المهددة بدرجة خطيرة وتطبيق الجزء الأول من شعارهم : « الاتحاد » . فما هى السياسة التى سوف يتبعونها إزاء مشكلة « الأقليات العرقية » ؟ .

نظر الاتحاديون إلى « الاتحاد » على أنه اتحاد جميع العناصر العرقية فى الدولة العثمانية ؛ أى إنهاء الاتجاهات الخصوصية أو الاستقلالية أو الانفصالية بين صفوف قوميات الدولة ، أكانت مسلمة أم مسيحية . وفى حالة غير المسلمين ، أراد الاتحاديون القضاء على « الملل » ؛ الجماعات العرقية – الدينية شبه المستقلة لأنها – فى منظورهم – لا تتماشى مع مفهومهم عن الاتحاد ، بل إنها تُمثل تحدياً حقيقياً للمفهوم الذى يتصورونه عن الدولة . ومن هنا ، لابد أن يكون الجميع مواطنين عثمانيين سواسيةً أمام القانون لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، ولا يُوجد بعد يونانيون ويهود وعرب وأتراك وأرمن . (٤)

بيد أن قوميات الدولة العثمانية لها مفهوم آخر عن « الاتحاد » . فبالنسبة لغير المسلمين ، كان الاتحاد يعنى المساواة بين الملل ، بل تنمية نظام الاستقلال الثقافى الذى بموجبه يصيرون أرمن أو يونانيين أولاً ثم رعايا عثمانيين ثانياً . (٥)

والواقع أن هذه الاختلافات فى طريقة فهم « الاتحاد العثمانى » والتى كانت مطموسة مؤقتاً فى فورة حماس الثورة ، قد ظهرت بشكل سافر غداة يولية ١٩٠٨ . إذ منح مناخ الحرية طموحات القوميات وسائل جديدة للتعبير عن ذاتهم بخلاف البندقية أو القنبلة مثل التطور غير العادى للصحافة وظهور صحف بشتى لغات الدولة مع تكاثر الأندية الثقافية والجمعيات ذوات الأساس العرقى أو الدينى . (٦)

كما أتاح البرلمان منبراً للقوميات كى تُسمع صوتها . ولكن برلماناً يشمل تحت قبته « أخلاط » عناصر : تركية وعربية وألبانية ويونانية وأرمنية وسلافية ويهودية لابد وأن يتسم بـ « غياب الانسجام » . ورغم هذا ، اتخذت الأقليات والنواب الأحرار موقفاً أكثر ليبرالية شطر المشكلة القومية كما طرحها الاتحاديون . وفى محازاة الوسائل الشرعية ، ماانفك الغليان القومى يتواصل خلال شتاء ١٩٠٩ : إذ استُؤنفت الصدامات بين الأكراد والأرمن فى شرقى الأناضول ونشبت القلاقل فى ألبانيا . (٧) وهكذا ، زادت إعادة الدستور حدة المشكلات القومية بدلاً من تخفيفها . عندئذٍ ، راح

الاتحاديون يُجربون التفاوض مع حزب الطاشناق الأرمني والبطريركية اليونانية . لكن انقلاب أبريل ١٩٠٩ الذى قامت فيه الأقليات بدور (الألبان) أو أيدته (اليونانيون) ، وبعد مذابح آضنه التى دشنت مناخ تخوف شديد لدن الأرمن ، لهذا كله ، اجتهد الاتحاديون فى تطبيق تصورهم لـ « الاتحاد » عن طريق سلسلة من التدابير : إغلاق الجمعيات والأندية ذوات الطابع العرقى ، القضاء على الجماعات المسلحة فى مقدونيا ، إلزام غير المسلمين بأداء الخدمة العسكرية . وأخيراً ، سعى الاتحاديون إلى تعزيز توحيد البلاد عبر مركزة النظام التعليمى وفرض تفتيش على مدارس الأقليات وفرض اللغة التركية على المدارس والمحاكم . فى كلمة : انتهاج سياسة عثمنة ثقافية . ولكن هذه التدابير لم تُثمر إلا عن استثارة السخط لدى الألبان والعرب مروراً بيونانيى الدولة وأرمنها . (٨)

فى تلك الأثناء ، وقعت الحرب الإيطالية – التركية (١٩١١ – ١٩١٢) واندلعت القلاقل فى ألبانيا (٩) مما أدى إلى أصداء عميقة فى الأستانة ودشن سلسلة من الأزمات السياسية . وعندئذٍ ، تعززت المعارضة . ففى نوفمبر ١٩١١ ، تشكل حزب « الائتلاف الليبرالى » (الأحرار) فى مجلس المبعوثان وأضحى بؤرة معارضة برلمانية انتقدت النزعة المركزية لدن الاتحاديين . ومن خلال مفارقة مأساوية ، جاءت الضربة من مقدونيا – الإقليم الذى ظل مخلصاً بامتياز للاتحادين – عندما تكونت « جماعة الضباط المخلصين » من بين صفوف الضباط المعادين للاتحاديين والعازمين على إنهاء الاضطهاد الذى يُمارسونه . عندئذٍ ، ألّف المشير أحمد مختار الغازى « الوزارة العظمى » فى ٢٣ يولية ١٩١٢ ، واستبعد منها جميع الاتحاديين ، وحل البرلمان . وبذا ، فقد الاتحاديون كل مواقعهم السياسية . (١٠)

وقتئذٍ ، رغم تزايد اعتداءات الأكراد على الأرمن بولايتى أرضروم وبيتليس منذ أبريل ١٩١٢ ، فقد ظل البطريرك الأرمنى فى الأستانة وحزب الطاشناق على ولائهما للباب العالى آملين تنفيذ الإصلاحات فى الولايات الأرمنية . (١١) وتجدر الإشارة إلى أن كبرييل نورادونجيان – الفقيه الأرمنى فى القانون الدولى العام ومستشار الباب العالى – قد أُختير وزيراً للخارجية فى وزارة الغازى (١٩١٢ – ١٩١٣). (١٢)

وعندما اندلعت الحرب البلقانية (١٩١٢ - ١٩١٣) ، أمرت الدولة العثمانية بتجنيد الأرمن فى جيوشها لأول مرة ، وشكلت منهم وحدات خاصة وزعتها على الجبهات الحربية . ولم يُعارض الأرمن هذا ، بل وجدوها فرصة لإثبات ولائهم للدولة العثمانية ، ومن ثم ، تحقيق مطالبهم بها . [١٣]

بيد أن إخفاق حكومة الأحرار فى الحرب البلقانية ، عزز معارضة الاتحاديين الذين نجحوا فى الاستيلاء على السلطة بعد الانقلاب المشهور بـ «الهجوم على الباب العالى» فى ٢٣ يناير ١٩١٣ . وهكذا ، وصل الاتحاديون إلى السلطة من جديد وظلوا بها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وانتهى الفاصل الليبرالى الذى لم يستمر إلا ستة أشهر . [١٤]

وفى موازاة الدوامات السياسية التى مرت بها الدولة العثمانية ، مرت فى الوقت ذاته بـ « أزمة معنوية » عميقة . إذ بدأ الارتياب فى التوجهات والأيديولوچيات التقليدية : الإسلامية والتغريبية . وفى المقابل ، ازدادت النزعة التركية القومية ترسخاً بين عامى ١٩١١ - ١٩١٢ . ولم تعد المسألة مجرد تنقية اللغة التركية وايجاد أدب قومى ، بل صارت مسألة عمل فى كافة المجالات التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية من أجل وحدة جميع الأتراك داخل الدولة وخارجها . وبعبارة أخرى : البحث عن بنية جديدة ومتجانسة للدولة التركية عوضاً عن الدولة العثمانية متعددة الأعراق والمستثمرة والمستغلة والضعيفة . والواقع أن الشبيبة التركية كانت « مهيأة » لتبنى الأفكار الجديدة . فلما كانت هذه الشبيبة لا تجد نفسها لا فى « إسلام محافظ » ولا فى « غرب مفتوح » ، فإنها باتت تنهمك فى البحث عن هويتها . [١٥]

هذا ، وقد خرجت الدولة العثمانية من الحرب البلقانية متهدمة ومستنزفة ومحرومة من جزء مهم من مواردها البشرية والمالية . ولهذا ، انكب الاتحاديون على إعادة بنائها ، والبحث عن سبل جديدة لـ « البقاء » أمام دولتهم . وسوف نشهد ، وقتئذٍ ، تنحية الأيديولوچية العثمانية التى كانت تُوجه العمل السياسى للاتحاديين . فمنذ حرمان الدولة من الولايات البلقانية ، شكلت « كُلاً » أقل اختلاطاً عن ذى قبل . [١٦]

هنا ، وجد الاتحاديون أنفسهم مدفوعين إلى إعادة التفكير فى إستراتيچيتهم

برمتها . والحق ، أن انطلاق جواد النزعة التركية كان قد ابتدأ منذ أن تحول المدافعون عن « التعايش الأخوى » بين جميع عناصر الدولة إلى « تمجيد الأمة التركية » إثر الانتكاسات الأولى التى كابدها « نظام » تركيا الفتاة منذ نهاية ١٩٠٨ . ثم مالبث أن تعزز هذا الاتجاه غداة الحروب البلقانية . (١٧)

ومنذ ظهور « الاتحادية » على المسرح السياسى راهنت على القيم التعبوية . إذ بدأت بامتطاء جواد النزعة العثمانية ؛ ثم تحولت إلى تمجيد الأمة والإخاء الإسلاميين . وأخيراً ، تحمست بشدة للوحدة القومية لتكون أحد دعامات النجاة النادرة التى يُمكن التشبث بها . وفعلاً ، تم الوصول إلى إجماع واسع حول هذا الهدف تحديداً فى عام ١٩١٤ . (١٨)

بيد أن غير الأتراك كانوا منذئذٍ شبه مستبعدين من هذا الإجماع . وحتى إذا كانت لجنة الاتحاد والترقى تُغازل العرب ، وتجتهد فى الحفاظ على اتصال مع الأقليات المسيحية خاصة الأرمن الذى يُشكل تطلعهم إلى الحكم الذاتى احدى المشكلات الرئيسية التى ينبغى على الاتحاديين مواجهتها ، فإن الأمة التركية وحدها هى التى تتعرف على ذاتها فعلياً . وهذا يعنى أن المثل الأعلى لـ « الاتحاد والإخاء » بين شتى جماعات الدولة – الذى دافع عنه المثقفون العثمانيون بحماس بالغ طيلة ما يربو على نصف قرن – لم يعد يُمثل عشية الحرب العالمية الأولى غير « عقيدة جوفاء » مناسبة فقط لـ « تزيين » الخطب الرسمية . وهكذا ، انخرطت الدولة العثمانية تحت قيادة الاتحاديين فى طريق الثورة القومية التى ستدفعها دفعاً إلى الانزلاق فى أتون الحرب كى تكتسب ثباتاً . (١٩)

كما أن هذه النزعة القومية الكاسحة ذات جناح اقتصادى . وتجدر الإشارة إلى أن أيديولوچيى النظام الاتحادى لم يكتفوا فقط بـ « التشهير » بمساوئ الامتيازات والتغلغل الغربى فى الدولة العثمانية ، بل دعوا إلى تكوين « بورچوازية قومية » تركية قادرة على مراوغة رأس المال الأوربى الجارف والإمساك بـ « زمام » المصير الاقتصادى للبلاد . هنا ، لابد من أجل تكوين هذه البورچوازية وخلق اقتصاد قومى ؛ الاصطدام بمنافسة « العثمانيين غير الأتراك » . وتحديداً ، المسيحيون الأكثر توجهاً

إلى التجارة الخارجية لاسيما الأرمن : عماد الاقتصاديات الزراعية والصناعية والتجارية والحرفية بالدولة العثمانية .[٢٠]

❀ ❀ ❀

٢ ـ الچينوسيد الأرمنى : أمر المآسى

فى ظل هذه الظروف ، بدأ زعماء الأرمن مرة أخرى يتطلعون إلى مساعدة خارجية أكثر نتيجة تخوفهم من هذه التطورات ووصول أكثر من «٥٠٠» ألف مهاجر من المسلمين والمسيحيين الوافدين من البلقان إلى أرمينية الغربية . ناهيك أن الوضع الدولى المتوتر قد أنعش مجدداً القضية الأرمنية .[٢١] زد على هذا ، تخلت روسيا عن سياستها العدائية ضد الأرمن ، ورأت أن من صالحها (بعد خيباتها فى الشرق الأقصى) لمنع سيطرة ألمانيا على الأناضول أن تتبع سياسة أكثر ليبرالية وتستقطب إلى جانبها الأرمن من رعاياها ورعايا الدولة العثمانية أيضاً .[٢٢]

ولهذا ، تجدد النشاط السياسى الأرمنى . فاتصل بوغوص نوبار باشا (١٨٥١ – ١٩٣٠) – زعيم أرمن المهجر – بناءً على تكليف من الجاثليق الأرمنى كيڤورك الخامس (١٩١٢ – ١٩٣٠) بساسة الدول الأوربية ليُبين لهم وجوب تنفيذ الإصلاحات الأرمنية تحت الرقابة الروسية . عندئذٍ ، تزعمت روسيا المطالبة الدولية بتنفيذ الإصلاحات .[٢٣]

وقد أفضت اتصالات روسيا مع الدول الكبرى عن وضع خطة مشروع إصلاحى يتضمن بنوده : وضع أرمينية الغربية (العثمانية) تحت إدارة حاكم غير تركى ، تكوين شرطة مختلطة ، حل القوات الحميدية ، إنهاء استقرار النازحين من البلقان فى الولايات الأرمنية ، تعويض الخسائر الاقتصادية للأرمن ، إبقاء الضرائب المجموعة من الولايات لصالح المشروعات المحلية مثل الإنفاق على المدارس . أكثر من هذا ، وُضعت قيليقية ضمن هذه الخطة . وحتى هذا الوقت ، لم يطلب الأرمن انفصال أرمينية الغربية عن الدولة العثمانية .[٢٤]

بيد أن ألمانيا والنمسا – المجر قد عارضتا هذه الخطة بدعوى أنها سوف تُؤدى إلى انفصال أرمينية الغربية عن الدولة العثمانية . ولكن روسيا واصلت مساعيها مما أسفر

عن مشروع آخر يتضمن : اعتبار الولايات الأرمنية العثمانية التى يقطنها الأرمن «سبعاً» هى طرابيزون وأرضروم وسيواس وڤان وبيتليس وخربوط وديار بكر ، وتقسيمها إلى إقليمين إداريين يتمتعان بحكم ذاتى محلى واسع النطاق تحت حماية الدول الأوربية وبإشراف مفتشين عامين يُنتخبان من مواطنى الشعوب الأوربية الصغيرة المحايدة . ويتكون الإقليم الأول من الولايات الثلاث الأولى ، بينما يتكون الثانى من الولايات الأربع الباقية . ولم تُوضع قيليقية ضمن هذا المشروع . وفى ٨ فبراير ١٩١٤ وافقت الدول الكبرى والدولة العثمانية على هذا المشروع . وبدأت الأستانة فى تنفيذه منذ مايو عندما عينت ويستننك الهولندى وهوف النرويجى مفتشين عامين للإقليمين المذكورين . [٢٥]

ويُمكن القول ، أن تدابير هذا المشروع الإصلاحى كانت أكثر الاقتراحات شمولية وأصدقها وعوداً من بين كل البرامج التى قُدمت منذ تدويل القضية الأرمنية فى برلين ١٨٧٨ . [٢٦] ولكن ، حتى مثل هذه الإصلاحات قد أزعجت الأتراك الذين رأوا فيها حكماً ذاتياً تدريجياً ربما يُفضى إلى استقلال نهائى على نحو ما حدث فى البلقان.[٢٧] زد هنا أيضاً ، أن هذا المشروع أثار مشاعر عدائية للأرمن لأن الأتراك عدوه «تدخلاً غير مقبول» من أوربا فى شئون دولتهم الداخلية . [٢٨]

بيد أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أتت بما لا يشتهى الأرمن وقلبت كل الحسابات إزاء أول خطوة جدية فى مسألة حل القضية الأرمنية عن طريق الإصلاحات الإدارية . والحقيقة أن نشوب هذه الحرب قد عرقل مسيرة تنفيذ الإصلاحات وأربك الزعماء الأرمن بشدة : هل ستدخل الدولة العثمانية النزاع ؟ . وهل ستغدو الهضبة الأرمنية المسرح المحتوم لحرب روسية - عثمانية أخرى ؟ . ولما كانت أرمينية تقع على طرفى الحدود ، فهل سيُلاقى الأرمن مجدداً معاناة حادة بغض النظر عمن سيظفر فى النهاية ؟ . [٢٩]

وكان يصعب جداً وقتئذٍ تحديد عدد الأرمن بدقة فى الدولة العثمانية . ففى حين قللت الإحصائيات العثمانية الرسمية (١٩١٤) من أعدادهم (١,٢٩٥,٠٠٠ نسمة) بغية إثبات أنهم يُؤلفون أقلية ، بالغت الإحصائيات الخاصة ببطريركية الأرمن

بالأستانة (٢,١٠٠,٠٠٠ نسمة) المسئولة عن مصالح الأرمن بهدف الحصول على امتيازات أكثر . ورغم تأرجح الحقيقة بين هذين الرقمين ، فطبقاً لإحصائيات البطريركية عاشت غالبية الأرمن بالدولة العثمانية فى الولايات الست ، بينما يقطن الأستانة حوالى « ١٥٠ » ألف أرمني ويسكن قيليقية حوالى « ٤٠٠ » ألف أرمنى . (٣٠)

ولم تُشارك الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى عند اندلاعها فى غرة أغسطس ١٩١٤ . ولكنها مالت إلى ألمانيا وعقدت معها اتفاقية سرية بالأستانة فى ٢ أغسطس شريطة أن يُساعد الألمان فى تحقيق حلم الطورانية : تتريك القوقاز وتوحيد الشعب التركى فى الأناضول وإيران وما وراء القوقاز وروسيا وآسيا الوسطى فى دولة تركية شاملة ذات بنية متجانسة ترتكز على مفهوم « القومية الواحدة والشعب الواحد » . (٣١)

ومن ناحية أخرى ، راحت الدولة العثمانية تستطلع سراً اتجاهات ممثلى قومياتها المتباينة فى حال دخولها الحرب . وقتئذٍ ، كان المؤتمر الثامن لحزب الطاشناق ينعقد رسمياً فى أرضروم بين يومى ٢ - ١٤ أغسطس ١٩١٤ . وعندئذٍ ، ذهب وفد اتحادى لمقابلة زعماء الطاشناق وعرض عليهم هذا الاقتراح : عند نشوب الحرب مع روسيا ، يجب على حزب الطاشناق أن يُحرّض الأرمن فى أرمينية الشرقية (الروسية) على القيام بثورة فيها بهدف تسهيل دخول القوات العثمانية إلى ما وراء القوقاز . ويعدهم الاتحاديون بمكافأة نظير ذلك : إقامة دولة أرمنية مستقلة تضم أرمينية الشرقية وولايات أرضروم وڤان وبيتليس . بيد أن زعماء الطاشناق رفضوا هذا الاقتراح ، وأكدوا تعهد حزبهم بتبنى الحياد . وفى حال نشوب الحرب ، فإن أعضاء الحزب مثل سائر أرمن الدولة العثمانية سوف يُؤدون واجباتهم بكونهم مواطنين مخلصين . (٣٢)

وهكذا ، قدم الطاشناقيون سلاحاً إلى الاتحاديين كى يستخدموه ضد الأرمن . وقتئذٍ ، اختلقت القيادة التركية الإشاعات وخلقت خوفاً « سيكوباتياً » فى الجيش وبين السكان الأتراك عن احتمالية قيام ثورة أرمنية ضد العثمانيين . ورغم هذا ، لم يكن لحظتئذٍ ثمة ما يُوحى بأنه حتى نوفمبر ١٩١٤ كان الاتحاديون قد قرروا إبادة الأرمن فى الدولة العثمانية رغم ارتفاع درجة التوتر بين الجانبين . (٣٣)

ومنذ قيام الحرب العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤ وعلى مدى ثلاثة شهور ، استمرت ألمانيا تضغط على الأستانة بأساليب متنوعة بغية ضمان دخولها الحرب وفتح جبهات متعددة في القوقاز وإيران ومصر لتشتيت قوى دول الوفاق (الحلفاء) . وأخيراً ، دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا في أوائل نوفمبر ١٩١٤ . (٣٤)

دارت رحى الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا على جبهة القوقاز . ومارست القوات العثمانية إستراتيچية هجومية بهدف الاستيلاء على إقليم ما وراء القوقاز الروسي وفتح الطريق شرقاً إلى آسيا الوسطى الروسية والهند وإيران . ناهيك عن تخفيف الضغط على حليفتيها ألمانيا والنمسا - المجر (الوسط) من شدة وطأة الهجوم الروسي في الجبهة الشرقية الأوربية . (٣٥) وسعى الاتحاديون إلى صبغ حربهم بالصبغة الدينية عندما أعلنوا في ٢٣ نوفمبر ١٩١٤ « الجهاد الديني » باعتباره «فرض عين » على جميع مسلمي العالم ضد «الملاحدة» . (٣٦)

وبينما كانت الحرب وشيكة الوقوع ، حثَّ الطاشناقيون ورجال الدين الأرمن بني جلدتهم كي يستجيبوا تماماً لأوامر التعبئة . عندئذٍ ، انصرف الأرمن العثمانيون على مضض إلى مراكز التجنيد طلباً للانخراط في صفوف الجيش (٦٠ ألفاً) . وقدم الزعماء الطاشناقيون تعهدات متكررة للاتحاديين على إخلاص الأرمن . بيد أن مكنونات الأرمن في سائر الدولة كانت تأمل انتصاراً روسياً ربما يضع حداً لاضطهاداتهم . ولكنهم لم يُعبروا علانيةً عن مشاعرهم وآثروا الفرار من الثكنات العثمانية في حالات متكررة . (٣٧)

أما على الجانب الروسي ، فمنذ دخول روسيا الحرب ، انخرط الأرمن في صفوف الجيش (١٢٠ ألفاً) ، وأُرسلوا إلى الجبهة الأوربية الشرقية . علاوة على هذا ، تطوع الأرمن الروس لمساعدة القوات الروسية وإرشادهم عبر الجبال الأرمنية في جبهة القوقاز . وهو ما لم يفعله الأرمن العثمانيون . هنا ، وظف الاتحاديون تشكيل فيالق المتطوعين الأرمن الروس في مجرى النظرية التي رددوها ساعتئذ : أن الروس كانوا يُسلحون الأرمن في الولايات الشرقية سعياً للقيام بثورة عامة . (٣٨)

عهد الإستراتيچيون الألمان إلى الأتراك مهمة تشتيت شمل جزء من الجيش

القيصرى على جبهة القوقاز . وفى ديسمبر ١٩١٤ وصل أنور باشا وزير الحربية العثمانية - وقد غدا القائد العام للجيوش العثمانية - إلى مركز القيادات العليا للجيش العثمانى الثالث فى أرضروم بهدف تجهيز عملية واسعة ضد القوقاز بغية فتح الطريق إلى تفليس وباكو . كان حلم أنور هو غزو ما وراء القوقاز وحث المسلمين فى روسيا على الثورة والاتحاد مع الشعوب التركية فى آسيا تحت سيادة السلطان - الخليفة . (٣٩)

وقد ، انطوت خطة أنور على تطويق مدينة « صاريغاميش » الكائنة وسط الجبهة داخل الحدود الروسية على الطريق إلى جارس . بدايةً ، نجحت خُطة التطويق . بيد أن هذه الخُطة افتقرت إلى التجهيزات المناسبة لمواجهة الشتاء القارس فى الهضبة الأرمنية . ففى درجات حرارة بلغت معدلاتها عشرين درجة مئوية تحت الصفر ، انغرست الآليات فى طبقة ثلجية بلغ عمقها أربعة أقدام ، وتقهقر الجنود وهلكوا لأنهم لم يكونوا مزودين بالثياب والإمدادات . وخلال شهرى يناير وفبراير ١٩١٥ ، انسحب الجيش العثمانى المقهور عبر الولايات الشرقية بينما كان الجنود المصابون بالتيفوس والكوليرا تبتلعهم الثلوج ويفترسهم الصقيع . (٤٠)

أدى التقهقر العثمانى على جبهة القوقاز الذى كان يُوازيه تهديد الوفاق للعاصمة العثمانية عبر حملة الدردنيل وفشل الحملة العثمانية على مصر خلال يناير - فبراير ١٩١٥ إلى أن يبحث الاتحاديون عن كبش فداء . وفعلاً ، ألقوا لوم الهزيمة على الأرمن . فقد استغل الاتحاديون المتطرفون وجود الأرمن الروس المتطوعين يُقاتلون فى الجيش الروسى ، واتهموا الأرمن العثمانيين بـ « الخيانة العظمى » لأنهم لم يتطوعوا فى جيشهم شأن أقرانهم الروس ، ولم يتعاطفوا مع الدولة العثمانية ، بل انضم بعضهم إلى روسيا .(٤١)

وفى ظل هذا المناخ المستاء ، اندفع الجنود ينهبون متاجر الأرمن ومنازلهم ، واتهموا الجنود الأرمن بالتجسس والفرار من الجندية ، وارتابوا فى تسميم الخبازين الأرمن للمأكولات ، واتهموا الفلاحين الأرمن بتقديم العون للأسرى الروس . وفى فبراير ١٩١٥ ، جّردت السلطات الجنود والشرطة الأرمن من أسلحتهم وأُدرجوا فى «طوابير العمل» ، وأُرغموا على العمل فى صيانة الطرق أو حّمالين . وفى ذات الوقت ،

طُرد الأرمن من الحكومة وأُلغيت تذاكر المرور الداخلية التى كانت تُتيح لهم الانتقال عبر أنحاء البلاد . (٤٢)

وهكذا ، يتضح من المقدمات آنفة الذكر أن قرار « إبادة » الأرمن فى الدولة العثمانية كان قد اتُخذ خلال فبراير ١٩١٥ فى سرية تامة ، وكان الولاة والضباط الاتحاديون المحليون قد أُبلغوا شفهياً أو برقياً بالمهمات المنوطة بهم ، بينما وقعت مهمة تنفيذ الخُطة على عواتق الدرك والعصابات والتشكيلات الخاصة . ولم يكن الجيش متورطاً فيها . (٤٣)

ومنذ مارس ١٩١٥ قررت الحكومة العثمانية تدمير مركزى المقاومة الأرمنيين الرئيسيين : زيتون وڤان .

بالنسبة لزيتون - معقل النسور الأرمنية - الواقعة فى ولاية مرعش بـ قيليقية ، فقد كانت مركزاً تقليدياً للمقاومة الأرمنية . كانت الحالة متوترة فى منطقة زيتون عند نشوب الحرب بسبب عدم إقبال الأرمن على التجنيد وفرار بعضهم إلى الجبال وقتال مطارديهم من الأتراك . عندئذٍ ، سارت مفرزة تركية نحو زيتون وحاصرتها واعتقلت وجهاء الأرمن فيها وأصدرت أمر نفى لسكان المدينة فى ٨ أبريل ١٩١٥ . وخلال أسابيع أُخليت زيتون والقرى المحيطة بها ، وسيق حوالى ثمانية آلاف أرمنى إلى دير الزور على حدود صحارى بلاد الرافدين . وسيطر النازحون المسلمون ، غالباً من تراقيا وبلغاريا ، على أملاكهم مباشرة .(٤٤) وهكذا ، بدأت عمليات نفى الأرمن منذ أوائل أبريل ١٩١٥ من زيتون بعيداً عن الجبهة القوقازية : جبهة الحرب .

أما الأحداث فى ڤان ، احدى الولايات الأرمنية الست شرقى الأناضول ، فقد بدأت عندما طلب حاكمها جودت بك - صهر أنور - تجنيد « ٣٠٠٠ » أرمنى . غير أن رفض الأرمن أدى إلى سلسلة مصادمات بينهم وبين الأتراك . وخلال الفترة بين ١٥ - ١٨ أبريل ، نهب الجنود الأتراك « ٨٠ » قرية أرمنية وذبحوا سكانها ، وحفروا الخنادق حول الأحياء الأرمنية فى ڤان . وإزاء ذلك ، بدأ الأرمن يُنظمون عملية « الدفاع » عن المدينة . وبدأ حصار ڤان فى ٢٠ أبريل ، فغدت الأحياء الأرمنية معسكرات مطوقة ، وكان « ١٥٠٠ » أرمنى من المتمرسين دون أن يتسلحوا بالأسلحة المناسبة على أهبة

الاستعداد لحماية السكان البالغ عددهم «٣٠,٠٠٠» نسمة . عندئذٍ ، اعتبر جودت أنه بذلك حصل على دليل العصيان الأرمنى المسلح الذى كانت الأستانة تنتظره منذ أكثر من شهرين . رغم أن ما حدث فى ڤان لم يكن ثورة ، بل مجرد عملية دفاعية لمواجهة الحصار العثمانى . (٤٥)

وعندما ترامت أنباء ثورة ڤان المزعومة إلى الأستانة ، اقتنع حزب الاتحاد والترقى بأنه يملك الدليل على خيانة الأرمن . ويُؤكد مورجنتاو - السفير الأمريكى فى الأستانة - أنه ذكر تفاصيل حقيقة أحداث ڤان « لأنها كانت المرحلة الأولى والمحاولة المنظمة لضرب أمة بأكملها ، بل لأن الأتراك ذكروا هذه الحوادث مراراً لتبرير جرائمهم اللاحقة » . وادعت الحكومة العثمانية لاحقاً بأن قرار نفى الأرمن اتُخذ بعد ثورتهم فى ڤان . (٤٦)

وهكذا ، أُعد المسرح لحل القضية الأرمنية نهائياً . ففى مساء ٢٤ أبريل ١٩١٥ اعتقلت السلطات الاتحادية أكثر من مائتى أرمنى : كُتاب وشعراء ومحررى جرائد ومدرسين ومحامين وبرلمانيين وغيرهم من زعماء الأرمن بالأستانة واقُتيدوا بعيداً عن منازلهم ليلاً ثم قتلوهم . وسُجن نحو « ٦٠٠ » آخرين من مثقفى الأرمن ثم نُفوا وقُتلوا فى الأشهر اللاحقة . (٤٧)

ورغم أن الاتحاديين قد استغلوا ثورة ڤان المزعومة فى تبرير هذه الاعتقالات ، إلا أنهم زعموا بوجود خيانة أرمنية واسعة النطاق قادتهم إلى تنظيم محاكمة ملفقة بلغت ذروتها بشنق أعضاء حزب الهنشاك المودعين غيابات السجون الاتحادية منذ أكثر من سنة . وبدءاً من هذا التاريخ ، أُطلق عنان العنف ضد الأرمن العثمانيين . (٤٨)

ومنذ مايو أبرقت السلطات العثمانية أوامرها الصريحة إلى الحكام والقادة العسكريين بـ « ترحيل » الأرمن عنوة من وطنهم الأم بحجة حماية المدنيين وحماية القوات المسلحة من خيانة متوقعة من الأرمن الممالئين لروسيا . (٤٩)

ويُمكن رصد ملامح برنامج نفى الأرمن من الولايات الأرمنية شرقى الأناضول : أرضروم ، بيتليس ، ديار بكر ، طرابيزون ، سيواس ، خربوط عدا ڤان آنفة الذكر . إذ

طبقت السلطات العثمانية سيناريو التطهير العرقى ذاته تقريباً فى كل قرية ومدينة (خريطة رقم « ٥ ») . (٥٠)

بعد تجريد الجنود الأرمن من أسلحتهم واعتقال النخبة الأرمنية ، صدرت أوامر النفى . مُنح الأرمن مهلة بضعة أيام لمغادرة منازلهم . واعتقل الأتراك القلة الأرمنية التى لم تُجند أو تُعتقل وسجنوهم ثم أعدموهم . وفى المرحلة الثانية ، نُفيت النساء والأطفال والمُسنين بالقوافل . وتلى ذلك إخلاء الشرطة منازل الأرمن وتخزين الأثاث فى « الحفظ والصون » . ثم نظمت لجنة الملكية المهجورة بيع الأبنية ، ورتبت استقرار المهاجرين من البلقان فى منازل الأرمن الخالية . وبيعت النساء والأطفال بالمزاد العلنى فى حالات عديدة أو وُهبوا للعائلات التركية والعصابات الكردية . (٥١)

وهكذا ، نفّذت الأستانة العملية فى الولايات الشرقية على مرحلتين : أولاً ، قتل كل الرجال الأكفاء ، ثم ثانياً ، نفى بقية الأرمن . بيد أن النفى لم يكن سوى الفصل الثانى من برنامج الإبادة . (٥٢)

كان المنفيون يُرحلون سيراً على الأقدام يجرون العربات خلفهم وهم يحملون الحد الأدنى من الأمتعة . هلكت بعض القوافل خارج المدينة فى الحال ، واستمرت الأخرى فى مسيراتها . إلا أن المنفيين قد تلاشوا تدريجياً إثر الهجمات المتكررة من الدرك الأتراك والسكان المحليين المتأثرين بدعاية « الجهاد » والعشائر الكردية والعصابات . ونُقل باقى أرمن الولايات الشرقية على نحو منتظم إلى منطقة النفى جنوباً مثل « نهر يخترق الصحراء فغدا مسيلاً ضعيفاً » . (٥٣)

إذن ، خلال الفترة الممتدة بين مايو - يولية ١٩١٥ كان جميع أرمن الولايات الشرقية قد اختفوا (١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة) من منطقة كانت مركز أرمينية التاريخية . لقد وقعت هذه الحوادث فى أواخر الربيع وأوائل الصيف فى هضبة جبلية يبلغ ارتفاعها « ٦٠٠٠ » قدم . وكانت وسائل الاتصالات نادرة ورديئة ، ولم تكن ثمة خطوط حديدية أو قنوات مائية صالحة للملاحة أو شبكة جيدة من المواصلات . وتجدر الإشارة إلى أنه حيثما كانت ثمة أقنية مائية صالحة للملاحة (نهر دجلة فى ديار بكر والبحر الأسود فى طرابيزون) ، فإن إلقاء المنفيين فى المياه كان أحد الأساليب المختارة للقتل

الجماعى . وكانت الجثث تطفو على وجه المياه حيث تتصارع الكلاب والنسور مع بعضها البعض وتتخطف الجثث الملقاة على قارعات الضفاف . (٥٤)

وبذا ، فإن الشطر الأكبر من إبادة الأرمن قد أُنجز خلال الثلاثة شهور الممتدة من مايو حتى يولية ١٩١٥ . لقد تمكن « ٢٠٠ » ألف أرمنى من أصل « ١,٢٠٠,٠٠٠ » من الوصول إلى القوقاز ، وخضع حوالى « ٢٠٠ » ألفاً للتتريك ، ولم يتمكن سوى بضعة آلاف أن يتجنبوا النفى والموت إذ وصل نحو « ٥٠ » ألفاً منهم إلى حلب أو الموصل ، وقُتل سائر الأرمن البالغ عددهم « ٧٠٠» ألفاً أثناء مسيرات النفى فى الطرق والفيافى . وهكذا ، يتضح بأن النفى كان يُعادل الإبادة . (٥٥)

عندئذٍ ، قطع برنامج النفى فى أواخر يولية ١٩١٥ أشواطاً كبيرة ، ولم يعد ثمة أرمن فى تلك الولايات التى كانت الدول الأوربية تُطالب الباب العالى دوماً بإجراء الإصلاحات فيها . بيد أن الاتحاديين قلقوا من الأرمن قاطنى الأناضول وقيليقية . ومن ثم ، جاء دورهم منذ نهاية يولية ١٩١٥ .

هنا ، وقع الاتحاديون فى تناقض جد صارخ . فقد أقاموا ترحيل أرمن الولايات الشرقية بناءً على بديهية إستراتيچية مؤداها : أن الحكومة العثمانية أُرغمت على نقل الأرمن الثائرين الذين يتدخلون فى النشاطات العسكرية على الجبهة القوقازية . والحال بالنسبة لترحيل أرمن الأناضول وقيليقية يبقى دونما تبرير نظراً لوقوع هذه الجهات بعيداً عن جبهة القوقاز . ناهيك أن الأرمن يُشكلون فيهما أقلية ، ولم يكن الموقف يسمح لهم بالتجسس أو النشاط التخريبى أو مساعدة العدو . (٥٦)

ورغم هذا ، نفّذت السلطات العثمانية حملة إبادة لأرمن الأناضول وقيليقية ونظمت لهم عملية نفى حقيقية . وتجدر الإشارة إلى أن عملية النفى عن هذه الأماكن أضحت ممكنة بسبب توافر وسائل الاتصالات وطرق المواصلات والخطوط الحديدية (برلين – بغداد) . وكانت هذه العملية منظمة بدقة ؛ إذ أن خبرة الاتحاديين قد تراكمت إثر تجاربهم السالفة . زد هنا ، أنهم لم يكونوا متعجلين لأنهم أنجزوا فعلياً الجزء الأكبر من العملية . أيضاً ، كان الأرمن فى هذه المناطق ميسورى الحال مما اقتضى منهم جهداً زائداً للضغط عليهم . ورغم أن العملية كانت تُضارع سابقتها ، إلا أن السلطات

اجتهدت فى إضفاء مظهر الشرعية عليها . إذ بالمقارنة مع عمليات النفى الأولى التى اتسمت بالفوضوية والوحشية والقسوة والتخلف ، جاءت الثانية أكثر تطوراً ومواراة . (٥٧)

وهكذا ، نفى الاتحاديون أرمن الأناضول : حوالى «٩٥» ألفاً من ولاية أنقرة ، و«١١» ألفاً من قسطمونى شمال ولاية أنقرة . وامتد النفى إلى أرمن لواء قيصرية ، ثم ولاية بروصة شمال غربى الأناضول . (٥٨)

أما فى مدينة أزمير ذات الطابع العالمى وُجل سكانها من اليونانيين ، كان لا يعيش بها إلا «١٥» ألف أرمنى . وقد رفض واليها تنفيذ أمر النفى خشية اندلاع القلق بين يونانيى المدينة ، ولم يُعتقل سوى زعماء الأرمن وسياسييهم ونُفى «٣٥» ألف أرمنى ممن يقطنون أدرنة بين شهرى أغسطس - أكتوبر ١٩١٥ . وأُنقذ «١٥٠» ألف أرمنى سكنة الأستانة .(٥٩)

وفى قيليقية ، كان النفى قد بدأ من زيتون بولاية مرعش منذ أبريل حتى يونية ١٩١٥ ورافقه إخلاء الأرمن من المدن الجبلية وقراها إلى قونية : أى فى الاتجاه المعاكس لطريق النفى التقليدى . وعاد المنفيون فى أغسطس من قونية إلى قيليقية . ثم استُؤنف النفى بدءاً من ٢٠ يولية واستمر على مراحل حتى أوائل سبتمبر ١٩١٥ . (٦٠)

أيضاً ، امتدت عمليات النفى إلى ولاية حلب العربية . بيد أن واليها تمكن من إنقاذ الأرمن حتى يولية ١٩١٥ . وفى الرها ، شرقى ولاية حلب ، قرر الأرمن (حوالى «٢٨» ألفاً) مقاومة تدابير النفى ، فحصنوا أنفسهم فى الأحياء الأرمنية منذ ٢٠ أغسطس حتى ٢٠ سبتمبر ١٩١٥ . بيد أن الجيش العثمانى نجح فى احتلال المدينة ، ونصب مذبحةً مروعةً ونفى الناجين .(٦١)

أما فى جبل موسى « موسى داغ » ، جنوبي ولاية حلب ، فقد رفض أرمنه الانصياع لأمر النفى الصادر إليهم فى ١٣ يولية ١٩١٥ . وعندئذٍ ، تحصنوا بالهضاب واتخذوا موقعاً إستراتيچياً ونظموا دفاعاً بطولياً . وبعد خمسة و أربعين يوماً من الدفاع ، تمكنت السفن الفرنسية والبريطانية فى البحر المتوسط من نقل أكثر من أربعة آلاف من أرمن موسى داغ إلى بورسعيد بمصر. (٦٢)

والآن ، إلى أين سيق المنفيين ؟ . اختار الاتحاديون ولاية حلب لتصفية برنامج النفى . بدايةً ، لم يستقر المنفيون فى حلب ، إنما جُمعوا فى معسكرات انتشرت فى ضواحى المنطقة . ثم وزعت السلطات العثمانية المنفيين فى مجموعات لترحيلهم إلى مكانين رئيسيين : إلى الجنوب من سورية ، وإلى الشرق فى اتجاه صحارى بلاد ما بين النهرين . (٦٣)

ومنذ أغسطس ١٩١٥ ، أُقيمت معسكرات التجميع فعلياً فى حماة وحمص وعلى مقربة من دمشق . وقد ضمت هذه المعسكرات حوالى « ١٣٠ » ألف أرمنى لاجئين . كما امتدت المعسكرات على طول الطرق وعلى ضفاف نهر الفرات حول المدن الصغيرة مثل مسكنة والرقة والزيارة والسبخة ودير الزور . هنا ، قطع الناجون مسافة تجاوزت ألف كيلو متراً سيراً على أقدامهم . لذا ، فلا غَرْوَ أن أضحوا وكأنهم « أشباح كائنات بشرية » يتسولون قطرات مياه أو قشفات خبز أو حتى حفنات حشائش . لقد تركتهم الحكومة لتعمل فيهم قوانين الاختيار الطبيعى بحرية تامة . ومن ثم ، تضاءلت الآلاف إلى المئات بسرعة ، والمئات إلى عشرات . (٦٤)

بيد أن منطقة دير الزور ستبقى دوماً فى ذاكرة الإنسانية على أنها أفظع مقابر الشعب الأرمنى . فقد سار حوالى « ٣٠ » ألفاً من الأرمن على امتداد نهر الفرات إلى حافة الصحراء . حينئذٍ ، أرغمت الحكومة العثمانية المتصرف على تصفيتهم . وفعلاً ، منذ أغسطس ١٩١٦ أرسلهم إلى الموصل . لكن صحارى السوار قد ابتلعت بعضهم ، وجُمع الآخرون فى الكهوف حيث غُمروا بالنفط وأُحرقوا. (٦٥)

هذا ، وقد أقرت السلطات بأن عدداً كبيراً من الأرمن المنفيين قد هربوا فاتخذت قرارها بتصفيتهم . وفعلاً ، لم يبق بحلب فى أواخر عام ١٩١٦ سوى « ٤٥ » ألف أرمنى لاجئين كانوا فى محنة شديدة . وأُلغيت المعسكرات المقامة على امتداد نهر الفرات . وأبلغ القنصل الأمريكى فى الموصل بأن عدد الأرمن الناجين بلغ « ٨٠ » ألفاً ، وقدر القنصل الألمانى فى دمشق عددهم بـ « ٣٠ » ألفاً . وقدرت المنظمات الخيرية لإعانة الأرمن عدد الناجين فى مرعش بـ « ١٢٠ » ألفاً حيث تجمع بها المنفيون من الساحل فضلاً عن بضعة مئات من مدن الأناضول الداخلية . (٦٦)

وعندما تُضاف هذه الأرقام « التقديرية » إلى الأرمن الموجودين فى المعسكرات الأخرى بسورية ، وإلى الـ « ١٥٠ » ألف فى الأستانة ، وإلى الـ « ٢٠٠ » ألف الذين لجأوا إلى القوقاز ، نتوصل إلى أن عدد الناجين بلغ « ٦٠٠ » ألف أرمنى . ناهيك عن صعوبة تحديد أعداد النساء والأطفال الذين أُختطفوا أو ُسلموا إلى العائلات التركية والعصابات ويُمكن تقديرهم بـ « ٢٠٠ » ألف . إذن ، وبتقدير منطقى ، يُمكن الافتراض بأنه من أصل « ٢,١٠٠,٠٠٠ » أرمنى بالدولة العثمانية ، لم ينج سوى « ٦٠٠ » ألف ، وقُتل « ٧٠٠ » ألف فى الولايات الشرقية واختفى « ٦٠٠ » ألف أثناء مسيرات النفى وخضع « ٢٠٠ » ألف للتتريك . (٦٧)

ورغم أن هذه الأرقام تقريبية ، وربما مبالغ فيها ، ومن المستحيل أن نُحدد بدقة عدد الضحايا ، إلا أنه فى غياب الأرشيف أو سجلات النفى أو قوائم الحوادث ، فإن فظاعة ما حدث للأرمن فى الدولة العثمانية تنعكس من حقيقتين بسيطتين : من المنظور الأرمنى ، كان يعيش « ٢,١٠٠,٠٠٠ » أرمنى فى الدولة العثمانية بسلام فى عام ١٩١٤ . وفى عام ١٩١٧ كان أكثر من ثلثيهم قد أُبيدوا ، وانتشر الثلث المتبقى فى المهجر يُعانى من الخوف والفقر المدقع . (٦٨) ومن المنظور التركى ، كان يعيش فى الدولة عشية الحرب العالمية الأولى أكثر من « ١,٥٠٠,٠٠٠ » أرمنى على الأرجح ، وفى إثر الترحيلات والنفى والمذابح لن نجد منهم فى عام ١٩١٧ سوى « ٧٠ » ألفاً . (٦٩)

وبذلك ، نجح الاتحاديون تماماً في تصفية الأرمن من أراضيهم التاريخية التى قطنوها منذ ما ينيف على ثلاثة آلاف سنة . ويكمن أساس هذه المأساة فى تبنى الاتحاديين المتعصبين قومية متطرفة ، وليس فى خيانة الأرمن كما إدعت السلطات العثمانية . (٧٠) والحقيقة أن التخلص من الأرمن وقضيتهم سيُجنب الحكومة العثمانية التدخلات الأوربية المستمرة وسيُزيل العقبة العرقية الكأداء الرئيسية بين الأتراك العثمانيين والشعوب التركية الأخرى فيما وراء القوقاز وبحر قزوين ، ويُمهد السبيل لملكية جديدة أمام أبطال الطورانية . وفى كلمة ، تطورت فكرة التخلص من الأرمن بشكلٍ متواز مع اندفاع تنامى الطورانية . (٧١)

وهكذا ، ارتكب الاتحاديون أول إبادة عرقية جماعية *Genocide*(٧٢) فى القرن

العشرين باغتيالهم أمة الأرمن مع سبق الإصرار والترصد . (٧٣) وفى غرة يناير ١٩١٧ أنهت الحكومة العثمانية « القضية الأرمنية » رسمياً وأبطلت المادة «٦١» من معاهدة برلين ١٨٧٨ مدعيةً بأنها عقيمة لا جدوى منها ؛ إذ لم يعد ثمة وجود للأرمن فى الدولة العثمانية . (٧٤)

❀ ❀ ❀

٣ – ما وراء القوقاز : لعنة الجغرافيا

وبينما انتصرت حكومة الأستانة على الجبهة « العرقية » ، راحت تتمرغ فى هزائم متلاحقة ؛ إذ اجتاح الموت جبهات الدردنيل وبلاد الرافدين وعلى ضفاف قناة السويس وسيناء . ثم أخيراً شبه الجزيرة العربية وسورية وفلسطين . وفى حين اتفقت دول الوفاق على اقتسام أملاك السلطان الآسيوية (سايكس – بيكو) ، فمابرحوا ينثرون الوعود بـ « وطن قومى » للعرب واليهود واليونانيين من رعايا السلطان (خريطة رقم «٦») . (٧٥)

عندئذٍ ، استغرقت الدولة العثمانية فى سكرات الاحتضار . ولاح فى الأفق أن انتصار روسيا عليها وضم أرمينية العثمانية صار وشيكاً . بيد أن ثمة ترياقاً انبثق وسط هذا الاحتضار أتاح لحكومة الأستانة عودة روحها « مؤقتاً » : إنه الغليان الثورى الذى اجتاح روسيا القيصرية . ففى مارس ١٩١٧ اندلعت الثورة الروسية الأولى فى بتروجراد وأسفرت عن إلغاء القيصرية . وجاءت بحكومة مؤقتة لم يُكتب لها البقاء طويلاً ، بسبب إصرارها على مواصلة الحرب إلى جانب حلفاء روسيا القيصرية ، فأطاحتها ثورة أكتوبر الاشتراكية التى قام بها البلاشفة فى ٧ نوفمبر ١٩١٧ وأسست سلطة السوڤيتات فى البلاد. (٧٦)

أدخلت هذه التطورات الثورية تغييرات جذرية فى حياة شعوب ما وراء القوقاز الثلاثة (خريطة رقم «٧») : الأرمن الشرقيون (الروس) والآذربيجانيون (التتر) والچورچيون (الكُرج) . فمن أجل إدارة شئون هذه المنطقة الحيوية إستراتيچياً لروسيا ، عينت حكومتها المؤقتة «لجنة خماسية» من ممثلى قوميات المنطقة برئاسة

روسى بدلاً من حاكمها القيصرى . أما أرمينية الغربية التى يحتلها الجيش الروسى ، فقد عينت الحكومة المؤقتة « حاكماً عاماً » عليها يخضع لها مباشرة . (٧٧)

ولكن سقوط الحكومة المؤقتة وانتقال الحكم إلى البلاشفة ، جعل جميع التدابير المتخذة آنفاً حيال القوقاز غير مجدية . ففى ٨ نوفمبر ١٩١٧ أعلن البلاشفة مرسوم السلام ، وفيه طالبت روسيا الدول المتحاربة بعقد الصلح الديمقراطى العادل وحق تقرير المصير لجميع شعوبها بحرية تامة . وينطبق هذا على أرمن أرمينية الشرقية (الروسية) . (٧٨)

بيد أن الأحزاب المناوئة للثورة البلشفية فى إقليم ما وراء القوقاز : المنشفيك الچورچى والمساواة الأذربيچانى والطاشناق الأرمنى ، قد أسسوا فى ١٥ نوفمبر ١٩١٧ « قوميسارية (مفوضية) إقليم ما وراء القوقاز » فى تفليس بـ چورچيا . (٧٩) وفى ٢٧ نوفمبر ١٩١٧ ألف ممثلو الأحزاب فيما وراء القوقاز هيئة تنفيذية عليا عُرفت بـ « سايم » (البرلمان القوقازى) . (٨٠)

وقد سيطرت هذه القوميسارية على ما وراء القوقاز عدا باكو وما حولها فى أذربيچان التى تأسست بها سلطة سوڤيتية محلية (٨١) برئاسة الأرمنى البلشفى إستيبان شاهوميان (١٨٧٨ - ١٩١٨) . واعترف البلاشفة بهذه السلطة المحلية بصفتها نائبة عنهم فى هذا الإقليم ، ثم عينوا شاهوميان فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٧ مندوباً فوق العادة لشئون القوقاز . (٨٢)

وبموجب مرسوم السلام ، أعلن البلاشفة وقف القتال على الجبهات الروسية فى ٥ ديسمبر ١٩١٧ ثم عقدوا الهدنة فى ١٥ ديسمبر . هذا ، وقد أبرمت قوميسارية ما وراء القوقاز « معاهدة إرزنجان » فى ١٨ ديسمبر ١٩١٧ الخاصة بوقف القتال فى جبهة القوقاز . (٨٣)

حينئذٍ ، كانت القوات الروسية لاتزال تحتل شرقى الأناضول بما فيه معظم أرمينية الغربية . (٨٤) وخلال يناير ١٩١٨ انسحبت القوات الروسية من جبهة القوقاز عائدةً إلى روسيا ذاتها للدفاع عن السلطة السوڤيتية ، لذا ، تركت مهمة حراسة هذه الجبهة إلى الأرمن والچورچيين وغيرهما من شعوب ما وراء القوقاز . احتلت القوات الأرمنية

المواقع الحربية من يريفان حتى فان وتولت الدفاع عن جنوب الجبهة ، بينما تولت القوات الچورچية الدفاع عن شمال الجبهة . (٨٥)

وإلى جانب هذا ، حددت الحكومة السوڤيتية موقفها الصريح من القضية الأرمنية بموجب مرسوم أصدرته فى ١١ يناير ١٩١٨ . ومما جاء فيه : « أن مجلس مفوضى الشعب يُعلن للشعب الأرمنى ، أن حكومة العمال والفلاحين فى روسيا ستُدافع عن حقوق الأرمن فى أراضى أرمينية التى اغتصبتها الدولة العثمانية . وذلك باعترافها بحقهم فى تقرير مصيرهم بحرية إلى حد الاستقلال التام » . كما طالب هذا المرسوم أيضاً بـ « جلاء الجيوش عن أرمينية الغربية وتسهيل عودة جميع المهاجرين والمنفيين الأرمن إليها » . وقد كلف لينين شاهوميان بالإشراف على تحقيق المهام سالفة الذكر . (٨٦)

بيد أن ما أعطاه البلاشفة للأرمن بيمناهم سرعان ما أخذوه بيسراهم عندما أبرموا معاهدة صلح « بريست ـ ليتوڤسك » فى ٣ مارس ١٩١٨ مع الدولة العثمانية وألمانيا والنمسا ـ المجر. (٨٧) فطبقاً لهذه المعاهدة ، التزمت روسيا بـ « أن تعمل كل ما فى وسعها لتأمين الجلاء عن ولايات الأناضول الشرقية (معظم أرمينية الغربية) جلاءً سريعاً وتسليمها بانتظام إلى السلطات العثمانية . وتنسحب القوات الروسية من أقاليم جارس وأولطى وأردهان وأرتڤين وباطوم (فى أرمينية الشرقية وچورچيا) التى كانت قد تنازلت عنها الدولة العثمانية فى برلين ١٨٧٨ » . أكثر من هذا ، لن تتدخل روسيا فى إعادة تنظيم العلاقات القومية والدولية لهذه المناطق ، بل تُترك لشعوب هذه المناطق حرية تنظيم مسئولية حل وتسريح الفرق الأرمنية المؤلفة من الرعايا الروس والعثمانيين الموجودة فى روسيا وفى الولايات (العثمانية) المحتلة وسوف تعمل على تفريق هذه الفرق بشكل تام . (٨٨)

وبعد أن اتضحت المواقف المتناقضة لروسيا السوڤيتية شطر الأرمن ، رفض الوفد القوقازى الاعتراف بمعاهدة « بريست ـ ليتوڤسك » . وكان هذا الوفد قد حضر للتوقيع على المعاهدة مقابل الاعتراف باستقلال دول القوقاز . عندئذٍ ، قرر البرلمان القوقازى

(سايم) الانفصال عن روسيا فى ٢٢ أبريل ١٩١٨ وتأسيس « جمهورية ما وراء القوقاز الديمقراطية الفيدرالية » . [٨٩]

فى ذلك الوقت ، قهقهت المقادير فى وجه الأستانة . إذ أن تَفَرُّقْ شمل القوات الروسية إثر إنقلابات عام ١٩١٧ وامتيازات « بريست - ليتوڤسك » قد رسما أمامها خيالات واسعة : استرداد الأراضى المفقودة منذ عام ١٨٧٨ ، واحتمال استرداد جميع ما التهمه القياصرة على مر العصور . ولم يعد أفق الدولة العثمانية عهدئذٍ هو ذُرى القوقاز ، بل زاغ بصرها إلى أرجاء ما وراء القوقاز وبحر قزوين المترامية الأطراف . واستثار هذا الوضع مجدداً شهوة الاتحاديين للمضى بقواتهم إلى باكو وضم مسلمى الإمبراطورية القيصرية المنصرمة التى مزق الغليان الثورى أطرافها إلى أحضان الأستانة . [٩٠]

بيد أن خيالات الأستانة الواسعة قد اصطدمت بطموحات حليفتها برلين التى رأت فى الهيمنة العثمانية على القوقاز خطراً على أهدافها الاقتصادية هناك : الحقول النفطية فى باكو والثروات المنجمية الأخرى فيما وراء القوقاز . [٩١] لهذا ، دار صراع خفى بين الأستانة وبرلين ، وضع أنور على أساسه خُطة لهجوم عام على القوقاز يسبق الهجوم الألمانى . ووفقاً لهذه الخُطة ، كان على الجناح الأيسر للجيش العثمانى أن يتجه إلى مدينة تفليس ، بينما تقوم قوات الوسط بحركة كماشة حول أرمينية الشرقية . أما الجناح الأيمن فإنه يزحف عبر ريف أرمينية نحو مدينة باكو . [٩٢]

اندفع الاتحاديون صوب بحر قزوين لتنفيذ حُلمهم الطورانى حتى استولت قواتهم فى ١٥ أبريل ١٩١٨ على باطوم شمال جبهة القوقاز داخل الحدود الروسية . وفى ٢٥ أبريل ١٩١٨ أمر الچورچيون الجيش الأرمنى بتسليم جارس شمال وسط الجبهة إلى القوات العثمانية التى تُحاصرها دون قتال بعد مغادرة سكانها الأرمن الذين كانوا على استعداد للقتال .[٩٣]

وقتئذٍ ، ذهب مندوبو ما وراء القوقاز إلى باطوم لإبداء موافقتهم على بنود «بريست - ليتوڤسك» . بيد أنهم فوجئوا بالأتراك يُطالبونهم فوراً بإخلاء إقليمى

أخالكالاك وأخالتسخا الجورجيين فضلاً عن النصف الغربى من إقليم يريڤان الأرمنى فوق امتيازات المعاهدة سابقة الذكر . عارض ممثلو أرمينية وجورجيا هذه المطالب لأنها تمس أراضيهما مباشرة ، فى حين لم يُعارضها ممثلو أذربيجان لعدم مساسها أراضيهم . وبدون انتظار ردهم ، غزت القوات العثمانية الكسندروبول واستولت عليها . ثم سارت فى اتجاه تفليس ويريڤان . (٩٤)

إذ ذاك ، تَخَوَّفَتْ ألمانيا مما قد يُحدثه ذلك من توتر علاقاتها مع روسيا ، فضغطت على الأستانة لعدم انتهاك حدود « بريست ـ ليتوفسك » . ثم أرسلت مراقباً إلى باطوم الذى قرر بأن الأتراك يُخططون لقتل الأرمن جميعاً فيما وراء القوقاز ويبغون تأسيس دولة تركية موحدة مع أذربيجان . (٩٥)

وعندما أثبتت الضغوط الألمانية على الأستانة عدم جدواها واستحكم الخلاف بين الشعوب الثلاثة الرئيسية فى القوقاز على شروط الصلح مع الدولة العثمانية ، راح كل شعب منهم يبحث على حده عن طوق نجاته . فمنذ ١٤ مايو ١٩١٨ يُناشد الجورجيون حماية الألمان . وهو ما تحقق فى ٢٦ مايو ١٩١٨ عندما أعلنوا استقلالهم عن جمهورية ما وراء القوقاز ورفعوا العلم الألمانى فى تفليس . وفى اليوم التالى ، أعلنت أذربيجان استقلالها وآوت إلى أحضان الدولة العثمانية وأيدت مشروعها الطورانى . ولكن لما كانت باكو فى أيدى ائتلاف بلشفى ـ طاشناقى ، فقد اختار الآذريون إليزاڤيتبول (كيروف آباد) لتكون عاصمةً مؤقتةً لحين وصول القوات العثمانية لتحرير باكو . وهكذا ، أضحى الأرمن بمفردهم . ولم يكن أمام مجلسهم الوطنى فى تفليس خيار سوى إعلان استقلال الجزء غير المحتل من أرمينية الشرقية فى المنطقة المحيطة بيريڤان حتى يكون قادراً على التفاوض مع الوفد العثمانى فى باطوم ولإنقاذ ما تبقى من وطنهم الأم . (٩٦)

وهكذا ، وأد الاتحاديون والألمان جمهورية ما وراء القوقاز الوليدة دون أن تتم شهرها الأول . وبلغ الأتراك غايتهم فى فصل القوقاز عن روسيا أولاً ، ثم تفسيخ عُرى قوميات ما وراء القوقاز ثانياً . (٩٧)

❀ ❀ ❀

٤- الجمهورية الأرمنية : عصفور فى اليد

وتجدر الإشارة إلى أن المجلس الوطنى الأرمنى فى تفليس لم يُعلن عن قيام «جمهورية أرمنية مستقلة» إلا فى ٣٠ مايو ١٩١٨ . ورغم أن هذا المجلس قد تولى السلطة العليا وشكل حكومة مؤقتة لإدارة شئون المقاطعات الأرمنية ، إلا أنه لم يتحدث صراحةً عن « الاستقلال » .[٩٨] إذ ذاك ، كانت القوات العثمانية تخترق أرمينية الشرقية ، واقترفت مذابح فى الكسندروبول وطوّقت إقليم يريڤان مما أنذر بـ «نهاية أرمينية التاريخية» . ساعتئذٍ ، سوف لا تكون ثمة « أرمينية » ذات حدود مرسومة يُمكن بموجبها إعلان الاستقلال رسمياً . وحتى ذلك الحين ، فإن إعلان وجوب استقلال جمهورية أرمنية لا يعنى تأسيسها فعلياً .[٩٩]

حينذاك ، وبينما كانت المفاوضات دائرة فى باطوم بين الأتراك والأرمن ، واصلت القوات العثمانية المكناة وقتئذٍ « جيش الإسلام القوقازى » اختراقها أرمينية الشرقية : العقبة الأخيرة فى وجه الوصول إلى أذربيجان المسلمة .[١٠٠] وعند هذا الحد ، اجتمع الأرمن على قلب رجل واحد يزودون عن حمى ديارهم رافعين شعار : « لن يمر العدو » .[١٠١] ورغم التفوق الهائل للقوات العثمانية على الأرمن عدداً وعُدداً ، إلا أن الأخيرين نجحوا فى صدها بفضل مقاومتهم فى معارك سردار آباد (هوجديمبريان حالياً) وقره كيليسه (ڤاناتسور) وباش - أبران .[١٠٢]

وقد أدت هذه الهزائم غير المتوقعة إلى ارتباك الخطة العثمانية للاستيلاء على باكو مما اضطر القيادة العثمانية إلى توقيف هجومها والانسحاب من يريڤان وإبرام معاهدة « باطوم » فى ٤ يونية ١٩١٨ مع الأرمن . وبموجب هذه المعاهدة ، صارت مساحة « جمهورية أرمينية » تربو على عشرة آلاف كيلو متراً مربعاً مقصورة على يريڤان وإيتشميادزين وما جاورهما (المادة الثانية) .[١٠٣] لذا ، سُميت بـ « جمهورية يريڤان الأرمنية » . كما نصت المادة الخامسة على حرمان الجمهورية من إنشاء جيش وطنى نظامى على أن تعتمد فى حفظ الأمن الداخلى على الجيش العثمانى فقط . وتعترف بحق هذا الجيش فى جعل أراضيها ممراً له (المادة الثامنة) . أكثر من هذا ، تعهدت الجمهورية فى المادة الحادية عشرة : « بأن تبذل قصارى

جهدها فى إخلاء مدينة باكو فور توقيع هذه المعاهدة من القوات الأرمنية الموجودة فيها والعمل على منع وقوع صدام أثناء عملية الإخلاء » . (١٠٤)

وتعكس شروط هذه المعاهدة المجحفة الغزو بالقوة المسلحة وتتعارض مع مبدأ حق تقرير المصير . هنا ، شعر الأرمن ، أكثر من سواهم ، أن استقلالهم كان مزيفاً ، وكل ما حدث حتذاك أن نُودى فقط بجمهورية أرمنية مستقلة على نحو غير رسمى فى تفليس (خريطة رقم «٨») . (١٠٥)

وحتى ذلك الحين ، كان المجلس الوطنى الأرمنى يُقيم فى تفليس عاصمة چورچيا المستقلة حديثاً آنذاك . وحالت خلافات زعماء الأحزاب الأرمنية المتباينة فى تفليس دون تأسيس حكومة ائتلافية حتى نهاية يونية ١٩١٨ . ولذا ، تغاضى المجلس الأرمنى ذو الهيمنة الطاشناقية عن بروتوكول ديمقراطى كان قيد البحث وألّف حكومة سيطر عليها الطاشناقيون . وفى ١٩ يولية غادرت الحكومة الأرمنية الجديدة بقيادة رئيس وزرائها هوڤهانيس كاتشازنونى (١٨٦٨ - ١٩٣٨) تفليس إلى يريڤان حيث حلت محل قائدها العسكرى آرام مانوجيان (١٨٧٩ - ١٩١٩) . لحظتئذٍ ، بدأ استقلال جمهورية أرمينية على نحو رسمى . (١٠٦)

بيد أن ظروف ميلاد الجمهورية الأرمنية كانت لا تُبشر بـ « مستقبل زاهر » لها . فقد رسمت معاهدة باطوم حدودها بحوالى عشرة آلاف كيلو متراً معظمها صخرياً ، وبها « ٧٠٠ » ألف نسمة منهم « ٣٠٠ » ألف لاجئين جوعى من أرمينية الغربية و « ١٠٠ » ألف آذرى وكردى . كما أن المناطق الحيوية لم تدخل فى زمام هذه الجمهورية . ناهيك أن فقدان الحيوانات والمعدات الزراعية أنقصا الطاقة الإنتاجية الزراعية فى أراضى الجمهورية . وفوق هذا ، أُحيطت بجيران معادين ازدادت بلتهم بكثرة العصابات المسلحة التى مافتئت تكر على الأهلين فى آناء الليل وأطراف النهار . كما أن أوبئة الكوليرا والتيفوس والتيفود أبت ألا يكون لها دوراً فعالاً ، فراحت تحصد المئات بلا دواء رادع . زد أيضاً ، أقامت غالبية المثقفين والحرفيين والمقاولين الأرمن الشرقيين فى تفليس وباكو أو فى روسيا . وقد تحقق الاستقلال على نحو فجائى فى وقت تبلورت فيه معظم قيادات الطبقة الوسطى بالجمهورية خارج أرمينية ذاتها حتى أنهم لم يزوروا يريڤان - عاصمة الجمهورية - من قبل . (١٠٧)

وبالاستفادة من « باطوم » هدر جيش الإسلام القوقازى عبر جمهورية يريڤان الأرمنية صوب باكو للاستيلاء عليها . حينئذٍ ، كانت باكو جزيرة بلشفية وسط بحر غير بلشفى . ولما اقترب الجيش العثمانى منها ، اقترح ممثلو الطاشناق فى سوڤيت باكو الاستعانة بالقوات البريطانية لصده . بيد أن شاهوميان البلشفى رفض اللجوء إلى الأمبريالية البريطانية مما أدى إلى سقوط حكومته السوڤيتية وحلت محلها حكومة طاشناقية ممالأة لبريطانيا برئاسة روسدوم زوريان (١٨٦٧- ١٩١٩) فى ٣١ يولية ١٩١٨ . (١٠٨)

عندئذٍ ، هرولت قوة بريطانية بقيادة دينسترڤيل (قوة دينستر) إلى باكو لاحتلالها قبل جيش الإسلام القوقازى . وفعلاً ، نجحت هذه القوة فى دخول باكو دون قتال فى ٤ أغسطس ١٩١٨ . ولكن ، عندما عجزت قوة دينستر عن حماية باكو انسحبت منها فى ١٤ سبتمبر ١٩١٨ . (١٠٩) وفى اليوم التالى مباشرة ، دخلت القوات العثمانية - الأذربيچانية المدينة النفطية ونظموا بها مذبحة للأرمن جزاءً لهم على الدفاع عن باكو أودت بحيوات ما ينيف على « ١٥ » ألف أرمنى وفرار الكثيرين . وعندئذٍ ، انتقلت حكومة حزب المساواة الأذربيچانى من إليزاڤيتبول إلى باكو . ثم دخلت القوات العثمانية كاراباخ (قره باغ) الجبلية ، وغدا الموقف يُنذر بسوء للجمهورية الأرمنية وجيوبها . وردّ البلاشفة على خرق الأستانة الصارخ لمعاهدة « بريست - ليتوڤسك » بإلغائها مع الدولة العثمانية فى ٢٠ سبتمبر ١٩١٨ . (١١٠)

وبينما تتمتع الأستانة بنشوة احتلالها باكو ، اصطدمت أحلامها الفضفاضة بواقع أليم على الجبهات القتالية : فعلى الجبهة الغربية تحطمت الدفاعات الألمانية . وعلى جبهة الشام ، استولى الإنجليز على دمشق وحلب وحمص ، ونزل الفرنسيون إلى بيروت . وعلى الجبهة العراقية ، زحفت الألوية البريطانية صوب الموصل . أما على جبهة البلقان ، فقد انسحق الجيش البلغارى . هنا تحديداً ، أى مع سقوط بلغاريا ، أفاقت الأستانة على حقيقة أن دول الوفاق بمقدورهم التغلغل بحرية تامة عبر تراقيا الشرقية حتى أبوابها . إلى هذا الحد ، ما يتعرض للخطر ليس مجرد ولايات هامشية فى الدولة ، بل قلب الدولة ذاته . (١١١)

لهذا ، باتت الحكومة العثمانية لا تُفكر منذ غرة أكتوبر ١٩١٨ إلا فى وقف القتال الذى تحقق فى ٣٠ أكتوبر بموجب هدنة « مودروس » . (١١٢) ووفقاً لشروط هذه الهدنة ، انتهت الحرب العالمية الأولى فيما وراء القوقاز واحتلت قوات بريطانية باكو بعد انسحاب القوات العثمانية من وراء القوقاز وأذربيچان . (١١٣) أما الأرمن فقد استعادوا أثر الانسحاب العثمانى ونقض معاهدة « بريست - ليتوڤسك » وانشغال البلاشفة فى الحرب الأهلية مناطق قره كيليسه والكسندروبول وجارس وصورمالو . (١١٤)

وهكذا ، غرقت الدولة العثمانية . وتبدو الكارثة جد خطيرة بحيث أن الرأى العام المذعور من هول الطوفان لا يتوانى عن المطالبة بانزال أقصى القصاص بالاتحاديين المسئولين عن جميع مأساوات الحرب : موت مئات آلاف الجنود على الجبهات ، المذابح التى راح ضحيتها السكان المدنيون الأرمن . (١١٥) وعندئذٍ ، دق ناقوس الموت فى حزب الاتحاد والترقى وحل محلهم ائتلاف الأحرار .



الهوامش

(١) Shaw : op . cit., pp . 304 - 305 .

(٢) پول دومون وفرانسوا چورچو : « موت الإمبراطورية » (١٩٠٨ - ١٩٢٣) ، فى تاريخ الدولة العثمانية ، مصدر سابق ، ص ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣) عبر چوك ألب فى أشعاره الصوفية عن مثل وطنى أعلى « تركى شامل » ، إذ قال : « وطن الأتراك لا هو تركيا ولا هو تركستان ، بل أرض شاسعة خالدة اسمها طوران ! » .

حول ضياء چوك ألب ودوره فى تأسيس النزعة التركية القومية :

Shaw : op. cit., pp. 301 - 304 .

(٤) قيس جواد العزاوى : المصدر السابق ، ص ص ١٣٩ - ١٤٢

(٥) پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٦) نفسه .

(٧) Shaw : op. cit., pp. 282 - 288 .

(٨) پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق .

(٩) حول الحرب الإيطالية ـ التركية وقلاقل ألبانيا :

Shaw : op. cit., pp. 287 - 290 .

(١٠) پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ص ٢٧٩ ـ ٢٨١ .

(١١) Bournoutian : op. cit., p. 97 .

(١٢) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(١٣) أشاد ناظم باشا وزير الحربية العثمانية بحسن بلاء الوحدات الأرمنية فى الحرب البلقانية .

نفسه .

(١٤) إلى جانب الثلاثى الحاكم أنور وطلعت وجمال ، ثمة اتحاديون بارزون مثل الدكتور ناظم الأشبه بموجه خفى للاتحاديين والدكتور بهاء الدين شاكر الذى سوف يرأس فى عام ١٩١٤ الشُعبة السياسية لـ « التنظيم الخاص » المختص بأغراض التجسس والدعاية والتحريض .

Shaw : op. cit., pp. 298 - 300 .

(١٥) تانير أكچام : الهوية القومية التركية والقضية الأرمنية ، ترجمة : الكسندر كشيشيان ، منشورات الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية ، حلب ، ١٩٩٨ ، ص ص ١٩ - ٢٥ ، ٤٠ - ٥٤ .

(١٦) من المؤكد أنه كانت ماتزال هناك فى نقاط عديدة من الدولة العثمانية مجموعات مهمة من «الأقليات» المسيحية واليهودية خاصة فى الأستانة وأزمير وعلى ساحل البحر الأسود وفى الولايات الأرمنية شرقى الأناضول . بيد أن العناصر المسلمة ، لاسيما الأتراك والعرب ، كانوا يتفوقون منذئذٍ على العناصر الأخرى من السكان .

پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

(١٧) نفسه : ص ٣٠٣ .

(١٨) نفسه .

(١٩) تانير أكچام : المصدر السابق ، ص ص ٦٥ - ٧٣ .

(٢٠) نفسه : ص ص ٥٥ - ٦٤ .

(٢١) فى ذلك الوقت ، تغير الوضع السياسى الدولى على نحو صارم . ففى عام ١٨٩٤ ، عقدت روسيا تحالفاً مع فرنسا . وفى عام ١٩٠٧ عقدت اتفاقاً مع بريطانيا وبمقتضاه حددا مناطق النفوذ فى أسيا مكونين الحلف الثلاثى ضد مطامع ألمانيا فى الدولة العثمانية المعروفة بـ « سياسة الزحف نحو الشرق » . أما ألمانيا والنمسا - المجر وإيطاليا فقد بحثوا عن تحالفاتهم العسكرية والاقتصادية ضد الحلف الثلاثى . وتطلع الأتراك إلى ألمانيا واشتروا منها أسلحة وانتدبوا خبراء عسكريين منها ، وعقدوا معها اتفاقيات تجارية ومشروعات اقتصادية (سكة حديد بغداد - برلين).

Bournoutian : op. cit., p. 98 .

(٢٢) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢٣) نفسه : ص ٢٢٠ .

(٢٤) Bournoutian : op. cit., p. 98 .

(٢٥) للمزيد حول تفاصيل وحيثيات وتعقيدات هذا المشروع :

Walker : op. cit., pp. 194 - 195;

Yeghiayan : op. cit., pp.522 -528;

The Armenian Genocide, op. cit., pp. 278 - 286.

(٢٦) Hovannisian : op. cit., p.19.

(٢٧) Bournoutian : op. cit., p. 99 .

(٢٨) Ternon, Yves " A Report on the Genocide of the Armenians of the Ottoman Empire 1915 - 1916" , A Crime of Silence, The Armenian

Genocide, London, 1985, pp. 95 - 96 .

(٢٩) Hovannisian : op. cit., p. 19 .

(٣٠) Ternon : op. cit., p. 95 .

(٣١) Bournoutian : op. cit., p. 99 .

(٣٢) Ternon : op. cit., pp. 96 - 97 .

(٣٣) Ibid .

(٣٤) رغم ما أصاب الدولة العثمانية من إخفاقات فى البلقان ، كان لايزال بوسعها أن تُشكل ثقلاً مهماً فى ميزان القوى : مساحتها الشاسعة ، سيطرتها على المضائق ، انتعاش قوتها العسكرية ، الرصيد الدينى ـ الأدبى لسلطانها عبر أنحاء العالم الإسلامى بما فى ذلك المناطق التابعة للدول الاستعمارية . وانتهى الاتحاديون إلى ضرورة دخول الحرب بجانب ألمانيا لتحقيق العديد من الثأرات . فمنذ أربعين سنة والدولة العثمانية تتراكم عليها الهزائم والخسائر الإقليمية والتمزقات . ولها أيضاً ألزاسها ولورينها : ولايات شرقى الأناضول التى استولت عليها روسيا (١٨٧٨) وجزر بحرى إيجه والبحر المتوسط وطرابلس الغرب وتونس ومصر والجزائر وروميللى . وربما يُؤدى الانتصار على روسيا إلى استرداد أراضى الأسلاف عبر القوقاز ووسط آسيا . ناهيك أن المشاركة فى الأعمال الحربية تُعد المخرج الوحيد المتاح أمامهم لنزع النيرين السياسى والمالى اللذين تفرضهما دول الغرب عليهم .

پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .

(٣٥) يبلغ طول جبهة القوقاز حوالى « ٤٠٠ » كيلو متراً وتمتد من البحر الأسود شمالاً حتى جبل آراراد قرب تقاطع الحدود العثمانية الروسية الإيرانية . وتتميز هذه الجبهة بكونها منطقة جبلية صعبة المواصلات . ولذا ، كان القتال بها شاقاً لاسيما فى الشتاء الجليدى .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٢٩٠

(٣٦) رفعت مولان زاده : المصدر السابق ، ص ص ٦٩ ـ ٧٦ .

(٣٧) Ternon : op. cit., pp. 98 - 99 .

(٣٨) Ibid .

(٣٩) Shaw : op. cit., pp. 314 - 315 .

(٤٠) Ternon : op. cit., p. 100 .

(٤١) Walker : op. cit., pp. 200 - 201 .

(٤٢) تانير أكچام : المصدر السابق ، ص ص ٨٥ ـ ٨٧ .

(٤٣) Ternon : op. cit., p. 102 .

(٤٤) Walker : op. cit., pp. 203 - 205 .

(٤٥) صمد الأرمن فى ڤان حتى وصول القوات الروسية والفيالق الأرمنية من المتطوعين فى منتصف مايو ١٩١٥ ، ونجح الروس فى الاستيلاء على ڤان فى ١٧ أغسطس ١٩١٥ ورحل سكانها مع القوات الروسية إلى ما وراء القوقاز فتجنبوا النفى والمذابح .

Morgenthau, Henry : Ambassador Morgenthau's Story, New York ,1918, pp 293 - 399 .

ويُلاحظ أن عدد القتلى فى ولايات مرعش وأضنه وڤان غير كبير لأن ترحيل الأرمن من الولايتين الأولى والثانية تم قبل اختمار فكرة تقتيلهم فى دروب الترحيل ناهيك أن أرمن ڤان قد قاوموا القوات العثمانية حتى غادروا ولايتهم مع القوات الروسية .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ .

(٤٦) Morgenthau : op. cit., p. 340 .

(٤٧) Yeghiayan : op. cit., pp. 528 - 529.

(٤٨) Ternon : op. cit., p. 104 .

(٤٩) تانير أكچام : المصدر السابق ، ص ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(٥٠) أسس الاتحاديون منظمة شبه رسمية لتنفيذ برنامج الترحيل : النفى . فقد تسلم الدكتور بهاء الدين شاكر ـ وهو فى أرضروم ـ أوامر من مركز قيادات « المنظمة الخاصة » فى الأستانة ، ثم أرسلها بدوره إلى الولايات . وحافظ أعضاء الحزب فى كل بلد على اتصال مع الوالى والقائمقام أو المتصرف والشرطة المحلية . وللمزيد :

هايكازن غازاريان : وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام ١٩١٥ ، ترجمة : نزار خليلى ، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية ، رقم ٤ ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ١٩٩٥ ، ص ص ٣٧ ـ ٦٢ .

(٥١) Morgenthau : op. cit., pp. 301 - 325 .

(٥٢) فى الحقيقة ، كان النفى هو بدعة الخُطة . ففى الماضى ، تعرض الأرمن للمذابح ، ولكن الناجين منهم نجحوا فى تكوين أنفسهم من جديد ، بينما فى حال النفى ، كان يُمكن إنهاء القضية الأرمنية على نحو تام . فالأرمن المنفيون ، وهم مقتلعون من وطنهم الأم سوف يتلاشون فى المنفى . ورغم أن خُطة نقل الأرمن حيلة ظالمة ، إلا أن الأستانة يُمكن تبريرها من الناحية الإستراتيچية : فالترحيل يتماشى مع ممارسة سارية فى زمن الحرب . ومن ثم تبدو هذه الترحيلات ضرورية أكثر بقدر ما أن الأرمن الروس قد شكلوا ميليشيات فى خدمة العدو .

پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٣١٢ ؛

Ternon : op. cit., p. 101 .

(٥٣) Ibid : p.107 .

(٥٤) Ibid : p. 105, 108, 110 .

(٥٥) Ibid : p. 114

(٥٦) Ibid .

(٥٧) سمحت السلطات العثمانية ببقاء الأرمن الكاثوليك والبروتستانت فى الأناضول حيث كان تأثير المبشرين أكبر مما كان عليه فى شرقى الأناضول . بيد أن هذا يتلاشى أمام حقيقة أن غالبية الأرمن ينتمون إلى الطائفة الأرثوذكسية .

Ibid : pp. 114 - 115 .

(٥٨) للمزيد حول تفاصيل برامج النفى فى ولايات الأناضول :

غازاريان : المصدر السابق ، ص ص ١٣٩ – ١٦٠ (أنقرة) ، ص ص ١٦١ ـ ١٧٠(بروصة ونيكوميديا وما حولهما) .

(٥٩) سعت السلطات العثمانية مرة ثانية فى عام ١٩١٦ لنفى الأرمن من أزمير . إذ ذاك ، كان ليمان ڤون ساندرز ـ أعلى سلطة عسكرية ألمانية فى الدولة العثمانية ـ قد استقر برفقة الجيش الخامس فى أزمير . وهدد ساندرز بإصدار الأوامر إلى جنوده لمهاجمة الشرطة فيما إذا لحقت أية أضرار بالأرمن . فما كان من الوالى إلا أن أبطل قرار النفى .

Ternon : op. cit., pp.203-205

(٦٠) Walker : op. cit., pp. 203 - 205 .

(٦١) Ibid : p. 225 .

(٦٢) خلَّد الروائى الألمانى فرانز ورفيل *Franz Werfel* موقف أرمن موسى داغ البطولى فى روايته : «أربعون يوماً فى موسى داغ» .

ويُلاحظ أربع حالات من المقاومة الأرمنية فقط إزاء عمليات النفى . جرت الأولى والثانية فى الرها وشابين قره هيسار (سيواس) وكانت نهايتهما مأساوية على أيدى الأتراك . أما الثالثة والرابعة فكانتا فى ڤان وجبل موسى حيث أنقذت قوات الوفاق الأرمن فيهما من أيدى الأتراك .

Bournoutian : op. cit., p. 101 .

(٦٣) Ternon : op. cit., p. 118 .

(٦٤) Ibid : pp. 118 - 119 .

(٦٥) لازال الأطفال حتى وقتنا الراهن يذهبون إلى دير الزور لانتشال العظام وهم يأملون ايجاد الأسنان أو الخواتم الذهبية . وللمزيد :

Walker : op. cit., pp. 226 - 230 .

(٦٦) Ternon : op. cit., p. 120 .

(٦٧) Ibid .

(٦٨) Ibid .

(٦٩) پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

(٧٠) فى عام ١٩١٦ أصدرت الحكومة العثمانية كتاباً رسمياً عن المذابح بعنوان « الحقيقة عن الحركة الثورية الأرمنية والإجراءات الحكومية » عللت فيه حدوث المذابح بأنه حال ترحيل الأرمن تعرضوا لاعتداءات « يُؤسف لها » كان سببها الغضب الشديد الذى ساور جماهير المسلمين عليهم لخيانتهم وعصيانهم . وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن الأرمن الذين حاربوا الدولة العثمانية هم الأرمن الإيرانيون والروس الذين لا ولاء عليهم لهذه الدولة . زد على هذا ، أن روسيا لم تُوجه إلى الأرمن العثمانيين نداءً للثورة مماثلاً لدعوة « الجهاد » التى وجهتها الأستانة إلى جميع المسلمين من رعايا دول الوفاق للثورة ضد هذه الدول المسيحية . ثمة سؤال يطرح نفسه : أليست دعوة الشعوب الإسلامية والتركية من رعايا الحلفاء للثورة ضد دولهم تُعد « خيانة » بالمفهوم العثمانى عن الثورة ؟.

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥ .

(٧١) Hovannisian : op. cit., p. 21 .

(٧٢) دخل اصطلاح « چينوسيد » (الإبادة العرقية) قاموس القانون الدولى العام عندما صاغه القانونى الأمريكى روفائيل لمكين عام ١٩٤٨ . عندئذٍ ، اعتبر المذابح الأرمنية فى عام ١٩١٥ أول چينوسيد فى التاريخ الحديث لأنها فاقت فى ضراوتها البوجروم (السحق) التى انتهجتها روسيا ضد أقلياتها لاسيما اليهود فى القرن التاسع عشر .

لمزيد من التفاصيل حول اصطلاح «چينوسيد» ومدى تطبيقه على المذابح الأرمنية :

Kuper, Leo : " The Turkish Genocide of Armenians 1915 - 1917" , The Armenian Genocide in Perspective, Edited by Richard G. Hovannisian, Second Printing, Oxford, 1987, pp. 43 - 58 .

هذا ، وقد تلى إبادة الأرمن بعد ربع قرن إفناء الملايين من سكان أوربا الوسطى والشرقية أثناء الحكم النازى . ورغم أن كل « حالة » تتميز بمعالم خاصة على حده ، إلا أن المؤرخين وعلماء الاجتماع وظفوا المذبحة الأرمنية والمحرقة اليهودية فى التمهيد لما عُرف بـ « علم الضحايا » . ومما هو بليغ الدلالة فى هذا السياق أن المؤرخين الأمريكيين والمتأمركين لاسيما الأرمن قد انبروا فى البحث عن أوجه التماثل والتباين بين المذبحة والمحرقة . وللمزيد :

Dekmejian, Hrair : " Determinants of Genocide : Armenians and Jews as Case Studies" ; Housepian, Dobkin : " What Genocide ? What Holocaust ? " , The Armenian Genocide in Perspective, Ibid, pp. 85 - 108 .

(٧٣) يُثار الجدل حتى الوقت الراهن فى الدوائر الأكاديمية والإعلامية حول فرضيتين جد متناقضتين . أولاهما أرمنية : تدور حول تعمد الأتراك إبادة الجنس الأرمنى وفق خُطة مرسومة . وثانيتهما تركية : تُركز على عدم تعمد الأتراك إبادة الأرمن حيث كان جُل هدفهم هو نقل الأرمن من ممر الجيش الروسى حتى لا يتعاونوا معه . وهى مسألة جد شائكة لاتزال قيد الجدل . ولمتابعة الجدل الثائر حول هذه المسألة :

Bournoutian : op. cit., p. 103;

Shaw : op. cit., pp. 314 - 317 ;

عبد العزيز الشناوى : المصدر السابق ، ص ص ١٦٣٦ ـ ١٦٤٠ ؛

تانير أكچام : المصدر السابق ، ص ص ٩١ ـ ٩٧ .

(٧٤) استولت الحكومة العثمانية على أملاك الأرمن وممتلكاتهم بموجب قانون أصدرته فى ١٦ مايو ١٩١٥ . وفى أغسطس ألغت الدستور الملى الأرمنى الصادر فى عام ١٨٦٣ . وفوق هذا ، بدأت فى إزالة المعالم والآثار التاريخية الشاهدة على عراقة الوجود الأرمنى . ناهيك عن أسلمة مئات الأطفال الأرمن وتنشئتهم أتراكاً .

Temon : op. cit., p. 120 ;

حول استيلاء الأتراك على أملاك الأرمن وأموالهم وتدمير كنائسهم ومدارسهم ومؤسساتهم المتباينة:

غازاريان : المصدر السابق ، ص ص ٢٢١ ـ ٢٦٦ .

(٧٥) Shaw : op. cit., pp. 317 - 322 .

(٧٦) Ibid : pp. 324 - 325 .

(٧٧) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٣٩ ؛

مروان المدور : المصدر السابق ، ص ص ٤١٠ ـ ٤١١ .

(٧٨) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٧٩) تكونت حكومة هذه القوميسارية من «١١» وزيراً يُمثلون الأحزاب الثلاثة : المنشفيك والمساواة والطاشناق . بيد أن السلطة الحقيقية قد تمركزت فى أيدى زعماء الحزب المنشفى الجورجى .

Walker : op. cit., p. 246 .

(٨٠) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٨١) تميزت باكو بصناعاتها النفطية . لذا ، احتوت على أكبر تجمع عمالى فى إقليم القوقاز ، وكان أغلبهم من الأرمن .

Walker : op. cit., p. 246 .

(٨٢) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٨٣) Shaw : op. cit., pp. 324 - 325 .

(٨٤) وقف الأرمن الروس منذ قيام الحرب إلى جانب روسيا القيصرية التى قطعت لهم الوعود بنوع من الاستقلال ضمن أراضى أرمينية العثمانية التى احتلتها الجيوش القيصرية . بيد أنهم خابوا شر خيبة عندما اتفق الروس مع الإنجليز والفرنسيين سراً على إلحاق هذه الأراضى بروسيا بغية إسكانها القوزاق (مرتزقة روس) . لهذا ، رفضت السلطات القيصرية عودة الأرمن العثمانيين الناجين إلى وطنهم الذى تحتله جيوشها .

كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٨٥) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٨٦) Toriguian : op. cit., pp. 114 - 115 .

(٨٧) اضطرت السلطات السوفيتية إلى إقرار معاهدة بريست ـ ليتوفسك حتى تتفرغ لتنظيم شئونها الداخلية المتدهورة والقضاء على الحركات المعادية للثورة . وفى مقابل هذا ، تنازلت عن مساحات شاسعة من أراضيها . ولا يُخفى أن هذا الصلح قد عرَّض أملاك روسيا الجنوبية إلى السقوط فى أيدى الألمان والعثمانيين .

Shaw : op. cit., pp. 324 - 325 .

(٨٨) يُلاحظ هنا استبدال تعبير « الولايات الأرمنية العثمانية » بـ « الولايات الشرقية فى الأناضول » . وهو ما يعنى تراجع البلاشفة عما منحوه للأرمن وأرمينية من حق تقرير المصير . زد هنا ، أن بنود

بريست ـ ليتوفسك قد رهنت مصير الأرمن بتصرفات الدولة العثمانية .

Toriguian : op. cit., pp. 116 - 117 .

(٨٩) Walker : op. cit., pp. 252 - 253 .

(٩٠) Shaw : op. cit., pp. 325 - 326 .

(٩١) بول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(٩٢) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٩٣) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٩٤) Walker : op. cit., pp. 253 - 254 .

(٩٥) Bournoutian : op. cit., p. 128 .

(٩٦) Ibid : pp. 128 - 129 .

(٩٧) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٩٨) رأس الأرمنى الطاشناقى هوفهانيس كاتشازنونى هذه الحكومة المؤقتة التى تُعد أول حكومة أرمنية مستقلة فى التاريخ الحديث . وثمة ما يجدر تسجيله هنا ، أن الأرمن لازالوا يحتفلون بيوم ٢٨ مايو (١٩١٨) بوصفه عيد تأسيس أرمينية فى العصر الحديث و « عودة الروح » إليها بعد «التيه» الذى أصابها منذ سقوط آخر ممالكهم يوم ١٣ أبريل ١٣٧٥ .

مروان المدور : المصدر السابق ، ص ٤١٦ .

(٩٩) Bournoutian : op. cit., p. 131 .

(١٠٠) بول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(١٠١) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٤١

(١٠٢) يفخر الشعب الأرمنى حتى الوقت الراهن بانتصاراته فى هذه المعارك لاسيما سردار آباد التى كانت بمثابة بّرهان للعالم على أحقية بقاء الشعب الأرمنى .

Dasnabedian : op. cit., p. 123 ; Yeghiayan : op. cit., p. 553 .

(١٠٣) تنازلت السلطات العثمانية للجمهورية الأرمنية عن مساحة قدرها «٦٠٠» كيلو متراً مربعاً فى إقليم الكسندروبول بالقرب من جبل أراكادز . ولكنها فقدت الكسندروبول ذاتها فضلاً عن أقاليم أولطى وجارس وقاغزفان وصورمالو وجزءاً من إقليم يريفان .

Toriguian : op. cit., pp. 172 - 173 .

(١٠٤) Ibid : pp. 173 - 176 .

(١٠٥) Bournoutian : op. cit., p. 131 .

(١٠٦) تشكلت الحكومة الأرمنية من هوڤهانيس كاتشازنونى رئيساً للوزراء ، ألكسندر خاديسيان وزيراً للخارجية ، آرام مانوجيان وزيراً للداخلية ، خاتشادور جارچيجيان وزيراً للمالية ، هوڤهانيس هاخڤيرديان وزيراً للحربية . وينتمون جميعاً إلى حزب الطاشناق عدا الأخير ليس حزبياً . وتكون برلمان (خورهورت) هذه الحكومة من «٤٠» نائباً معظمهم من الطاشناق . ورغم هذا ، تم تمثيل الأحزاب الأخرى والأقليات الروسية والإسلامية نسبياً .

Dasnabedian : op. cit., pp. 127 - 129 .

(١٠٧) Bournoutian : op. cit., p. 133 .

(١٠٨) Walker : op. cit., pp. 259 - 260 .

(١٠٩) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(١١٠) Bournoutian : op. cit., p. 133 ;

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

(١١١) Shaw : op. cit., p. 327.

(١١٢) حول تفاصيل بنود هدنة مودروس :

Ibid : pp. 327 - 328 .

(١١٣) Bournoutian : op. cit., p. 134 .

(١١٤) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(١١٥) بول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

لاذ الثلاثي الحاكم طلعت وأنور وجمال إلى برلين للإفلات من عقاب الشعب . وخلال الفترة من ٢٦ نوفمبر ١٩١٨ حتى ٥ يولية ١٩١٩ جرت فى الأستانة محاكمة غيابية لهؤلاء الزعماء الثلاثة . وحُكم عليهم جميعاً بالإعدام . بيد أن هذه المحاكمة كانت صورية رمت إلى اكتساب عطف دول الوفاق واسترضائهم . ولهذا ، قرر الثوريون الأرمن تنفيذ حكم الإعدام بأنفسهم على مقترفى المذابح الأرمنية وشركائهم . فنُفذ أولاً بقتل طلعت فى برلين يوم ١٥ مارس ١٩٢١ على أيدى صوغومون تهلريان ، ثم سعيد حليم رئيس الوزراء (١٩١٣ ـ ١٩١٧) فى روما يوم ٦ ديسمبر ١٩٢١ بواسطة أرشاڤير شيراكيان ، ثم جمال فى تفليس يوم ٢١ يولية ١٩٢٢ بأيدى بدروس دير بوغوصيان وأرداشيس

كيڤوركيان . أما بهاء الدين شاكر رئيس التشكيلات المخصوصة فقد قتله فى برلين يوم ٧ أبريل ١٩٢٢ كل من آرام يـرجانيان وأرشاڤير شيراكيان . وأخيراً ، قُتل أنور خلال الحرب فى صف أعداء الثورة الروسية ضد القوات السوڤيتية .

ولمزيد من التفاصيل :

أواديس پاپازيان : المشانق العربية والمجازر الأرمنية : ترجمة الكسندر كشيشيان ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٢ .



الفصل الثالث

الكماليون والأرمن

١٩١٩ ـ ١٩٢٣

١ ـ ما بعد الحرب : من المصادمة إلى المساومة
٢ ـ الانتداب على أرمينية : الجمل الأجرب
٣ ـ الثورة الأناضولية : تكريس الذاتية التركية
٤ ـ معاهدة سيفر : السراب المستحيل
٥ ـ الحروب الأناضولية : اجتياح الطوفان
٦ ـ معاهدة لوزان : اغتيال أمة

١ ـ ما بعد الحرب : من المصادمة إلى المساومة

تركت الهزيمة العثمانية تأثيراً نفسياً إيجابياً على الأرمن . فقد أدرك كثير ممن كانوا مرتابين فى جمهوريتهم أن لديها « فرصة البقاء » . وقرر بعض المثقفين والماليين الأرمن الذين مكثوا فى تفليس الذهاب إلى يريڤان لتقديم خدماتهم إلى الجمهورية . أكثر من هذا ، قرر حزب الشعب الأرمنى ، ممثل الطبقة الوسطى والمعادل القوقازى للحزب الديمقراطى الدستورى (ساهماناتير رامجاڤار) فى المهجر ، الانضمام إلى الحكومة . وفعلاً ، احتضن الطاشناقيون الليبراليين ، ومنحوهم نصف ، إن لم يكن أهم ، مناصب الحكومة نظراً لحاجتهم الماسة إلى خبرة حرفيى الطبقة الوسطى ورغبتهم فى أن يُثبتوا لدول الوفاق أن راديكاليين لم يكونوا مسيطرين على أرمينية . (١)

ورغم هذا الوضع المتفائل ، عانت أرمينية شتاءً قارساً خلال عامى ١٩١٨ ـ ١٩١٩ . فقد أدى نقص الغذاء والدواء والإيواء إلى شغب وأوبئة ومجاعات حتى أكلت الناس الكلأ والميتة والجلود المسلوقة ناهيك عن بعض حالات أكل لحوم البشر . والنتيجة : هلاك حوالى « ٢٠٠ » ألف أرمنى أثر الجوع والصقيع والتيفوس . ثم أخيراً ، وصلت المعونة . إذ جمعت لجنة إعانة الشرق الأدنى الأمريكية ملايين الدولارات من أجل « الأرمن الجياع » . وبحلول ربيع ١٩١٩ مابرحت تصل المعونات الغذائية والكسائية والدوائية التى أنقذت حيوات آلاف الأرمن ومكنت جمهوريتهم أن « تصلب عودها » . (٢)

بيد أن الخلافات الحزبية قد عرقلت مسيرة تطور الجمهورية الأرمنية . فرغم وجود الشعبيين فى الحكومة ، سيطر الطاشناقيون على المناصب الحكومية العليا وشكل حزب الشعب الليبرالى بقية الحكومة . ولكلا الحزبين الرئيسيين فلسفة متباينة . فبينما كان حزب الشعب مرناً انفتاحياً ، كان الطاشناقيون ثوريين متشددين ومنغلقين . وتطلع أيديولوچيو وسياسيو الحزبين إلى رفاهية أرمينية والأرمن . ولكن نظراً لأنهم انحدروا من خلفيات اجتماعية ـ اقتصادية مختلفة ، فقد بحثوا عن « الرفاهية » بطرق متغايرة . ففى حين انبثق الليبراليون من رحم التقاليد الليبرالية للطبقات الوسطى العليا فى تفليس وباكو وموسكو وسان بطرسبرج ، كان الطاشناقيون نتاج الطبقات الوسطى

الدنيا والعمال والفلاحين الذين تأثروا بالتوهج الثورى والطموحات القومية المتفشية فى أوربا الشرقية . (٣)

وثمة قضايا مهمة شغلت بال الجمهورية الأرمنية آنذاك لعل فى مقدمتها النزاعات الحدودية مع چورچيا وأذربيچان ثم مؤتمر السلام المنعقد فى باريس منذ ١٨ يناير ١٩١٩ .

كانت أوضاع ما وراء القوقاز بعيدةً عن الهدوء . إذ أن انقسام الإقليم إلى ثلاث جمهوريات جعل أرمينية ذات مشاكل حدودية غير محسومة . تمثلت المشكلة الأولى فى النزاع الأرمنى - الچورچى حول إقليمى أخالكالاك ولورى الحاويين أغلبية أرمنية . ورغم أنهما إقليمان أرمنيان ، فقد دخلا وفقاً للتقسيمات الإدارية الروسية فى القرن التاسع عشر ضمن إقليم تفليس . ولهذا ، ادعت چورچيا أنهما جزء من جمهوريتها الجديدة . وأدى النزاع الأرمنى - الچورچى إلى اندلاع اشتباكات عسكرية صغيرة بين الدولتين المسيحيتين انتهت بعقد تسوية ، أصبح لأرمينية بمقتضاها السيطرة على نصف لورى بينما أصبح النصف الآخر « نطاقاً محايداً » واحتفظت چورچيا بالسيطرة على أخالكالاك . (٤)

وتُعد المشكلة الحدودية الثانية بين أرمينية وأذربيچان أكثر تعقيداً . فمن وجهة النظر الأرمنية ، ثمة تمييز بسيط بين الآذريين الأتراك والأتراك أنفسهم . إذ أن التعاون الآذرى - التركى خلال عامى ١٩١٧ - ١٩١٨ هدد بقاء الجمهورية الأرمنية . واعتبرت أذربيچان نفسها وريثة إقليمى باكو وإليزاڤيتبول (جنزه) ؛ ومن ثم اعتبرت كاراباخ وزانجزور مناطق آذرية . زد على هذا ، اعتبر الآذريون الأجزاء الشمالية من أرمينية والمناطق الشرقية من چورچيا ذات الجيوب التركية ضمن حدود أذربيچان . أكثر من هذا ، طالب الآذريون بتلك الأقاليم من أرمينية الغربية التى آلت إلى روسيا بعد برلين ١٨٧٨ . وبمعنى آخر ، تصور الآذريون دولة تمتد من بحر قزوين حتى البحر الأسود ، مع وجود أرمينية حبيسة بينها وبين الدولة العثمانية . ومما زاد فى تعقيد الموقف ، وجود آلاف المسلمين يقطنون جنوبى أرمينية ، وآلاف الأرمن يسكنون كاراباخ وزانجزور وضواحى باكو وإليزاڤيتبول . (٥)

دعَّم البريطانيون الإدعاءات الآذرية فى كاراباخ وزانجزور بسبب بترول باكو ، إذ ماانفك البريطانيون يضخون ويبتاعون النفط بمجرد وصول قواتهم هناك . وأسفر عن مقاومة كاراباخ نشوب مذابح فى عدة قرى أرمنية . ثم أُجريت تسوية حصلت بموجبها المناطق المأهولة بالأرمن فى كاراباخ على حكم ذاتى داخلى فى دائرة اختصاص الآذريين . ولكن الأخيرين أخلوا بهذه التسوية مما أدى إلى تمرد أرمنى فى شوشى الملتهبة عاصمة كاراباخ . عندئذٍ ، لم تكن حكومة يريڤان قادرة على التدخل لصالح الأرمن . ومن ثم ، أضحت مشكلة كاراباخ وغيرها من المشكلات الحدودية الأرمنية قيد انتظار مباحثات السلام المنعقدة فى باريس منذ ١٨ يناير ١٩١٩ . (٦)

حينذاك ، كانت دول الوفاق يُرتبون فى العاصمة الفرنسية بنود السلام مع الدول المقهورة : ألمانيا والنمسا ـ المجر والدولة العثمانية وبلغاريا . وأرادت الدول المنتصرة تحقيق « الضم الفورى » للأراضى المعطاة لها على أساس معاهدات الحرب . بيد أن الرئيس الأمريكى ويلسون عارض هذا ، وطرح فكرة الانتداب كـ « حل وسط » بين الضم الاستعمارى وحق تقرير المصير الذى نص عليه البند الثانى عشر من بنود مبادئ السلام الأربعة عشر التى أرساها ويلسون . وفى ٣٠ يناير ١٩١٩ وافق المجلس الأعلى للوفاق (الحلفاء) على مسودة قرار تُفصل بموجبه أرمينية وسورية والعراق وفلسطين والحجاز عن الدولة العثمانية وتُوضع تحت الانتداب . (٧)

وقد أرسلت الجمهورية الأرمنية فى ٤ فبراير ١٩١٩ إلى هذا المؤتمر وفداً برئاسة أڤيديس أهارونيان (١٨٦٦ ـ ١٩٤٨) للمطالبة بأرمينية الغربية ومخرج للجمهورية على البحر الأسود . (٨) وفى أعقاب وصول الوفد الجمهورى ، التقى مع جماعة أرمنية أخرى ؛ إنها الوفد القومى الأرمنى برئاسة بوغوص نوبار باشا نيابةً عن الأرمن الغربيين وأرمن المهجر . بيد أن ثمة اختلافات جد متباينة بين الوفدين . فبينما تشكل الوفد الجمهورى من أغلبية طاشناقية ، تكون معظم الوفد القومى من الحزب الديمقراطى الدستورى . وفى حين كان بوغوص يُطالب بإقامة دولة أرمنية كبرى قوامها الأرمن العثمانيين ولا يُؤمن بتمثيل الجمهورية الأرمنية لكل الأرمن ، كان وفد أهارونيان يتميز بأنه يُمثل دولة قائمة بالفعل عظماً ولحماً ودماً . (٩)

غير أن الوفدين آثرا اتفاقهما ظاهرياً على توحيد مطالبهما الأساسية والتقدم بها معاً باعتبارهما « وفد أرمينية المتكامل » . وفعلاً ، قدم الوفدان الأرمنيان فى ١٢ فبراير ١٩١٩ مذكرة مشتركة إلى الوفاق تحوى المطالب الآتية :

١ ـ الاعتراف بدولة أرمنية مستقلة قوامها :

(أ) ولايات ڤان وبيتليس ودياربكر وخربوط وسيواس وأرضروم وطرابيزون .

(ب) سناجق قيليقية الأربعة : مرعش وسيس وجبل بركات وآضنه .

(ج) الجمهورية الأرمنية القائمة فى القوقاز مع ولاية يريڤان كاملة والجزء الجنوبى من ولاية تفليس والقسم الجنوبى الغربى من ولاية إليزاڤيتبول (جنزه) وولاية جارس .

٢ ـ تأمين كيان الدولة الأرمنية من قبل الدول الحليفة أو الولايات المتحدة الأمريكية أو عصبة الأمم .

٣ ـ تكليف دولة كبيرة بجعل أرمينية تحت انتدابها لمدة عشرين عاماً .

٤ ـ التعويض عن الأضرار اللاحقة بالأرمن إثر المذابح والتشريد والنهب والدمار .

٥ ـ على الدولة المنتدبة إجبار الحكومة العثمانية على إجلاء الأراضى الأرمنية ، وتأمين تجريد السكان من السلاح ، وملاحقة جميع الذين اشتركوا فى ذبح الأرمن وألحقوا بهم الغبن ، وإبعاد عناصر الشغب عن البلاد وإعادة المهاجرين الذين حلوا محل الأرمن إلى بلادهم . (١٠)

كما عقد بوغوص نوبار فى باريس خلال الفترة من ٢٤ فبراير حتى ٢٢ أبريل ١٩١٩ المؤتمر القومى الأرمنى لتأييد المطالب الأرمنية ومناقشة مستقبل أرمينية . وطالب هذا المؤتمر بأن يسند الوفاق « الانتداب على أرمينية » إلى الولايات المتحدة . (١١)

على أية حال ، ثمة تعقيدات اعترضت المطالب الأرمنية . فقد خصصت اتفاقية سايكس ـ بيكو (مايو ١٩١٦) قيليقية ونصف أرمينية الغربية لفرنسا . أكثر من هذا ،

اصطدمت المطالب الحدودية الكردية مع مثيلاتها الأرمنية . زد هنا أيضاً ، لم يكن الجيش العثمانى فى الأناضول منزوع السلاح ، ومن ثم ، لا تستطيع الجمهورية الأرمنية الصغيرة ـ مع نقص أسلحتها ومواردها ـ الدفاع عن « أرمينية » سوف تربو مساحتها على « ١٠٠ » ألف ميلاً مربعاً . (١٢)

❀ ❀ ❀

٢ ـ الانتداب على أرمينية : الجمل الأجرب

عندئذٍ ، احتاجت أرمينية قوة انتدابية لمساعدتها فى مثل هذا التحول . ولكن لما كانت بريطانيا وفرنسا قد تولتا المراقبة والإشراف على بعض الولايات العربية التى ستُفصل عن الدولة العثمانية ، فقد آمل زعماء الوفاق فى ١٤ مايو بأن الولايات المتحدة قد تقبل بانتداب (عصبة الأمم) على الدولة الأرمنية المزمع تأسيسها . والحقيقة أن دول الوفاق خشوا قبول الانتداب على أرمينية بسبب الالتزامات المادية الجسيمة التى تلزمها ناهيك عن احتمال الانجراف فى حرب مع روسيا السوفيتية أو الدولة العثمانية . (١٣)

ومن ناحية أخرى ، آمل البريطانيون قبول الولايات المتحدة الانتداب على أرمينية بغية توظيف الاهتمام الإنسانى الأمريكى بالأرمن فى خدمة الطموح الاستعمارى البريطانى . فالوصاية الأمريكية على أرمينية تُعد « حاجزاً فاصلاً » بين البترول الإيرانى والاحتياطى النفطى الكبير فى بلاد الرافدين وبين البلاشفة فى روسيا . ناهيك أنها ستُعاكس النفوذ الفرنسى فى الشرق الأوسط ، وستُوقف الحركة الداعمة للطورانيين التى قد تُعرض المصالح البريطانية فى الهند للخطر . بيد أن ويلسون حذر دول الوفاق من أن الكونجرس والشعب الأمريكى لن يقبلا بسهولة حمل مسئولية الانتداب ، وأن قبوله الانتداب مرهون بموافقة الكونجرس . (١٤)

وتجدر الإشارة إلى أن بريطانيا وفرنسا لم تكونا متعجلتين لحسم تقسيم الدولة العثمانية . إذ قدمت إتفاقية سايكس ـ بيكو لهما احتمالات التوسع الاستعمارى فى آسيا الصغرى والبلاد العربية . وفوق هذا ، كان الإنجليز والفرنسيون فى وضع مرتبك .

فقد منح الإنجليز لليهود (وعد بالفور) وللعرب (من خلال لورانس وآخرين) وعوداً متضاربة حول « وطن قومى » . كما وعدوا الأكراد والآشوريين بأشياء من هذا القبيل .(١٥) ناهيك أن الإنجليز والفرنسيين نثروا الوعود المتتالية على القيادة الأرمنية فيما وراء القوقاز وأوربا مدعين أن ظلم الماضى سوف يُصحح نهائياً ، وأن الدم الأرمنى الذى أُريق فى المذابح والإبادة وعلى جبهات الحرب بجانب دول الوفاق «لن يضيع هدراً» وسوف تكون المكافأة : أرمينية مستقلة واسعة تحميها دول الوفاق . (١٦)

وإزاء هذا الزخم من الوعود المتضاربة ، وصلت المباحثات حول الدولة العثمانية إلى طريق مسدود ، وتعرقلت المفاوضات بسبب اختلاف دول الوفاق حول مستقبل أرمينية وعدم قبول احداها الانتداب عليها . وبينما أبرم الوفاق معاهدة « فرساى » فى ٢٨ يونية ١٩١٩ مع ألمانيا فقط ، قرر إرجاء البت فى مصير الدولة العثمانية إلى حين معرفة قرار الكونجرس الأمريكى بخصوص الانتداب على أرمينية وأجزاء من الأناضول . (١٧) وهكذا ، تأجل البت فى مصير أرمينية إلى مؤتمرات ومعاهدات لاحقة . وبات عليها أن تنتظر نتيجة مناقشات ويلسون مع الكونجرس حول معاهدة فرساى وعصبة الأمم والانتداب الأرمنى . (١٨)

فى تلك الأثناء ، وضعت الحكومة الأرمنية كل آمالها على أوربا والولايات المتحدة الأمريكية . واضطر الوفاق (عدا الولايات المتحدة) فى أعقاب انتهاء الحرب الأهلية الروسية بهزيمة أعداء البلاشفة أن يعترف فى ٢٢ يناير ١٩٢٠ بجمهوريات ما وراء القوقاز الثلاث (أرمينية وچورچيا وأذربيچان) وإمدادهم بالسلاح بغية مناهضة البلشفية . (١٩)

وقد أرسل الرئيس الأمريكى ويلسون لجنة تقصى مكثت شهرين فى أرمينية الغربية والجمهورية الأرمنية لتحديد إمكانية « انتداب » . ووصلت اللجنة إلى نتيجة محددة : إذا كان الانتداب من الناحية الخيرية مقبولاً ، فمن الناحية العملية سوف يُكلف الولايات المتحدة « ثمناً باهظاً للغاية » وسوف يُلقى بها فى « مستنقع مشاكل » . وعبثاً ، حاول ويلسون إقناع الكونجرس بالموافقة على معاهدة فرساى وعصبة الأمم .

وبعد مناقشات معقدة مطولة ، جاء الرد الأمريكى : رفض الكونجرس المعاهدة والعصبة ، ومن ثم ، الانتداب على أرمينية .[(٢٠)]

ويكمن تعقيد وضع الأرمن فى حقيقة أن الولايات المتحدة لم تُعلن الحرب على الدولة العثمانية ، وبالتالى ، انسحبت من المباحثات الخاصة بتقسيم هذه الدولة . بيد أن تسويفات إجراء « تسوية عثمانية» أدت إلى آثار وخيمة العاقبة على أرمينية . ففى تلك الآونة ، تبوأت الواقعية السياسية أفضلية على الوعود المثالية التى نثرها الحلفاء «الكبار» على حلفائهم «الصغار» . وفى خط متواز ، شعر الرأسماليون الأوربيون ، ومن بعدهم الأمريكيون ، أن فى مقدورهم اجتناء أرباح ضخمة من تركيا المتنامية وطرقها التجارية أفضل بكثير من أرمينية « الجرداء الجوعاء » . ناهيك أن الوزارات الاستعمارية فى أوربا وضعت نصب أعينها رد فعل « مشاعر » المسلمين فى مستعمراتهم إذا عُوملت دولتهم العثمانية ـ مركز خلافتهم ـ شأن ألمانيا والنمسا . زد على هذا ، أن المصالح البريطانية ـ الفرنسية لم تكن متضاربة فى الأناضول مثلما فى البلاد العربية .[(٢١)]

❀ ❀ ❀

٣ ـ الثورة الأناضولية : تكريس الذاتية التركية

وأخيراً ، أدى اصطدام الطموحات اليونانية ـ الإيطالية فى الأناضول ، والهجوم اليونانى على غربى الأناضول ، إلى تنامى « شعور تركى قومى » عندما نظم الأتراك القوميون بقيادة مصطفى كمال (١٨٨١ ـ ١٩٣٨) فى الداخل معارضة قوية فى وجه مخططات دول الوفاق بصدد تقسيم الدولة العثمانية .[(٢٢)] ففى ١٩ مايو ١٩١٩ أرسل السلطان محمد السادس (١٩١٨ ـ ١٩٢٢) الضابط مصطفى كمال إلى سامسون على البحر الأسود وخوَّله سلطات واسعة بوصفه مفتشاً للجيش الثالث بغية استعادة النظام فى الأناضول الذى اختل بسبب الهياج على احتلال الوفاق . بيد أن رسول السلطان أخفى بين أحشائه « سراً قومياً » ؛ فهو لم ينزل الأناضول بهدف احتواء غضب الجماهير المعادية للوفاق ، بل على النقيض تماماً ، رمى إلى رد الثقة إلى

الجيش العثمانى المتفسخ إثر الهزيمة ، وكذلك إعادة تجميع كل حركات المقاومة تحت سلطة واحدة . عندئذٍ ، لم يعد المحتل الأجنبى وحده هو الخصم الذى ينبغى محاربته ، بل انضم إليه أيضاً السلطان وحكومته . (٢٣)

انهمك كمال منذ وصوله إلى الأناضول فى استقطاب القادة العسكريين ، وأحاط نفسه ببعض رجال الدين ، وكسب ثقة زعماء الأكراد الثائرين فى شرقى الأناضول . وفى ٢٢ يونية ١٩١٩ وجه كمال « منشور آماسيا » إلى جميع المنظمات الوطنية التركية فحواه : أن الأمة فى خطر ، ولابد من إيجاد علاج لوضعها المحزن . وإلى هذا الحد ، انتاب الذعر الأستانة . بيد أن كمالاً رد فى ٨ يولية ١٩١٩ بقوله : « لن أبرح الأناضول حتى تسترد الأمة استقلالها تماماً » . (٢٤)

وبعد أن قطع كمال روابطه بالسلطة المركزية ، جازف بشن معركته السياسية . فقد نظم مؤتمرين فى أرضروم (٢٣ يولية ـ ٧ أغسطس ١٩١٩) وسيواس (٤ ـ ١١ سبتمبر ١٩١٩) ، وفيهما اعتمد المؤتمرون مشروع قرار يتماشى كليةً مع رغبات كمال : « وطن قومى لا يقبل التجزئة » . وهو ما يعنى : رفض قيام دولة أرمنية فى شرقى الأناضول تضم الولايات الأرمنية الست . (٢٥)

وعبثاً ، حاول الباب العالى إلحاق الهزيمة بالحركة الكمالية : فقد صوروها أمام الرأى العام بوصفها حثالة اتحادية متعطشة للنهب والدمار ، وإبادة الأرمن ، وممالأة الألمان . وهو ما يُثير قطعاً فى العقل الجمعى للسكان مآسى المشاريع المغامرة للاتحاديين . ورغم هذا ، لا يُمكن تجاهل حقيقة أن الأناضول تشهد ساعتئذٍ نزعة تركية قومية متكاملة . (٢٦)

وفى أواخر عام ١٩١٩ ، أجرت الحكومة العثمانية انتخابات عامة لسحب البساط من تحت أقدام الكماليين . بيد أن الاقتراع أسفر عن نتيجة لم تكن فى حسبان الائتلاف الليبرالى الحاكم ؛ إذ تألف المجلس النيابى الجديد من قوميين معارضين بشراسة لهيمنة دول الوفاق على الدولة العثمانية . وفى ٢٨ يناير ١٩٢٠ وافق النواب على « الميثاق الوطنى » الذى تدور خطوطه العريضة حول بطلان تجزئة الأراضى العثمانية التى لم تكن تحت الاحتلال عند توقيع هدنة مودروس ورد ولايات جارس

وأردهان وباطوم إلى الدولة العثمانية . [٢٧] وإزاء هذا الغليان البرلماني متوازياً مع تزايد أعمال الفدائيين ضد الوفاق ، وجه الإنجليز ضربة كبرى في ١٦ مارس ١٩٢٠ باقتحام البرلمان واعتقال عدة شخصيات سياسية . [٢٨]

لهذا ، توجه أغلب البرلمانيين إلى أنقرة ، وهي مدينة صغيرة وسط الأناضول ، أقام فيها كمال مقر قيادته . عندئذٍ ، وجد قائد الثورة الأناضولية نفسه محوطاً بحوالي « ٤٠٠ » شخصية انبثقوا من آفاق جد متباينة مما دعاه في ٢٣ أبريل ١٩٢٠ إلى عقد مجلس يتمتع بسلطات استثنائية صار يُسمى «حكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا» . واجتمع النواب في أنقرة على هدف واحد : طرد المحتل وتفادي تمزيق الأراضي « التركية » مهما بلغ الثمن . وانضوت غالبية النواب طواعية تحت راية كمال الذي نجح كثيراً في الحفاظ على تماسك وحدة الحركة التركية الوطنية . [٢٩]

وفي نفس اليوم الذي تأسست فيه الحكومة الوطنية بأنقرة ، اعترفت الولايات المتحدة بـ « أرمينية » مما دعا دول الوفاق في ٢٧ أبريل ١٩٢٠ أن يطلبوا منها قبول الانتداب عليها . [٣٠] ولكي يُقنع الكماليون دول الوفاق والأرمن سوياً بجدية نواياهم ، صبوا جام غضبهم على قيليقية حيث كان قد عاد إليها وتجمع بها زهاء « ١٥٠ » ألف أرمني غداة توقيع هدنة مودروس تحت الحمايتين الفرنسية ـ البريطانية . وراح الكماليون يُطهرون قيليقية من الأرمن بهجمات منظمة على المدن والقرى المأهولة بهم ، تحت بصر فرنسا وسمعها ، دون أن تُحرك قواتها ساكناً أمام قتل الأرمن وتشريدهم . [٣١] ولم يكترث الكماليون بأوامر الأستانة ، واعتبروا أنفسهم « الحكومة الفعلية » في الدولة . وهكذا ، أنذر الهجوم التركي على قيليقية ورفض الفرنسيين الدفاع عنها بـ « موت قيليقية الأرمنية » . وغادر الأرمن الذين لم يُقتلوا أو يُؤسروا ديارهم مرة أخرى إلى سورية ولبنان . [٣٢]

❀ ❀ ❀

٤ ـ معاهدة سيفر : السراب المستحيل

في تلك الأثناء ، زاولت دول الوفاق مباحثاتهم حول معاهدة السلام مع الدولة

العثمانية فى سان ريمو بإيطاليا . ورغم إن القضية الأرمنية حازت اهتماماً واسعاً ، إلا إن الوفاق اهتزوا إثر الضغوط الكمالية والبلشفية . [٣٣] ناهيك أن عجز الأرمن عن الدفاع عن أنفسهم أعطى الوفاق مبرراً كى يُبعدوا قيليقية ونصف أرمينية الغربية - أى الأقاليم الممنوحة أساساً للفرنسيين وفق سايكس بيكو - عن أى مشروع «دولة أرمنية» . ولهذا ، اتفق الوفاق فى « سان ريمو » أن يمنحوا جمهورية أرمينية : قان وأرضروم وبيتليس ومنفذاً على البحر الأسود . [٣٤]

وأيقن الوفاق أن مثل هذا الاتفاق يُعد ميتاً ، لأنه لا تُوجد دولة أوربية مستعدة أن تتعهد بمعاونة الأرمن على تأمين مثل هذه الحدود الشاسعة . وواجه الإنجليز والفرنسيون مأزقاً حول كيفية الوفاء بوعودهم الفضفاضة للأرمن . ولما تبرأ البلاشفة من اتفاقية سايكس - بيكو ، منح الإنجليز الأرمن نصف أرمينية الغربية التى كانت موعودة للروس . وعندئذٍ ، شعر الإنجليز بأنهم خرجوا من المأزق ، وآملوا أن ينجح اليونانيون وجمهوريات ما وراء القوقاز فى صد الكماليين والبلاشفة . أكثر من هذا ، تطلع الإنجليز والفرنسيون أن تقبل الولايات المتحدة حمل المسئولية عن أرمينية ، وطلبوا من ويلسون أن يفصل فى نزاع الحدود بين أرمينية والدولة العثمانية فى اطار الخطوط الإشارية المتفق عليها فى سان ريمو . ووافق ويلسون أن يسبح ضد التيار فى الكونجرس على أمل مساعدة أرمينية . [٣٥]

وبينما أعلنت القوى المنتصرة فى « سان ريمو » أنها وصلت إلى اتفاق نهائى ، رفض الكونجرس الأمريكى فى غرة يونية ١٩٢٠ فكرة « الانتداب الأمريكى » على أرمينية نهائياً . ففى جميع الأحوال ، فإن انتداباً أمريكياً على أرمينية سيزج بالولايات المتحدة مرةً أخرى فى أتون الوضع المعقد للشرق الأوسط . وقد عارض شيوخ كثيرون قضية الانتداب لأنها انتهاك لمبدأ منرو محتجين بأن تدخل الولايات المتحدة فى أرمينية سوف يُشكل « سابقة » للتدخل الأوربى فى شئون نصف الكرة الغربى . كما أن حمل مسئولية أرمينية قد يُورط الولايات المتحدة فى حرب ضد الكماليين أو البلاشفة أو شعوب ما وراء القوقاز . زد على هذا ، ارتياب معظم الشيوخ فى النوايا البريطانية وراء حث الولايات المتحدة على قبول الانتداب خاصةً وأنهم نظروا إلى عصبة الأمم على أنها « مشروع استعمارى » يرمى إلى سيطرة بريطانيا على الشرق الأوسط .

وأخيراً ، جاء رفض الكونجرس متطابقاً مع مبدأ « العزلة الرائعة » . ورغم هذا ، بقى اهتمام ويلسون ذاته بأرمينية ثابتاً وأخذ يرسم حدودها النهائية . [٣٦] وبذا ، تركت الولايات المتحدة دول الوفاق يترنحون فى أزمة ومهد رفضها الانتداب إلى احتضار القضية الأرمنية .

ورغم هذا ، نجحت الدبلوماسية الأوربية أن تُملى على الأستانة قبول معاهدة سيڤر فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ التى كرَّست تمزيق الدولة العثمانية واختزالها فى دولة أناضولية صغيرة محصورة بين بلدين لاتزال حدودهما غير مرسومة وهما : أرمينية واليونان . ورغم أن هذه المعاهدة ذات مضمون أمبريالى فى بنودها المالية والاقتصادية ، إلا أنها كانت معتدلة التوجه بالنسبة للقضية الأرمنية . [٣٧]

إذ بموجب هذه المعاهدة ، اعترفت الدولة العثمانية رسمياً بأن أرمينية دولة حرة مستقلة (مادة ٨٨) . ونصت المادة «٨٩» على أن « تُوافق الدولة العثمانية وأرمينية ودول الوفاق على رفع قضية رسم الحدود بين الدولة العثمانية وأرمينية فى ولايات ڤان وبيتليس وأرضروم وطرابيزون إلى تحكيم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، والقبول بالقرار الذى سيتخذه وأية شروط قد يُقدمها فيما يتعلق بمنح أرمينية منفذاً إلى البحر ونزع سلاح أية بقعة من الأراضى التركية المتاخمة للحدود المذكورة » . وهو ما يعنى رفض مطالبة الأرمن بولايات : ديار بكر وخربوط وسيواس شرقى الأناضول . هذا ، وقد تركت المادة «٩٢» من هذه المعاهدة لجمهورية أرمينية تحديد حدودها مع أذربيچان وچورچيا . [٣٨]

وبمقتضى سيڤر أيضاً ، أُلغيت الانتهاكات الدينية ، واكتسبت العائلات والطوائف حق المطالبة أو البحث عن الأشخاص المفقودين والمختطفين عن طريق لجنة مشتركة ، وكان يتعين على الحكومة العثمانية تقديم المساعدة لاسترداد النساء والأطفال المحتجزين عند الأتراك والأكراد ، والتنازل عن قانون الأملاك المهجورة الذى كان قد جعل من الدولة العثمانية المستفيد الأول من أملاك وأراض الأرمن كلها لعدم وجود مُلاك أو ورثة شرعيين لهم . ووعد الأرمن بدورهم أن يكفلوا الحقوق الدينية والثقافية للمسلمين الذين سوف يظلون فى أرمينية الغربية . [٣٩]

وهكذا ، قدمت سيڤر حلاً للقضية التى كلفت حياة نصف الشعب الأرمنى وتدمير مختلف مؤسساته . وبدا بعد احدى وعشرين شهراً من نهاية الحرب العالمية الأولى أن النزاع قد انتهى رسمياً .

بيد أن الرأى العام الأوربى لاسيما الفرنسى أيقن تماماً أن صلح سيڤر وُلد ميتاً ، لأن الشروط المفروضة على الدولة العثمانية كانت جائرة ، وغير قابلة للتطبيق ، بل ومؤذية لمصالح الوفاق .(٤٠) ناهيك أن تنفيذ بنود المعاهدة يقضى التدخل المباشر لدول الوفاق الذين أدركوا جيداً أن الأرمن صاروا هلكى ويحتاجون دعماً مديداً كى يستردوا اعتبارهم ويُؤسسوا أنفسهم من جديد . ولذا ، لم ترغب أية دولة منهم فى تحمل المسئوليات المادية والمعنوية إزاء الأرمن .(٤١)

وفى أعقاب سيڤر ، تأرجحت الجمهورية الأرمنية بين « انبعاث الأمل » و « اقتراب الأجل » . أما انبعاث الأمل ، فقد أضحت أرمينية معترفاً بها من قبل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا وشيلى والأرچنتين والبرازيل وغيرها .(٤٢)

وأما اقتراب الأجل ، فثمة سحب مُلبدة كانت تتكون فى الأفق . إذ أدرك الكماليون أن سيڤر سوف تعنى : دولة تركية مختزلة وضعيفة . لذا ، أعلنوا أن حكومة الأستانة لا تُمثل الشعب التركى ، وأن أية اتفاقيات أبرمتها تُعد باطلة . واهتم الكماليون فقط بالحفاظ على « وطن الأتراك الأم » ؛ أى آسيا الوسطى . وبمعنى آخر ، لم يُصر الكماليون على تمامية وحدة أراض الدولة العثمانية السابقة ، لأن البلقان قد استقلت فعلاً والبلاد العربية وشيكة الانفصال . وأدركت الحكومتان الإنجليزية والفرنسية أن قيام دولة تركية قوية أفضل لهما من دول ما وراء القوقاز الضعيفة وشيكة السقوط فى هاوية البلشقية .(٤٣)

❀ ❀ ❀

٥ ـ الحروب الأناضولية : اجتياح الطوفان

وعندما تأكد الكماليون من رد فعل الوفاق ، استداروا لحل القضية الأرمنية والهجوم اليونانى .

ولكن ، لما كانت الحرب على جبهتين متواقتتين تستلزم تمويلاً ضخماً ، لذا ، فإن الكماليين لم يألوا جهداً فى طلب مساعدات خارجية لاسيما من البلاشفة الذين يُحاربون نفس الخصوم . (٤٤) وأكد الأتراك القوميون للبلاشفة أنهم إذا أمدوهم بالسلاح والقمح والذهب ، سوف يُوجهون أذربيجان إلى جانبهم ويمحون الأرمن «الأمبرياليين» . ولهذا ، دخل البلاشفة باكو واستقبلهم جيداً القادة الآذريون الذين صوروا أنفسهم بمثابة ممثلى الطبقة العاملة . وفى تلك الأثناء ، تسلل النشاط البلشفى إلى أرمينية ببطء . ورغم هذا ، نجح الأرمن الشيوعيون فى خلق ثورة صغيرة فى الكسندروبول مطالبين بتأسيس « جمهورية سوفيتية » . بيد أن الرد الطاشناقى الحاكم جاء سريعاً ؛ إذ أعدموا بعض الأرمن الشيوعيين ، وهرب الباقون إلى باكو . (٤٥)

وفى تلك الأثناء ، تمخضت المداولات البلشفية ـ الكمالية عن عقد اتفاقية صداقة فى موسكو يوم ٢٤ أغسطس ١٩٢٠ . وبموجبها ، بطلت جميع المعاهدات السابقة التى أبرمتها الحكومة السلطانية . ليس هذا فحسب ، بل قررت أن أية معاهدة دولية ـ مثل سيفر ـ لم تُوافق عليها أنقرة ، يجب أن ترفضها موسكو أيضاً . (٤٦) ورغم أن التقارب بين أنقرة وموسكو محفوفٌ بمجازفة ـ ليست هينة ـ فحواها احتمال بلشفة الأناضول ، إلا أن هذا التقارب سوف يُثبت جدواه عندما تتدفق خزائن الذهب والروبلات والقمح والأسلحة والذخيرة على العاصمة الأناضولية . (٤٧)

وبغية إحباط سيفر وتجنب التهديد الذى تُشكله « أرمينية مستقلة » ، أصدر كمال فى أواخر سبتمبر ١٩٢٠ أمره إلى الجيش التركى باختراق الحدود وسحق الجمهورية الأرمنية القائمة فى القوقاز (خريطة رقم «٩») . وحينئذٍ، كان الكماليون على يقين من : مساعدة البلاشفة لهم ، الموقف الأوربى المتميع ، الحياد الأمريكى . وتابع الوفاق بمزيج من الأسى والألم تقدم الجيش التركى فى قلب الجمهورية الأرمنية فى منتصف نوفمبر حتى احتلت المنطقة بأسرها وسيطر الأتراك على المناطق التى كانت لهم قبل انسحابهم فى نوفمبر ١٩١٨ . (٤٨)

ومن المفارقات الغريبة ، بينما كان الكماليون يتوغلون داخل أرمينية ، أعلن ويلسون

فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٠ الحدود النهائية لأرمينية معطياً إياها مساحة تبلغ «١٠٠» ألف كيلو متراً شملت معظم ولايات ڤان وبيتليس وأرضروم فضلاً عن ميناء طرابيزون على البحر الأسود (خريطة رقم «١٠»). [٤٩] وعبثاً، لجأت يريڤان إلى حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وعصبة الأمم. وبينما كان ممثلو الدول الكبرى يتبارون فى النفاق والكذب والثرثرة، واصل الأتراك إبادتهم للأرمن. عندئذٍ، طلبت يريڤان الهدنة. وبموجبها احتل الكماليون، زيادة على ما سبق احتلاله، جارس والكسندروبول وشارور وناخيتشيڤان. وبذا، غدا الكماليون جاثمين على قلب أرمينية. [٥٠]

إلى هذا الحد، اندهش البلاشقة من التقدم التركى السريع، وخشوا فقدان موانئ البحر الأسود الجورجية وخط السكة الحديد الوحيد المؤدى إلى إيران. لذا، تقاربوا مع يريڤان بغية التدخل لصالحهم. بيد أن الحكومة الأرمنية أبت أية وساطة بلشڤية، وآثرت التفاهم مع أنقرة لما عُرف حينئذ أن دول الوفاق خاصة بريطانيا تُؤيدها فى زحفها آملة اصطدامها مع البلاشقة. ولهذا، تُعد الحكومة الأرمنية مسئولة تماماً عن الانتصارات التركية. [٥١]

وبدأت المفاوضات بين حكومتى أنقرة ويريڤان فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠ حيث انتهت بإبرام « معاهدة الكسندروبول » فى ٣ ديسمبر ١٩٢٠. وبمقتضاها، تنازلت يريڤان عن معاهدة سيڤر، وجميع مطالبها فى أرمينية الغربية، كما تنازلت عن جارس وأردهان وأولطى وقاغزڤان وصورمالو الواقعة فى أرمينية الشرقية (خريطة رقم «١١»). علاوةً على قبول أرمينية السلطة التركية المؤقتة فى شارور وناخيتشيڤان. وفى المقابل سوف يكفل الأتراك القوميون استقلال الجزء المتبق من الجمهورية الأرمنية. [٥٢]

وفى نفس اليوم الذى بدأت فيه مفاوضات الكسندروبول (٢٩ نوفمبر)، نجح الحزب الشيوعى الأرمنى (الذى تأسس منذ ٧ يونية ١٩٢٠ فى الكسندروبول) فى الاستيلاء على السلطة فى إجڤان وديليچان شمال شرقى الكسندروبول وإقامة حكومة سوڤيتية هناك. [٥٣] ثم استولى الأرمن الشيوعيون على يريڤان بعد استسلام حكومتها دون قتال (للثورة) فى ٢ ديسمبر ١٩٢٠ قبل توقيع معاهدة الكسندروبول بساعات. وبعد يومين، وتجاوباً لمساعدة الحزب الشيوعى الأرمنى وحكومته البلشڤية،

دخلت وحدات من الجيش الأحمر السوفيتي الحادى عشر يريفان بصحبة الأرمن الشيوعيين المتحمسين فضلاً عن البلاشفة غير الأرمن من الوحدات الثورية . ووعد البلاشفة الأرمن أن يُعيدوا لهم حدود ما قبل سبتمبر ١٩٢٠ . (٥٤)

وقد أنذرت موسكو حكومة أنقرة فى ٤ ديسمبر ١٩٢٠ بوقف زحف قواتها شطر العاصمة الأرمنية إنقاذاً لما تبقى من « أرمينية » حتى لا يسقط تحت الاجتياح التركى . ولكن منذ سيطرة الأرمن الشيوعيين على مقاليد يريفان ، وعلى امتداد شهرين لاحقين، صبوا جام غضبهم على تصفية النظام الطاشناقى وعملائه : طردوهم وطاردوهم ، صادروهم واقتصوا منهم . وعند مغادرة الجيش الأحمر يريفان لبلشفة چورچيا (آخر منطقة مستقلة فيما وراء القوقاز) ، ثمة انقلاب قاده الطاشناقيون أسفر عن طرد الشيوعيين وإقامة حكومة وطنية « منقذة » فى ١٨ فبراير ١٩٢١ . بيد أن نصرهم كان مؤقتاً . فقد عاد الجيش الأحمر - بعد أن بلشف چورچيا - فاضطر الطاشناقيون إلى الانسحاب إلى زانجزور وتسليم السلطة إلى الأرمن الشيوعيين . (٥٥)

وتباحث البلاشفة والأتراك القوميون حول مصير أرمينية وبقية ما وراء القوقاز دون حضور مندوبين عن أرمينية وچورچيا . وتمخضت المداولات عن إبرام معاهدة صداقة فى موسكو يوم ١٦ مارس ١٩٢١ . وفيها ، أعلنت موسكو وأنقرة بطلان المعاهدات الآنفة التى فُرضت على روسيا السوفيتية والدولة العثمانية ، وتعديلات الحدود لصالح چورچيا وأرمينية : إعطاء باطوم لچورچيا والكسندروبول لأرمينية . فضلاً عن اعتراف الطرفين المتعاقدين بالاستقلال الذاتى لإقليم ناخيتشيفان (المبلشف منذ عام ١٩٢٠) تحت السيادة الآذرية . وفى المقابل ، وافق البلاشفة أن يمنحوا الأتراك إقليم صورمالو ، وبه جبل آراراد - رمز ديمومة الأرمن - الذى لم يكن جزءاً من أرمينية الغربية . زد ، تعهد البلاشفة أن يسعوا إلى التقارب بين جمهوريات ما وراء القوقاز «السوفيتية» وتركيا «الوطنية» . (٥٦)

وتنفيذاً لهذا الالتزام الأخير ، عقدت جمهوريات ما وراء القوقاز « اتفاقية جارس » فى ١٣ أكتوبر ١٩٢١ مع حكومة الجمعية الوطنية الكبرى فى أنقرة التى أقرت محتوى معاهدة موسكو سابقة الذكر . (٥٧) ومن سخريات القدر ، أنه فى فترة ما بعد الحرب

العالمية الأولى ، ومن بين الدول المهزومة كلها ، كانت تركيا وحدها قد مددت حدودها على جبهة القوقاز فقط على حساب الأرمن .

وهكذا ، انتهت رسمياً أول « جمهورية أرمنية مستقلة » فى التاريخ الحديث بعد حوالى ألف يوم من تأسيسها فعلياً .

وبنظرة عامة على وضعية هذه الجمهورية ، يُلاحظ أن قيادتها السياسية قد اعتورها التبصر والحس الواقعى . إذ باستطلاع الواقعين القوقازى والدولى يتضح المشهد العام الآتى : سَحْقْ الجيش الأحمر الجيوش البيضاء فى شمال القوقاز وانسحاب القوات البريطانية خوفاً من الاصطدام به ، تبلشف أذربيچان وچورچيا ، سيطرة الكماليين على الأناضول ، تمتع الكماليين بالتأييد البلشفى ومملأة الوفاق ، سعى بريطانيا وفرنسا للتفاهم مع الكماليين ، انعزال الولايات المتحدة ، تراخى عصبة الأمم . هذا خارجياً .

أما داخلياً : تردى الاقتصاد الأرمنى ، استياء الجماهير ، تذمر الجيش ، المهاترات الحزبية العقيمة ... إلخ . فى هذا المناخ ، أبت حكومة يريڤان بشدة أية مفاوضات مع روسيا السوڤيتية التى مدت إليها يد « الإنقاذ » غير مرة حتى كادت الجيوش التركية تبتلع أرمينية عن بكرة أبيها ... لولا دخول الجيش الأحمر يريڤان وإنقاذه ما تبقى منها .

❀ ❀ ❀

٦ ـ معاهدة لوزان : اغتيال أمة

ورغم أن دخول البلاشفة أرمينية قد قوبل بمعارضة الطاشناقيين والرأسماليين ، إلا أن قبول حكمهم كان « المخرج الوحيد » ساعتئذٍ للمأزق الأرمنى بصرف النظر عن أية نزعات سياسية أو انتماءات أيديولوچية . إذ بموجبه توقف الزحف التركى ، وصار هناك « جسد أرمنى » و أمنت بقايا الأرمن بعد طول خوف .

وهكذا ، فى خلال عام ١٩٢١ ، تلاشت صورة « أرمينية حرة مستقلة » . إذ

اغتُصبت أرمينية الغربية كلها وجزء من أرمينية الشرقية أيضاً . ومُنعت مئات آلاف الأرمن اللاجئين من العودة إلى ديارهم . ونُفي الأرمن الذين كانوا قد عادوا إلى قيليقية وآسيا الصغرى على نحو نهائي . (٥٨) وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٢١ أبرمت فرنسا مع أنقرة معاهدة صلح ، تعهدت الأولى بموجبها بإعطاء تركيا كل إقليم قيليقية الأرمني وولايات عينتاب والرها وماردين . (٥٩) وعندما واصلت القوات الكمالية حربها ضد اليونان وأحرقت مدينة أزمير ، دمرت بها حي الأرمن وذبحتهم في ٩ سبتمبر ١٩٢٢ نظير تعاونهم مع اليونان . عندئذٍ ، لم يعد للأرمن وجود على امتداد تركيا بأسرها عدا الأستانة . (٦٠)

أما جمهورية أرمينية الاشتراكية ، فقد كونت مع جمهوريتي چورچيا وأذربيچان «اتحاد ما وراء القوقاز» في ٢٢ مارس ١٩٢٢ الذي تحول في ١٣ ديسمبر ١٩٢٢ إلى « جمهورية ما وراء القوقاز الاشتراكية الفيدرالية » . وفي ٣٠ ديسمبر ١٩٢٢ عقدت هذه الجمهورية « معاهدة موسكو » مع جمهوريات روسيا الاشتراكية وأوكرانيا وروسيا البيضاء الاشتراكية السوڤيتية ، وبموجبها تأسس « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤيتية » (خريطة رقم «١٢») . (٦١)

بيد أن انضمام أرمينية إلى العائلة البلشفية وانصرافها إلى تضميد جراحها ، أديا إلى توقف حكومة أرمينية السوڤيتية عن الاهتمام باستعادة الأراضي الأرمنية التي اغتصبها الأتراك القوميون . (٦٢) كما أن الرد التركي الفعال على سيڤر ، حرَّض حكومات الوفاق كي تنشد « تطبيع » العلاقات مع الكماليين . (٦٣)

إلى هنا ، وبعد أن حقق الكماليون النصر في ميادين القتال ، بقي عليهم كسب معركة السلم في المؤتمر المنعقد بـ « لوزان » منذ ٢١ نوفمبر ١٩٢٢ للبت في معاهدة سيڤر مع دول الوفاق عدا الولايات المتحدة . (٦٤) ورغم عدم اشتراك جمهورية أرمينية في مباحثات لوزان ، إلا أن الهيئات والأحزاب الأرمنية في المهجر واصلت نشاطها في سبيل استرداد الأراضي المغتصبة . وفي هذا الصدد ، قدم « الوفد القومي الأرمني » برئاسة بوغوص نوبار مذكرةً إلى المؤتمرين تحوي ثلاثة اقتراحات :

١ ـ إنشاء وطن قومى للأرمن مع منفذ إلى البحر .

٢ ـ إذا تعذر ذلك ، يجب العودة إلى الحل المقترح فى عام ١٩٢٠ : أى إلحاق قسم من أرمينية العثمانية إلى الجمهورية الأرمنية .

٣ ـ الأخذ فى الحسبان مشروع كيان قومى للأرمن فى منطقة من مناطق قيليقية .

ولكن الوفد التركى رفض رفضاً قاطعاً لا حضور ممثلى الأرمن الاجتماع فحسب ، بل حتى الاستماع إلى مطالبهم . (٦٥)

وأخيراً ، أُبرمت « معاهدة لوزان » فى ٢٤ يولية ١٩٢٣ بشكل يتماشى مع الأمانى التى أعرب عنها النواب الأتراك فى الميثاق الوطنى الصادر فى يناير ١٩٢٠ . إذ أنها تعترف لـ « تركيا » بحدود مستقرة تستوعب تراقيا الشرقية والأراضى المتنازع عليها فى الأناضول : إقليم أزمير ، قيليقية ، ساحل البحر الأسود ، الولايات الشرقية (الأرمنية) . (٦٦) وانعكس الانتصار المطلق للأتراك بأنه لم ترد فى بنود لوزان النهائية كلمتا « أرمينية » أو « الأرمن » ، إنما تضمنت نصوصاً عامة حول ضرورة عدم اضطهاد « الأقليات » غير المسلمة (دون تحديدها) فى تركيا فضلاً عن عدم اضطهاد الأكراد القاطنين جنوب شرقى الأناضول . (٦٧)

وهكذا ، أُخليت « تركيا » من أضخم أقلية غير تركية وترسخت أسس « الجمهورية التركية » فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ بإنجاز مستوى رفيع من التجانس بين سكانها فى طبعة جديدة ناجحة ، منقحة ومزيدة ، من « ثورة تركيا الفتاة » . (٦٨)

وكأنما لم تكن ثمة « قضية أرمنية » ، أو لم يكن هناك وجود للأرمن ذاتهم فى الدولة العثمانية . وعلى هذا النحو طمس « الحلفاء الكبار » قضية « الحليف الصغير » على مائدة لوزان وغسلوا أيديهم بدماء الأرمن والأكراد . ولئن جسدت لوزان قمة الانتصار التركى ، إلا أنها بلورت أقصى الاستهتار العالمى إزاء القضية الأرمنية . فمنذ تدويل هذه القضية فى برلين ١٨٧٨ ، وحقوق الأرمن ودمائهم تسيل رقراقة أمام أعين من تبنوا الدفاع عن قضيتهم دون أن يتدخلوا بفعالية لصالحهم . وبقدر ما وظف

الغرب الأرمن وقضيتهم لإدراك مآربهم فى دولة السلاطين وخلفائهم ، دفع الأرمن ثمناً فادحاً لـ « تواكلهم » على الغرب وشقاقاتهم المتواصلة حول « غايتهم » و « سُبل » بلوغها . وحُكم على الناجين من الأرمن بأن يعيشوا مبعثرين مشتتين فى قارات العالم مكونين « مهاجر » (سبيورك = دياسبورا) .



الهوامش

(١) تشكلت الحكومة الأرمنية الجديدة فى ٤ نوفمبر ١٩١٨ من : هوڤهانيس كاتشازنونى (طاشناقى) رئيساً للوزارة ، سيراكان ديكرانيان (طاشناقى) وزيراً للخارجية ، أرام مانوجيان (طاشناقى) وزيراً للداخلية ، هوڤهانيس هاخڤيرديان (غير حزبى) وزيراً للحربية ، أرداشيس إنفياچيان (شعبى) وزيراً للمالية ، سامسون هاروتيونيان (شعبى) وزيراً للعدل ، ميكائيل أتابكيان (شعبى) وزيراً للأشغال ، خاتشادور جارچيجيان (طاشناقى) وزيراً للمساعدات الاجتماعية ، ليڤون جوليان (شعبى) وزيراً للتموين .

Walker : op. cit., p. 267 .

(٢) Bournoutian : op. cit., p. 135.

(٣) اعتقد الليبراليون ذوو البرامج التى لا تنسجم مع الجماهير الأرمنية الجوعى والأمية فى يريڤان أن وجودهم فى الحكومة سوف يُفيد الجماهير . ثم توترت العلاقات سريعاً بين الحزبين . وانسحب الليبراليون من الانتخابات مما هيأ للطاشناقيين نصراً كاسحاً فى الانتخابات (« ٧٢ » مقعداً طاشناقياً ، أربعة شعبيين «ليبراليين»، ثلاثة آذريين ، مقعداً لاتحاد الفلاحين المستقل) . واستأثر الطاشناقيون بمقاليد الحكم . وأصر محنكو الطاشناق على أنه بدون سيطرة الحزب تماماً ، سوف لا تقدر الجمهورية على النجاة من الأيام العسيرة القادمة .

Walker : op. cit., pp. 273 - 275 .

(٤) أسفر النزاع الأرمنى ـ الچورچى عن طرد الحكومة الچورچية آلاف الأرمن من تفليس ومصادرة أموالهم وحوانيتهم ومساكنهم . وصارت تفليس ذات طابع چورچى بعد أن كانت ذات طابع أرمنى لأنها حَوَتْ أكبر تجمع أرمنى فى العالم بعد الأستانة .

Ibid : pp. 267 - 269 .

(٥) Bournoutian : op. cit., p. 138 .

(٦) Walker : op. cit., pp. 269 - 272 .

(٧) توماس . أ. بريسون : العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من ١٧٨٤ إلى ١٩٧٥ ، ترجمة دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٨) رفض وفود الوفاق جلوس وفد الجمهورية الأرمنية معهم بحجة أن أرمينية لم تُعلن الحرب على دول الأعداء أو قطعت علاقتها معهم ، رغم أنهم قبلوا جلوس وفود دول لم تكن داخلة فى هذا التعريف المحدد للجلوس مثل بولونيا وتشيكوسلوڤاكيا والحجاز ، ووفود دول صغرى كان إعلانها الحرب شكلياً مثل بنما وليبيريا ، وسمحوا للوفد الجمهورى فقط بمخاطبة المؤتمر . وبجانب عدم منح أرمينية

مقعداً فى مؤتمرالصلح ، لم يكن مندوبو الأرمن على دراية بالمناقشات السرية الدائرة بين داڤيد لويد جورج الإنجليزى وجورج كليمنصو الفرنسى وڤيتوريو أورلاندو الإيطالى .

Papazian, Vahan : " Armenian Delegations to the Paris Peace Conference " , The Armenian Review, Vol. 13, No. 50, Los Angeles, 1950, pp. 50 - 52 .

(٩) Ibid : pp. 49 - 50 .

(١٠) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(١١) شهد المؤتمر القومى الأرمنى «٣٨» عضواً من وجهاء الأرمن ومفكريهم وسياسييهم عبر أنحاء العالم خارج الجمهورية الأرمنية . وقد حضره برڤانت أغاتون عن الأرمن الأمريكيين ، ويغيشيه توريان بطريرك الأرمن الأرثوذكس بالأستانة سابقاً ، والوزيران الأرمنيان العثمانيان السابقان كبرييل نورادونجيان وكريكور إستيبانيان ، وسفير إيران فى بريطانيا هوڤهانيس خان مسيحيان . ومن الأدباء : أرشاج تشوبانيان وليڤون شانط وڤاهان تيكيان . كما حضره من الجمهورية الأرمنية آڤيديس أهارونيان وهامو أوهانجانيان .

Papazian, Vahan: " The Armenian National Congress in Paris (1919 February 24 - April 22), " The Armenian Review, Vol. 12, No. 48, Los Angeles, 1960, pp. 56 - 63 .

(١٢) Bournoutian : op. cit., p. 136 .

(١٣) Hovannisian : op. cit., p. 25 .

(١٤) توماس . أ. بريسون : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(١٥) نفسه : ص ١٦٠ .

(١٦) Bournoutian : op. cit., p. 137

(١٧) توماس . أ. بريسون : المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(١٨) عندما تبين لمجلس الوفاق أن القرار الأمريكى قد يتأخر صدوره ، عقدوا معاهدة سان جرمان مع النمسا فى ١٠ سبتمبر ١٩١٩ ثم معاهدة نويللى مع بلغاريا فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ . أما المجر فقد أبرموا معها معاهدة تريانون فى ٤ يونية ١٩٢٠ عندما استقرت أوضاعها المضطربة .

Bournoutian : op. cit., p. 137 .

(١٩) أيد اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية تزويد أرمينية بالسلاح ، بيد أن تشرشل وزير الحربية رفض هذا بدعوى أن هذه الأسلحة سوف تسقط فى أيدى البلاشفة الأقرب إلى تحقيق النصر .

Ibid : p. 141 .

(٢٠) Walker : op. cit., pp. 276 - 277 .

(٢١) Bournoutian : op. cit., p. 142 .

(٢٢) تخرج مصطفى كمال فى المدرسة الحربية بالأستانة عام ١٩٠٤ . وظل يرتقى فى المراتب العسكرية حتى صار قائد لواء (١٩١٦) . وفى تلك الأثناء ، شارك فى جميع الحروب التى خاضتها الدولة العثمانية : فقد حارب فى طرابلس الغرب خلال الحرب الإيطالية - التركية (١٩١١) ، وتولى قيادة فرقة مشاة فى شبه جزيرة غاليبولى فى ذروة الحريق البلقانى (١٩١٢) . وفى بداية الحرب العالمية الأولى ، برز بوصفه بطل الدفاع عن الدردنيل . ولهذا ، أُرسل إلى جبهة القوقاز لمحاربة الروس . وهناك حصل على رتبة جنرال . وبعد وقت قصير ، قام بدور مهم على رأس الجيش السابع فى الدفاع عن فلسطين وسورية .

بول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٢٣) Shaw : op . cit., p. 340 .

(٢٤) Ibid : pp. 343 - 344 .

(٢٥) Ibid : pp. 344 - 346 .

(٢٦) بول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢٧) كما نص الميثاق الوطنى على تسوية مصير الولايات العربية وفق إرادة سكانها . وأيضاً ، شروط مختلفة من أجل سلام عادل ودائم : الاعتراف بإلغاء الامتيازات ، حرية الملاحة فى المضائق بشرط إجراء ترتيبات تكفل أمن الأستانة . وأخيراً ، اعتراف الدول بسيادة الأمة التركية واستقلالها التام.

Shaw : op. cit., p. 347 .

(٢٨) Ibid : p. 348.

(٢٩) لئن اتفق النواب الأتراك على هدفهم ، إلا أنهم اختلفوا حول وسيلة البلوغ إليه : أمل بعضهم فى عودة الاتحاديين ، وزاغت أبصار آخرين إلى حلول منسوخة من النظام البلشفى ، واتجه ثالثون إلى النزعة الإسلامية ، وحبذ رابعون الجامعة التركية ، وراهن خامسون على الجامعة الآسيوية . أكثر من هذا ، فكر سادسون فى الانتداب الأمريكى حتى أن سابعين تهافتوا على اعتناق الشيوعية .

Ibid : pp. 349 - 352 .

(٣٠) توماس . أ. بريسون : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣١) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٣٢) Bournoutian : op. cit., p. 142 .

(٣٣) توماس . أ. بريسون : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣٤) لمزيد من التفاصيل حول مناقشات ومشروعات دول الوفاق فى سان ريمو بإيطاليا حول أرمينية والأرمن :

" The 'Armenian Papers' of the Conference of San Remo ", Documents, The Armenian Review, Vol. 33, Los Angeles, 1980, pp. 75 - 88 .

(٣٥) Walker : op. cit., pp. 280 - 281 .

(٣٦) توماس . أ. بريسون : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٣٧) وقّع آفيديس أهارونيان على هذه المعاهدة نيابة عن الجمهورية الأرمنية . وقد تضمنت هذه المعاهدة تنازل الدولة العثمانية عن كل البلاد العربية التى كانت تحكمها فى آسيا . كما أعطى للأكراد حق إقامة دولة مستقلة . وللمزيد :

" Treaty of Peace With Turkey", Signed at Sèvres . August 10, 1920, London, 1920, pp. 16 - 76 .

(٣٨) Ibid : pp. 25 - 26 .

(٣٩) المواد الخاصة بحماية الأقليات (من المادة ١٤٥ إلى المادة ١٥١) :

Ibid : pp. 33 - 35 .

(٤٠) پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

(٤١) Hovannisian : op. cit., p. 27 .

(٤٢) صارت جوازات السفر الأرمنية قانونية . وفوق هذا ، بدأ الدبلوماسيون الأرمن أعمالهم فى الصين واليابان وأثيوبيا واليونان ورومانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا وإيران والعراق وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا .

Bournoutian : op. cit., p. 145 .

(٤٣) Ibid .

(٤٤) پول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤٥) Walker : op. cit., pp. 283 - 290.

يرى المتعاطفون مع الطاشناق أن البلاشفة منحوا الأرمن وعوداً وهمية فى انتظار مفاوضاتهم مع الكماليين . أما المعادون للطاشناق ، فيُحَمِّلون حكومة يريڤان المسئولية لأن رفض الطاشناقيين التعامل مع موسكو دفعها إلى التعامل مع أنقرة . إذ اعتقد الطاشناقيون أن أية اتفاقية مع موسكو سوف تجعل الغرب ضدهم . والحقيقة أن قبضة الطاشناق المركزية على يريڤان وسَحْقْ الحركة

البلشفية الناشئة فى أرمينية لم يُنهيا فقط أية آمال للمداولات مع البلاشفة ، ولكن جعل الأخيرين مرتابين دوماً فى الطموحات القومية الأرمنية .

Bournoutian : op. cit., p. 147 .

(٤٦) Ibid .

(٤٧) كانت روسيا السوفيتية أول من اعترف بحكومة الجمعية الوطنية التركية الكبرى فى أنقرة .

بول دومون وفرانسوا چورچو : المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

(٤٨) لمزيد من التفاصيل حول الحرب التركية ـ الأرمنية :

Walker : op. cit., pp. 309 - 313 ;

Shaw : op. cit., pp. 356 - 357 .

(٤٩) " The Frontier Between Armenia and Turkey " As Decided by President Woodrow Wilson, November 22, 1920, London, 1920, pp. 13 - 22 .

(٥٠) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٥١) فى ذلك الوقت ، استقالت حكومة هامو أوهانچانيان وحلت محلها حكومة طاشناقية أخرى جديدة برئاسة سيمون ڤراتسيان يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ .

Bournoutian : op. cit., pp. 147 - 148 .

(٥٢) Toriguian : op. cit., pp. 195 - 197 .

(٥٣) أذاعت اللجنة الثورية فى أرمينية بياناً فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠ جاء فيه أن «الحزب الشيوعى فى أرمينية ، نزولاً عن إرادة الجماهير الشعبية الثائرة ورغبتها ، يُعلن أن أرمينية منذ اليوم ، جمهورية اشتراكية سوفيتية .. » .

كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٥٤) هنا ، أمل الطاشناقيون أنه فى حالة عدم وفاء البلاشفة بوعودهم وإذا سعوا للقبض على زمام الجمهورية ، سوف يعتمدون على الأتراك لصدهم . وهكذا ، راهن الأرمن فى آنٍ واحد على «توظيف » البلاشفة والكماليين لمصلحتهم . بيد أنها « حسبة » أثبتت فشلها سريعاً .

Bournoutian : op. cit., p. 148 .

(٥٥) Walker : op. cit., pp. 323 - 328 .

(٥٦) Toriguian : op . cit., pp. 188 - 203 .

(٥٧) Ibid : pp. 204 - 213 .

(٥٨) Hovannisian : op. cit., p. 27.

(٥٩) فى منتصف عام ١٩١٦ وعدت فرنسا الأرمن بإقامة دولة أرمنية تحت حمايتها فى قيليقية . ولهذا، تشكل « فيلق الشرق » من المتطوعين الأرمن اللاجئين إلى بورسعيد وساعد دول الوفاق فى حملتهم على الشام ثم فى قيليقية .

فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٦٨ .

(٦٠) بعد انتصار الكماليين على اليونان ، تقوى مركزهم فى الداخل مما دعا كمالاً أن يُعلن فى غرة نوفمبر ١٩٢٢ إلغاء السلطنة العثمانية وعزل آخر سلاطينها محمد وحيد الدين السادس (١٩١٨ - ١٩٢٢) مع إبقاء الخلافة الإسلامية وإسنادها إلى الخليفة عبد المجيد الثانى (١٩٢٢ - ١٩٢٤) .

Shaw : op. cit., pp. 362 - 365 .

(٦١) فؤاد حسن حافظ : المصدر السابق ، ص ٣٦٧ .

(٦٢) كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٦٣) Hovannisian : op. cit., p. 28 .

(٦٤) ترأس عصمت إينونو الوفد التركى المفاوض فى لوزان . وللمزيد :

Shaw : op. cit., pp. 365 - 366 .

(٦٥) قال عصمت إينونو رئيس الوفد التركى : « إن فكرة إقامة وطن قومى للأرمن ، إنما هى بمثابة محاولة جديدة لتمزيق وحدة تركيا . ليس فى ولايات تركيا الشرقية ولا فى قيليقية شبر أرض إلا وغالبية سكانه من الأتراك ، لذلك فليس من الممكن سلخ ذلك الشبر من الوطن بأى شكل من الأشكال » .

كرسام أهارونيان : المصدر السابق ، ص ص ٦٠ - ٦١ .

(٦٦) اعترفت معاهدة لوزان بسيادة تركيا على المضائق ، وأرست أسس تصفية الدين العام العثمانى . كما تنازلت تركيا عن كل البلاد العربية التى كانت تحكمها الدولة العثمانية فى آسيا . وللمزيد :

Shaw : op. cit., p. 366 .

(٦٧) Toriguian : op. cit., pp. 106 - 107, 142 - 145, 214 - 217 .

(٦٨) قطع مصطفى كمال كل صلة بـ « الماضى العثمانى » فى أعقاب لوزان ، فنقل العاصمة من الأستانة إلى أنقرة فى ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ وألغى الخلافة فى ٣ مارس ١٩٢٤ وعزل الخليفة عبد المجيد الثانى آخر السلالة العثمانية . وللمزيد :

Shaw : op. cit., pp. 368 - 369 .

❀ ❀ ❀

خاتمة

خاتمة

وهكذا يتضح من دراسة ملف القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية بين عامى ١٨٧٨ ـ ١٩٢٣ أن الأرمن كانوا يُشكلون «ملة» وفقاً للنظام الإدارى العثمانى ، وصاروا ، لاسيما فى العاصمة العثمانية ، العمود الفقرى للاقتصاديات الزراعية والصناعية والتجارية والحرفية . ناهيك عن انخراطهم فى الدولاب الوظيفى العثمانى وارتقائهم قمة السُلم الإدارى . ولكن ، بينما شهدت الأستانة ازدهاراً أرمنياً على شتى الصُعد ، كانت وضعية أرمن الأقاليم على النقيض تماماً حيث افترسهم الثلاثى القاهر : الفقر والمرض والجهل شأن معظم المجتمعات الريفية وقتذاك . ورغم هذا ، كان الأرمن أشد الشعوب المسيحية فى الدولة العثمانية إخلاصاً فى خدمتها وآخرها فى التحول عن الولاء لها . ولذا ، فلا غَرْوَ أن أطلق عليهم العثمانيون لقب «الملة الصادقة» .

وأكدت الدراسة أن ثمة عوامل تغير قد استشرت فى كيانية الملة الصادقة . بداية ، كانت الأقليات المسيحية بدولة السلاطين وعلى رأسها الأرمن ، أول المستفيدين من المتغيرات السياسية ـ الاجتماعية التى دعا إليها المتنورون منذ بدايات القرن التاسع عشر . كما أن روسيا فى سعيها الدؤوب للوصول إلى المياه الدافئة فى البحر المتوسط ، عملت على تقويض القوة الداخلية العثمانية بإثارة الطموحات القومية لدن رعايا السلطان المسيحيين ؛ اليونانيون والسلاف فى البلقان والأرمن فى الأناضول . ناهيك عما أسهمت به النهضة الفكرية والطباعية والصحفية والتعليمية والإرساليات التبشيرية كاثوليكية وبروتستانتية فى تنامى اليقظة الأرمنية . وبذا ، امتلك الأرمن أدوات بدء إحياء سياسى بعد خمسة قرون من سقوط آخر مملكة أرمنية مستقلة فى عام ١٣٧٥ على أيدى سلاطين المماليك بمصر .

ولكن ، فى مقابل عوامل الانبعاث هذه ، توافرت جملة معوقات جعلت الأرمن هم فقط الملة المسيحية الكبيرة التى لم تُطالب بحكم ذاتى أو استقلال عن العثمانيين رغم انتعاشهم ثقافياً وقومياً . فمن ناحية الاستيطان الأرمنى ، نجم عن الغزوات المستمرة والهجرات الأرمنية واستقرار الأتراك والچراكسة والأكراد فى أرمينية أن أصبح الأرمن يُشكلون أقلية فى أرمينية الغربية وتداخلوا بشكل وثيق فى النسيج

الديموجـرافى المسلم بما لا يسـمح لهم بتكوين نواة دولة مـسـتـقلة شـأن العـرب أو مسيحيى البلقان . كما أن الزعامة الأرمنية قد تكونت من رأسماليين مدنيين قطنوا فى المراكـز الحـضـرية بعيـداً عن هـمـوم الريفـيين المسـتـاءين . زد أيضـاً ، أن الأرمن العثمانيين قد اندمجوا فى هياكل الدولة العثمانية بشكل أكثر من أية أقلية غير مسلمة مما جعل مكانتهم أكبر فى الدولة فى عين اللحظة التى غدا وعيهم بهويتهم القومية أكثر حدة .

وأمـام هذه العـراقـيل ، لم يسعَ الأرمن إلى الانفـصـال أو الاسـتـقـلال عن الدولة العثمانية ، بل طالبوا فقط بإجراء إصلاحات داخلية فى الولايات الأرمنية الست التى شكلت ما عُرف بـ «أرمينية الغربية» فى نطاق بقائهم ضمن رعاياها .

بيد أن السلطات العثمانية قد أهملت حل المسألة الأرمنية مما حدا بمثقفى الأرمن وزعمائهم بالأستانة إلى مناشدة الروس لتبنى مستقبل الأرمن العثمانيين فى مباحثات السلام إثر الحرب العثمانية الروسية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ . وفعلاً ، نجحت المساعى الأرمنية جزئياً ، إذ تضمنت معاهدة «سان إستيفانو» المبرمة فى ٣ مارس ١٨٧٨ بين الدولتين الروسـية والعـثـمانيـة المادة «١٦» الخاصـة بمسـألة الإصـلاحـات الأرمنيـة ، وهى نفس المادة التى عُدلت إلى المادة «٦١» من معاهدة برلين المبرمة فى ١٣ يولية سنتئذٍ .

وهكذا ، تصاعدت المسألة الأرمنية عقب برلين من كونها مشكلة محلية عثمانية إلى كونها قضية دولية . بيد أن مراوغات الإدارة العثمانية عن تنفيذ الإصلاحات وانشغال الجماعة الدولية عن متابعة القضية الأرمنية ، انزلق بالتوجه الأرمنى العام إلى المسار الثورى لحل القضية بعد فشل تسويتها سلمياً . وبذا ، تبلورت الطاقات الأرمنية فى هيكليات حزبية ثورية سرية ومعلنة جيشت قواها داخلياً وخارجياً لمزاولة ممارساتها الدعائية والثورية . هذا ، وقد تمخض عن تنامى المد الثورى الأرمنى وانتهاج السلطات العثمانية سياسة قمعية إزائه ، اندلاع سلسلة من الاضطرابات والقلاقل والمذابح ضد الأرمن بين عـامى ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ راح ضـحـيتـهـا عدة آلاف من الأرمن وهاجرت عـدة آلاف أخرى منهم إلى البلاد العربية وروسيا والبلقان وأوربا وأمريكا .

وأثبتت الدراسة أن السلطان عبد الحميد الثانى نجح فى إضعاف الحركة القومية الأرمنية مـسـتـخـدمـاً العنف على نطاق واسع حـتى أنه دشـن سيـاسـة «المذابح» ضـد الأرمن فـى النظام العـثـمـانى . كـمـا خلق هوة من الريبـة والبـغـضـاء بين المسلمين

والمسيحيين فى شرقى الأناضول عندما ألّب الأكراد ضد الأرمن . يُضاف إلى ما سبق أن التجربة العثمانية مع الملفات اليونانية والصربية والبلغارية جعلت الإدارة العثمانية تتعامل مع الملف الأرمنى من منطلق مرجعية ثابتة مؤداها أنه يُهدد وحدة أراضيها . ولذا ، فلابد من اجتثاث البذور الأولية ، بل وحتى الجنينية ، للنزعة الأرمنية القومية . زد أيضاً ، استقرار أغلبية الأتراك فى الأناضول ذات الثروات الزراعية والمنجمية والطرق المرورية المهمة . ولذا ، فالطريق الأيسر - من الوجهة العثمانية - لمنع أرمينية الغربية من الحصول على استقلالها الذاتى عن الدولة العثمانية أو انضمامها إلى أرمينية الروسية هو تخفيض عددهم فى الولايات الأرمنية الست . هنا ، غدت «المذبحة» سياسة عثمانية رسمية ؛ التخلص من الناس حتى لا يتشبثوا بأراضيهم دون مراعاة لأية شرعية دولية أو إنسانية . ولعل ميوعة موقف الأسرة الدولية آنذاك قد يسّر هذه المهمة على النظام العثمانى .

ورغم هذا ، عدَّل الأرمن الثوريون إستراتيجيتهم وتحالفوا مع جماعة «تركيا الفتاة» بغية إسقاط النظام الحميدى ، وهو ما نجحوا فيه فعلياً إثر انقلاب ٢٤ يولية ١٩٠٨ . وبذلك أيضاً ، أُسدل الستار على الفصل الأول من القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية ليبدأ الفصل الثانى الأكثر زخماً بصعود نجم «تركيا الفتاة» ذات النزعة القومية العنصرية المتطرفة ؛ الطورانية .

وفى أعقاب حركة «تركيا الفتاة» ، تغلغلت فى الدولة العثمانية ذخيرة كاملة من الأفكار الجديدة أمثال التجديد الإسلامى والشعبية والقومية والتضامنية والاشتراكية . بيد أن تيارين كبيرين انبثقا فى طوفان الأفكار التى اجتاحت الدولة واستقطبا حولهما مجمل الحياة الفكرية . إذ يقف «التيار الإسلامى» على طرف المروحة الأيديولوچية ، فى حين يقف «التيار التغريبى» على طرفها الآخر . وبين هذين التيارين ، أخذ يظهر تدريجياً تيار من نمط ثالث يتحسس خطاه ؛ إنه النزعة التركية القومية التى تدعمت إثر الدوامات السياسية التى مر بها النظام الاتحادى المهيمن على الإدارة العثمانية خاصة الحرب الإيطالية - التركية ١٩١١ - ١٩١٢ والقلاقل فى ألبانيا والحرب البلقانية ١٩١٢ - ١٩١٣ .

وفى خط متواز مع الدوامات السياسية ، مرت الدولة بـ «أزمة معنوية» عميقة . إذ بدأ الارتياب فى التوجهات والأيديولوچيات التقليدية سواء أكانت إسلامية أم تغريبية . وفى المقابل ، ازدادت النزعة التركية القومية ترسخاً . ولم تعد المسألة مجرد تنقية اللغة التركية وإيجاد أدب قومى ، بل صارت المسألة تتبلور فى البحث عن بنية جديدة ومتجانسة للدولة التركية عوضاً عن الدولة العثمانية متعددة الأعراق المستثمرة المستغلة الضعيفة . والواقع أن الشبيبة التركية التى أضحت لا تجد نفسها لا فى إسلام محافظ ولا فى غرب مفتوح ، فإنها باتت تنهمك فى البحث عن هويتها .

هنا ، وجد الاتحاديون أنفسهم مدفوعين إلى إعادة التفكير فى إستراتيچيتهم برمتها . فمنذ ظهور الاتحادية على المسرح السياسى راهنت على القيم التعبوية . إذ بدأت بامتطاء جواد النزعة العثمانية ، ثم تحولت إلى تمجيد الأمة والإخاء الإسلاميين . وأخيراً ، تحمست بشدة للوحدة القومية لتكون أحد دعامات النجاة النادرة التى يُمكن التشبث بها . وفعلاً ، تم الوصول إلى إجماع واسع حول هذا الهدف تحديداً مع بداية عام ١٩١٤ . ومنذئذٍ ، كان غير الأتراك شبه مستبعدين من هذا الإجماع . وراحت الأمة التركية وحدها تستكشف ذاتها فعلياً . وهذا يعنى أن المثل الأعلى لـ «الاتحاد والإخاء» بين شتى جماعات الدولة - الذى دافع عنه المثقفون العثمانيون بحماس بالغ طيلة ما يربو على نصف قرن - لم يعد يُمثل عشية الحرب العالمية الأولى غير عقيدة جوفاء مناسبة فقط لتزيين الخطب الرسمية .

وهكذا ، انخرطت الدولة العثمانية تحت قيادة الاتحاديين فى طريق الثورة القومية التى ستدفعها دفعاً إلى الانزلاق فى أتون الحرب العالمية الأولى كى تكتسب ثباتاً . كما أن هذه النزعة القومية الكاسحة ذات جناح اقتصادى . وتجدر الإشارة إلى أن أيديولوچيى النظام الاتحادى لم يكتفوا فقط بالتشهير بمساوئ الامتيازات والتغلغل الغربى فى الدولة العثمانية ، بل دعوا إلى تكوين بورچوازية قومية تركية قادرة على مراوغة رأس المال الأوربى الجارف والإمساك بزمام المصير الاقتصادى للبلاد . هنا ، لابد من أجل تكوين هذه البورچوازية وخلق اقتصاد قومى ، الاصطدام بمنافسة العثمانيين غير الأتراك . وتحديداً ، المسيحيون الأكثر توجهاً إلى التجارة الخارجية لاسيما الأرمن .

وهكذا ، صار التخلص من الأرمن ضرورة سياسية بقدر ما هى اقتصادية ، وعرقية بقدر ما هى دينية كى تنسجم المنظومة الطورانية . ولهذا ، استغل النظام الاتحادى تقهقر جيوشهم على جبهة القوقاز وألقوا لوم الهزيمة على الأرمن . إذ استغلوا وجود الأرمن الروس المتطوعين يُقاتلون فى الجيش الروسى واتهموا الأرمن العثمانيين بالخيانة العظمى لأنهم لم يتطوعوا فى جيشهم شأن أقرانهم الروس . وفى هذا المناخ ، قرر الاتحاديون فى فبراير ١٩١٥ «إبادة» الأرمن بالدولة العثمانية ووقعت مهمة تنفيذها على عواتق الدرك والعصابات والتشكيلات المخصوصة . ولم يكن الجيش متورطاً فيها . وفى مارس ١٩١٥ قررت الحكومة العثمانية تدمير مركزى المقاومة الأرمنيين الرئيسيين زيتون وڤان . وفى مساء ٢٤ أبريل اعتقلت السلطات الاتحادية أكثر من مائتى أرمنى من المثقفين بالأستانة واغتالوهم جميعاً . ومنذ مايو أبرقت السلطات العثمانية أوامرها الصريحة إلى الحكام والقادة العسكريين بـ «ترحيل» الأرمن عنوة من وطنهم الأم بحجة حماية المدنيين وحماية القوات المسلحة من خيانة متوقعة من الأرمن الممالئين لروسيا . وفعلاً ، نفذت الأستانة هذه العملية فى الولايات الشرقية على مرحلتين : أولاً ، قتل كل الرجال الأكفاء ، ثم ثانياً ، نفى بقية الأرمن ، بيد أن النفى لم يكن سوى الفصل الثانى من برنامج الإبادة .

وفى نهاية يولية ١٩١٥ قطع برنامج النفى أشواطاً كبيرة ، ولم يعد ثمة أرمن فى تلك الولايات التى كانت الدول الأوربية تُطالب الباب العالى دوماً بإجراء الإصلاحات فيها . بيد أن الاتحاديين قلقوا من الأرمن قاطنى الأناضول وقيليقية ، ومن ثم جاء دورهم منذ نهاية يولية . هنا ، وقع الاتحاديون فى تناقض جد صارخ . فقد أقاموا ترحيل أرمن الولايات الشرقية بناءً على بديهية إستراتيجية مؤداها أن الحكومة العثمانية أُرغمت على نقل الأرمن الثائرين الذين يتدخلون فى النشاطات العسكرية على الجبهة القوقازية . والحال بالنسبة لترحيل أرمن الأناضول وقيليقية يبقى دوماً دونما تبرير نظراً لوقوع هذه الجهات بعيداً عن جبهة القوقاز . ناهيك أن الأرمن يُشكلون فيهما أقلية ، ولم يكن الموقف يسمح لهم بالتجسس أو النشاط التخريبى أو مساعدة العدو . ورغم هذا ، نظمت السلطات العثمانية عملية نفى حقيقية لهم .

وبذلك ، نجح الاتحاديون تماماً فى تصفية الأرمن من أراضيهم التاريخية التى

قطنوها منذ ما ينيف على ثلاثة آلاف سنة . ويكمن أساس هذه المأساة فى تبنى الاتحاديين المتعصبين قومية متطرفة ، وليس فى خيانة الأرمن كما ادعت السلطات العثمانية . والحقيقة أن التخلص من الأرمن وقضيتهم سيُجنب الحكومة العثمانية التدخلات الأوربية المستمرة وسيُزيل العقبة العرقية الرئيسية بين الأتراك العثمانيين والشعوب التركية الأخرى فيما وراء القوقاز وبحر قزوين ، ويُمهد السبيل لملكية جديدة أمام أبطال الطورانية . وفى كلمة : تطورت فكرة التخلص من الأرمن بشكل متواز مع اندفاع تنامى الطورانية . وهكذا ، ارتكب الاتحاديون أول إبادة عرقية جماعية فى القرن العشرين باغتيالهم أمة الأرمن مع سبق الإصرار والترصد . وفى غرة يناير ١٩١٧ أنهت الإدارة العثمانية القضية الأرمنية رسمياً وأبطلت المادة «٦١» من معاهدة برلين مدعية أنها عقيمة لا جدوى منها ؛ إذ لم يعد ثمة وجود للأرمن فى الدولة العثمانية .

وبأفول نجم الاتحاديين يُسدل الستار على الفصل الثانى من القضية الأرمنية بعد أن نجحوا فى إنجاز الشطر الأكبر من إبادة العرق الأرمنى فى دولتهم . وليبدأ الفصل الثالث والأخير ببزوغ نجم الكماليين الذين تبنوا مشروع إقامة « وطن قومى لا يقبل التجزئة» . وهو ما يعنى ، رفض قيام دولة أرمنية فى شرق الأناضول تضم الولايات الأرمنية الست وقيليقية . وهكذا ، لا يُمكن تجاهل حقيقة أن الأناضول تشهد ساعتئذٍ نزعة تركية قومية متكاملة . ولكى يُقنع الكماليون المجتمع الدولى والأرمن سوياً بجدية نواياهم ، صبوا جام غضبهم على قيليقية وراحوا يُطهرونها من الأرمن بهجمات منظمة على المدن والقرى المأهولة بهم تحت بصر فرنسا وسمعها. ولم يكترث الكماليون بأوامر الأستانة ، واعتبروا أنفسهم «الحكومة الفعلية» فى الدولة . وهكذا ، أنذر الهجوم التركى على قيليقية ورفض الفرنسيين الدفاع عنها بموت قيليقية الأرمنية .

ورغم هذا ، نجحت الدبلوماسية الأوربية أن تُملى على الأستانة قبول معاهدة سيڤر فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ التى كرّست تمزيق الدولة العثمانية واختزالها فى دولة أناضولية صغيرة محصورة بين بلدين لاتزال حدودهما غير مرسومة وهما أرمينية واليونان . ومع أن هذه المعاهدة ذات مضمون أمبريالى فى بنودها المالية والاقتصادية ، إلا أنها كانت معتدلة التوجه بالنسبة للقضية الأرمنية . بيد أن الرأى العام الأوربى

لاسيما الفرنسى أيقن تماماً أن صلح سيفر وُلد ميتاً ، لأن الشروط المفروضة على الدولة العثمانية كانت جائرة وغير قابلة للتصديق ، بل ومؤذية لمصالح دول الوفاق .

وبغية إسقاط سيفر وتجنب التهديد الذى تُشكله «أرمينية مستقلة» ، أصدر مصطفى كمال فى أواخر سبتمبر ١٩٢٠ أمره إلى الجيش التركى باختراق الحدود وسحق الجمهورية الأرمنية القائمة فى القوقاز . وتابعت دول الوفاق تقدم الجيش التركى فى قلب الجمهورية الأرمنية فى منتصف نوفمبر حتى احتلت المنطقة بأسرها وسيطر الأتراك على المناطق التى كانت لهم قبل انسحابهم فى نوفمبر ١٩١٨

بيد أن انضمام أرمينية إلى العائلة البلشفية وانصرافها إلى تضميد جراحها ، أديا إلى توقف حكومة أرمينية السوفيتية عن الاهتمام باستعادة الأراضى الأرمنية التى اغتصبها الأتراك القوميون . كما أن الرد التركى الفعال على سيفر ، حرّض حكومات دول الوفاق كى تنشد «تطبيع» العلاقات مع الكماليين . وبعد أن حقق الأخيرون النصر فى ميادين القتال ، بقى عليهم كسب معركة السلم فى مؤتمر لوزان للبت فى معاهدة سيفر مع دول الوفاق عدا الولايات المتحدة .

وأخيراً ، أُبرمت معاهدة لوزان فى ٢٤ يولية بشكل يتماشى مع أمانى الأتراك القوميين . إذ أنها اعترفت لتركيا بحدود مستقرة تستوعب تراقيا الشرقية والأراضى المتنازع عليها فى الأناضول : إقليم أزمير ، قيليقية ، ساحل البحر الأسود ، الولايات الشرقية (الأرمنية) . وانعكس الانتصار المطلق للأتراك بأنه لم ترد فى بنود لوزان النهائية كلمتا «أرمينية» أو «الأرمن» ، إنما تضمنت نصوصاً عامة حول ضرورة عدم اضطهاد «الأقليات» غير المسلمة عموماً فى تركيا . وهكذا ، أُخليت تركيا من أضخم أقلية غير تركية وترسخت أسس «الجمهورية التركية» بإنجاز مستوى رفيع من التجانس على حساب الأرمن الذين حُكم عليهم إما بالهلاك أو الشتات . وتبعثر الناجون من الأرمن على ظهر البسيطة ليكونوا بمثابة «بصمات الجانى على المجنى عليه» . بيد أنهم استردوا أنفسهم سريعاً فى اطار المجتمعات الجديدة التى استوعبتهم . وبتبلور مجتمع المهجر الأرمنى ، ابتدأ مشوار الليل الأرمنى الطويل لإثبات الحق السليب .

❀ ❀ ❀

ملاحق

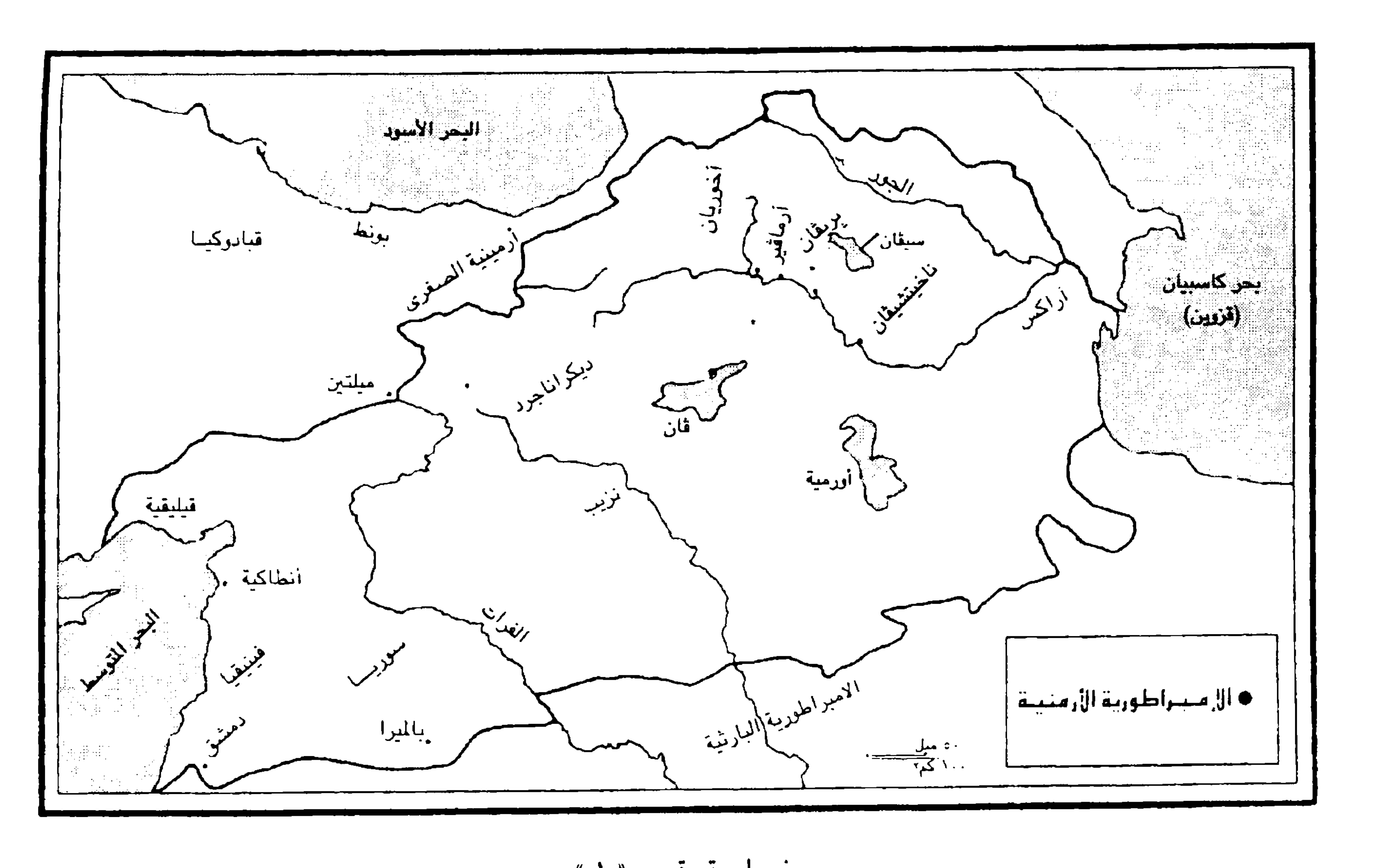
الملحق الأول : الخرائط

الملحق الثانى : أحداث مهمة فى تاريخ القضية الأرمنية

الملحق الثالث : تراجم الشخصيات الأرمنية

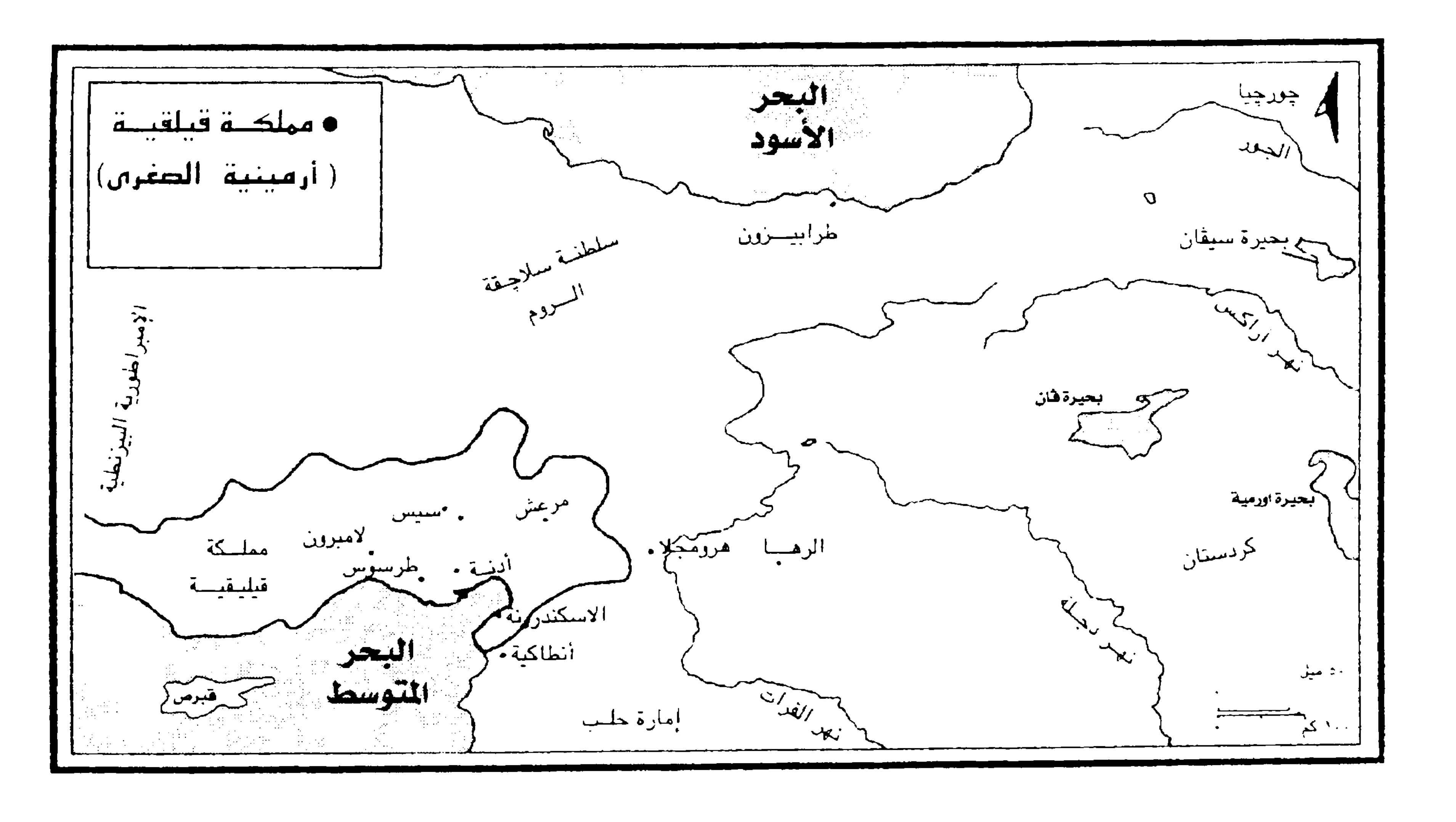
الملحق الأول

الخرائط



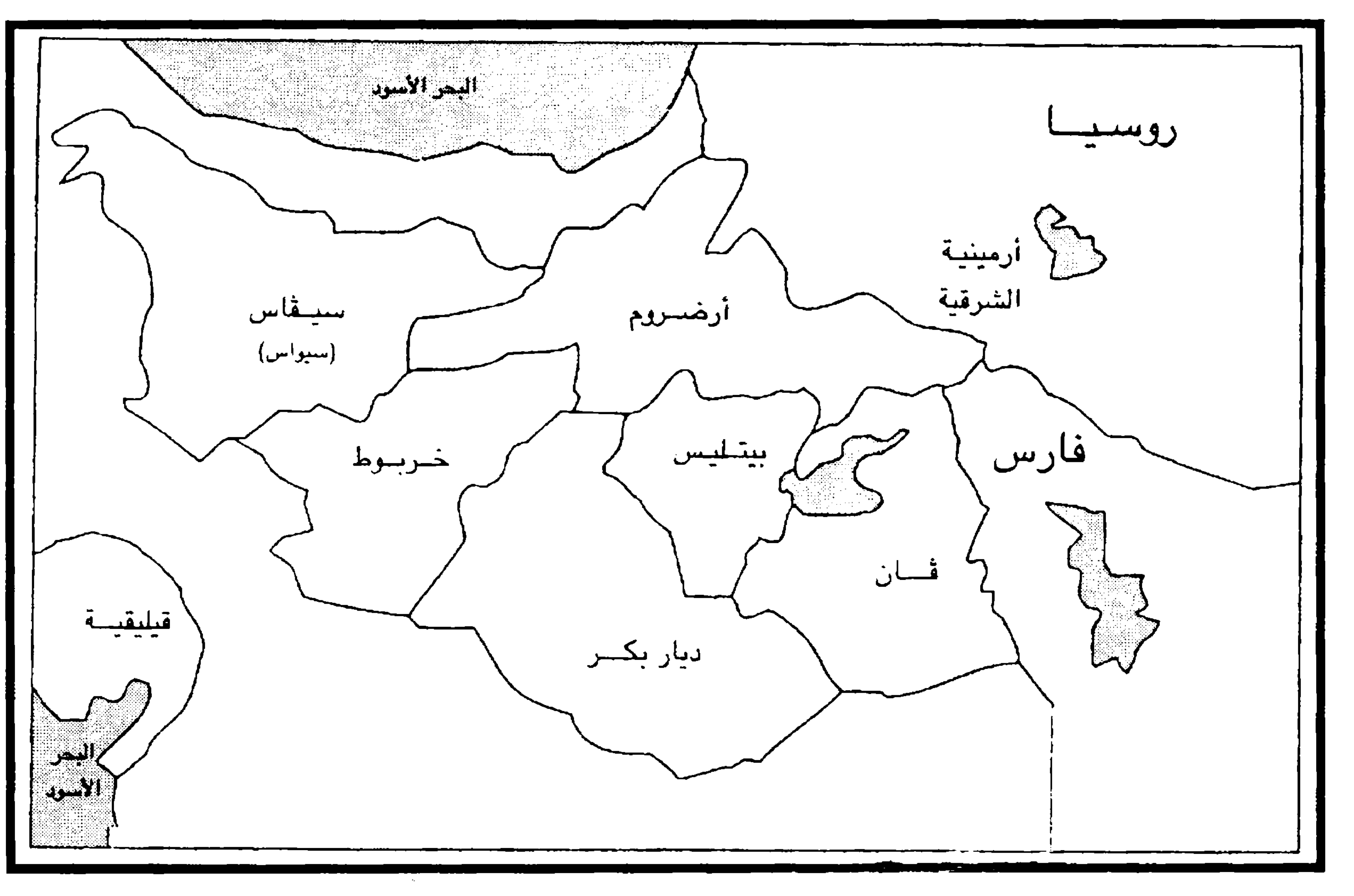
خريطة رقم « ١ »

الإمبراطورية الأرمنية ٩٥ ـ ٥٥ ق . م



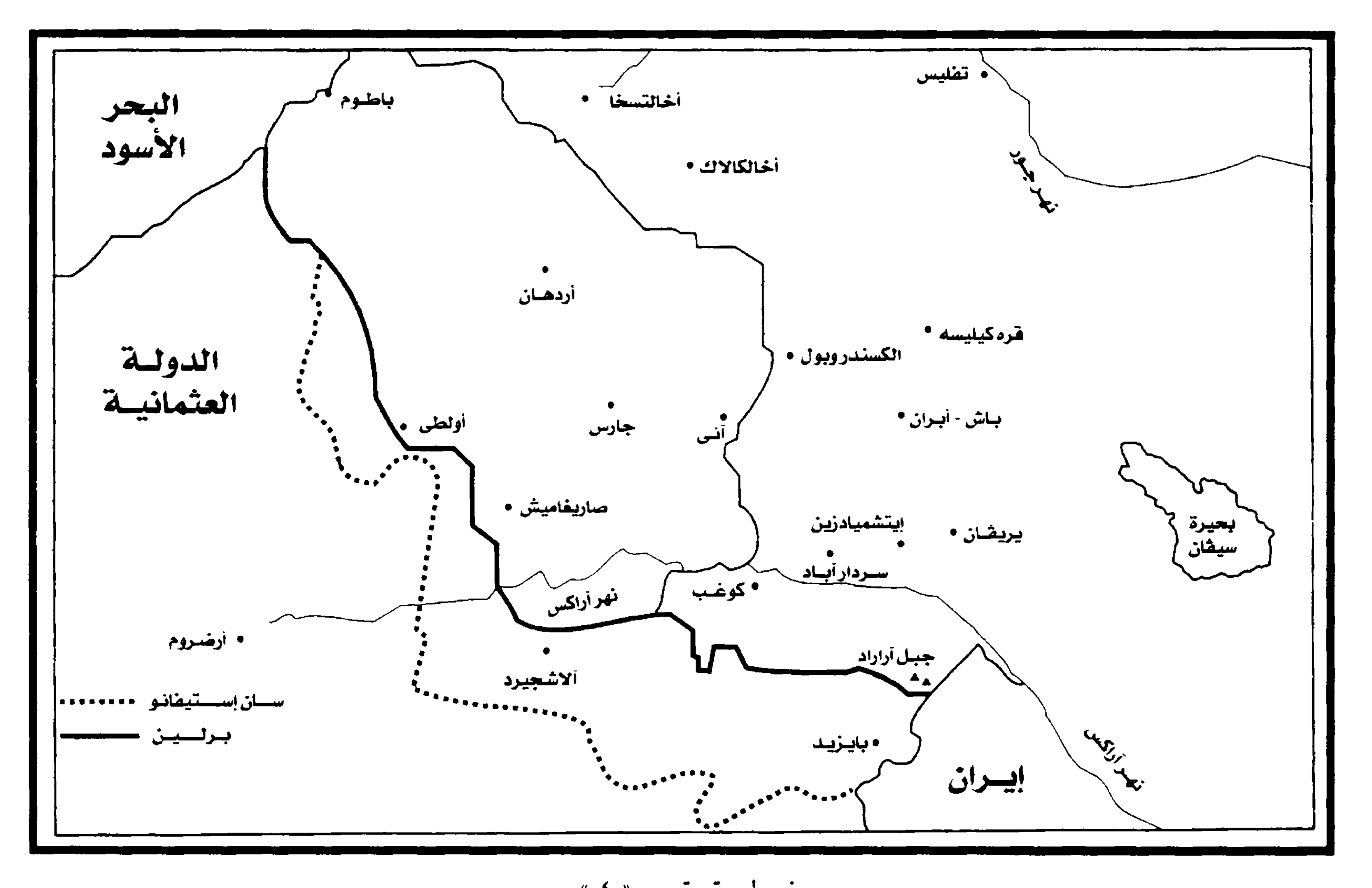
خريطة رقم « ٢ »

مملكة قيليقية ١٠٨٠ ـ ١٣٧٥



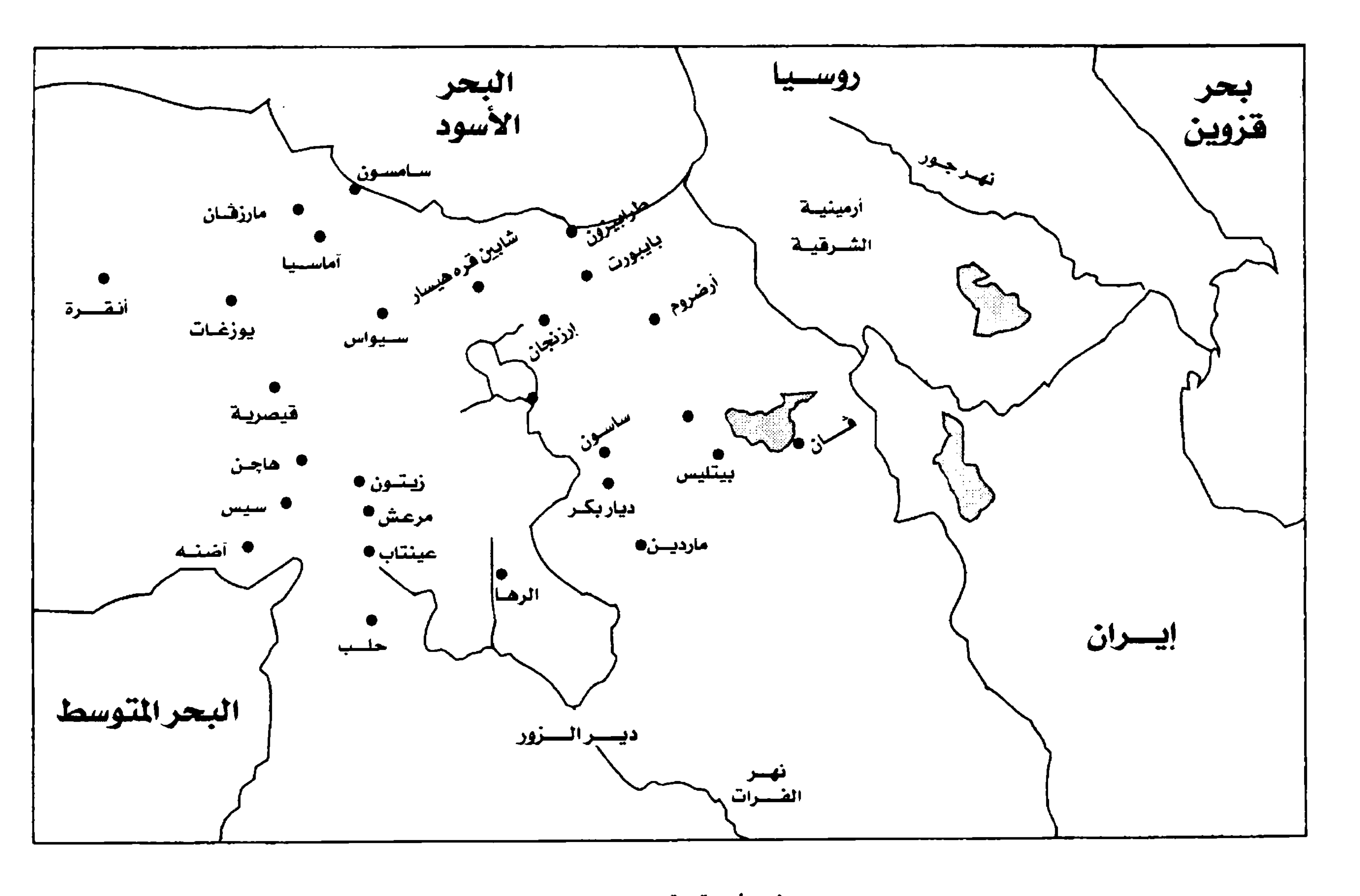
خريطة رقم « ٣ »

أرمينية العثمانية



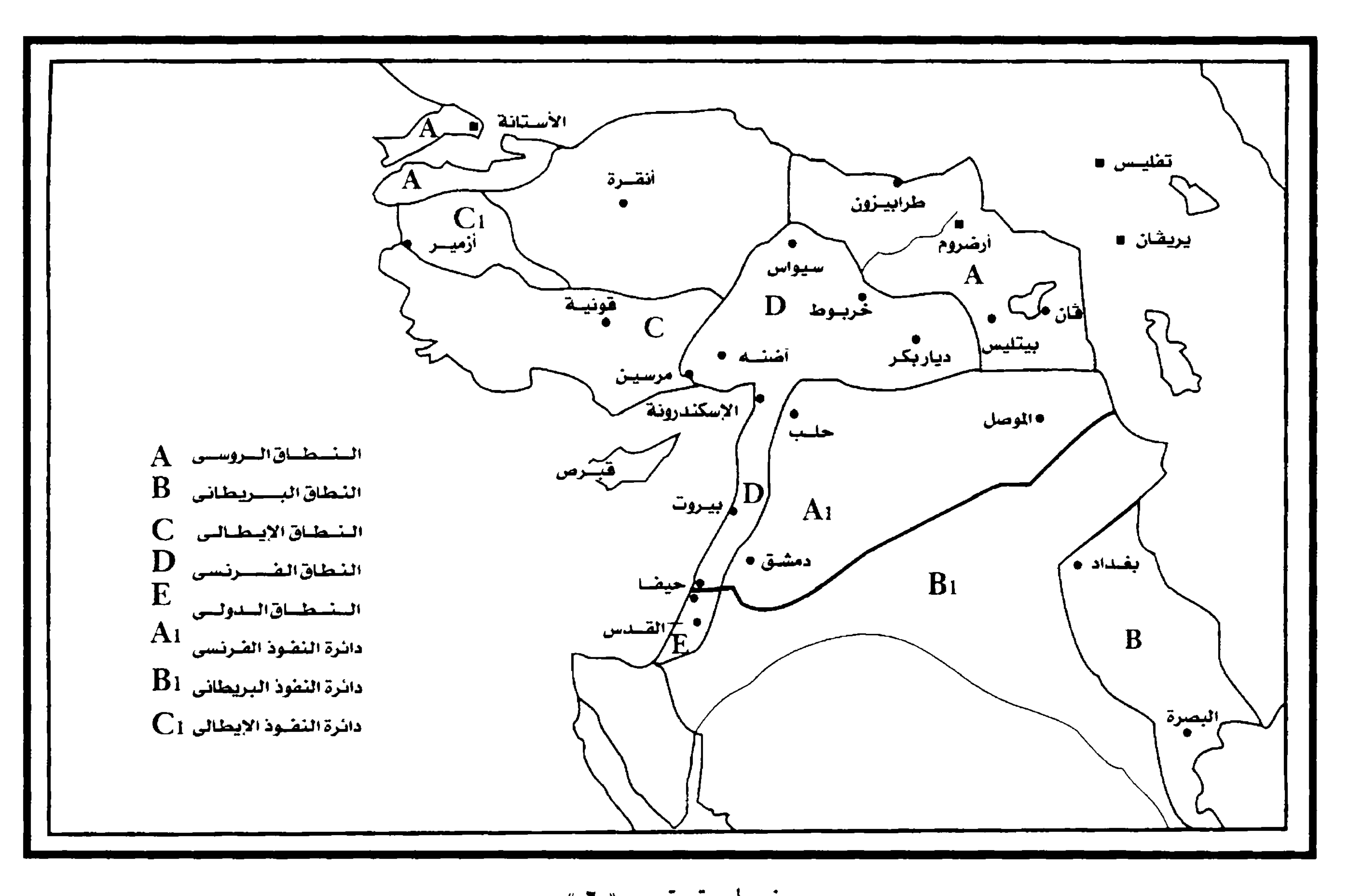
خريطة رقم « ٤ »

الحدود العثمانية – الروسية بعد معاهدتى سان إستيفانو وبرلين عام ١٨٧٨



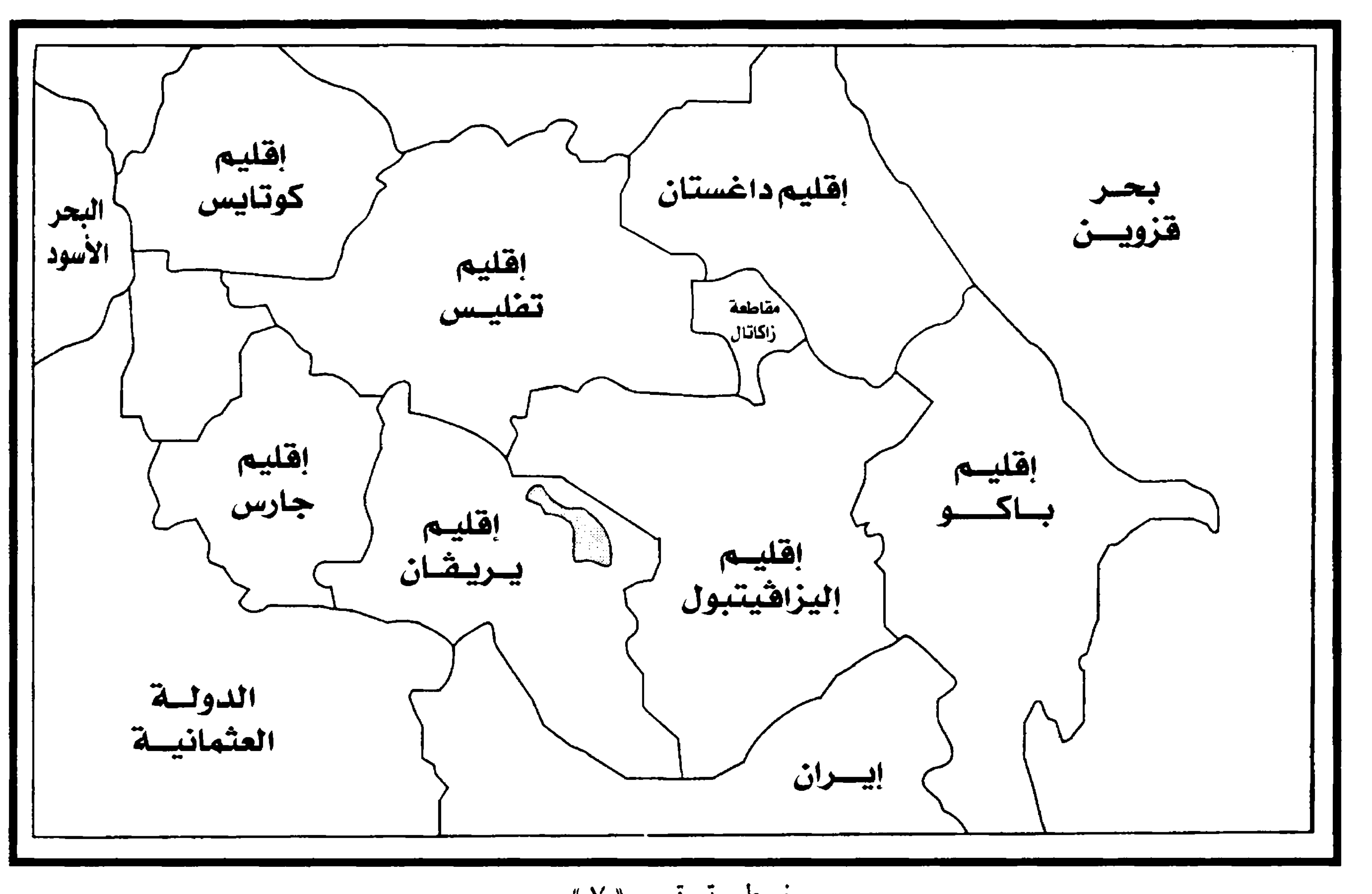
خريطة رقم « ٥ »

الإبادة العرقية الأرمنية ١٩١٥ - ١٩٢٢



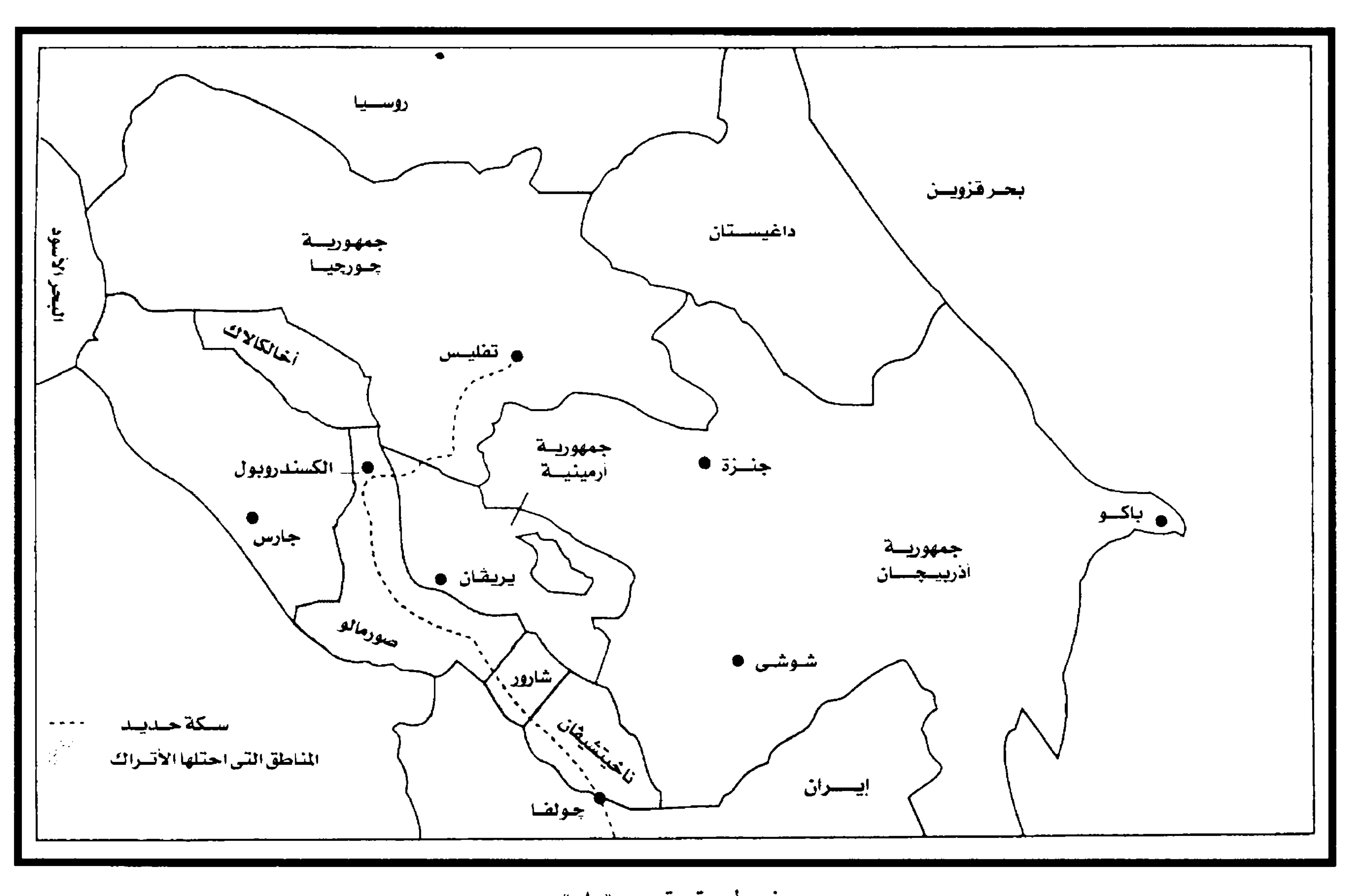
خريطة رقم « ٦ »

خطة سايكس بيكو لتقسيم الدولة العثمانية ١٩١٥ - ١٩١٦



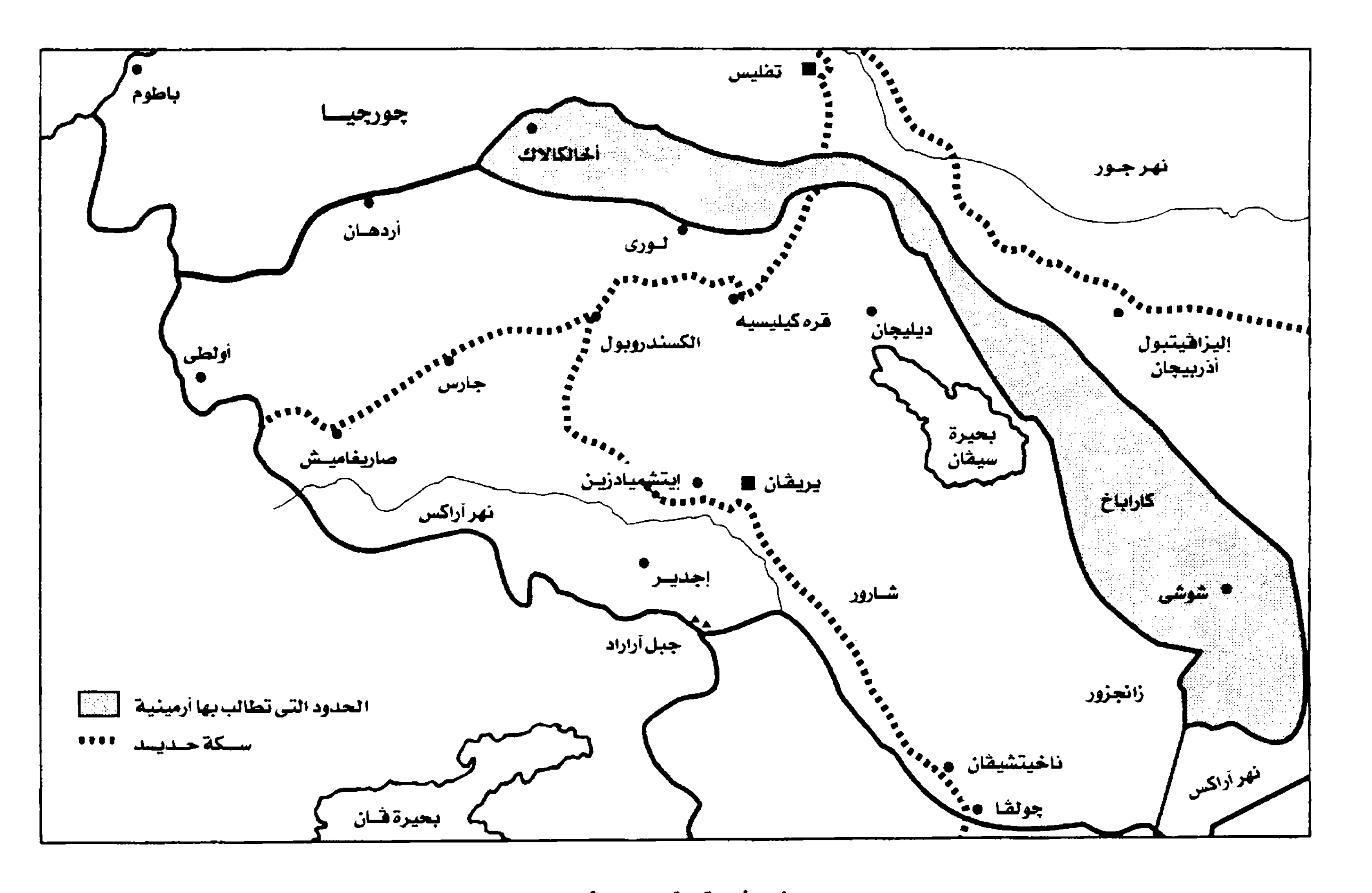
خريطة رقم « ٧ »

ما وراء القوقاز ١٨٧٨ - ١٩١٨



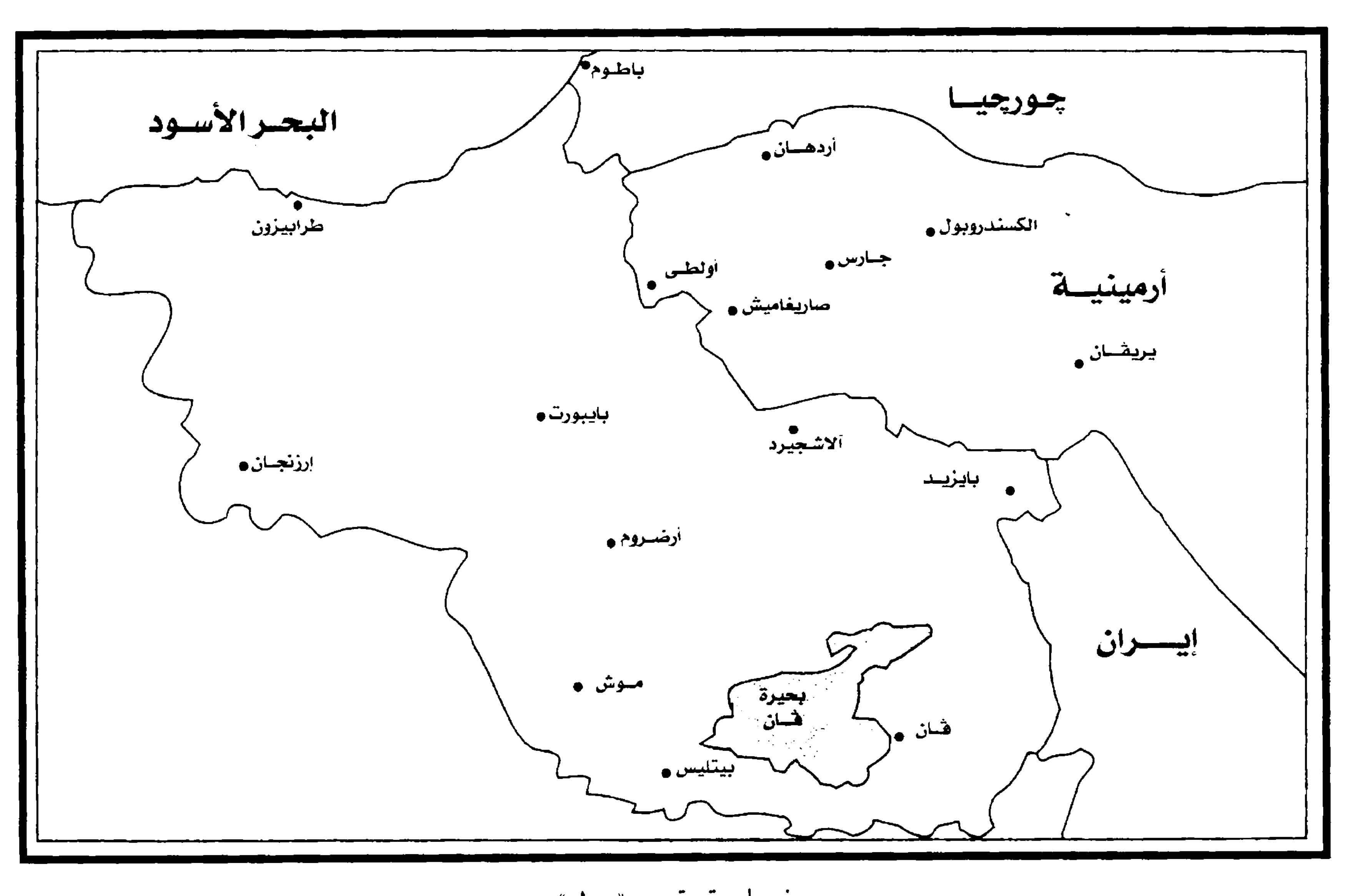
خريطة رقم « ٨ »

الجمهورية الأرمنية بعد معاهدة باطوم - يونية ١٩١٨



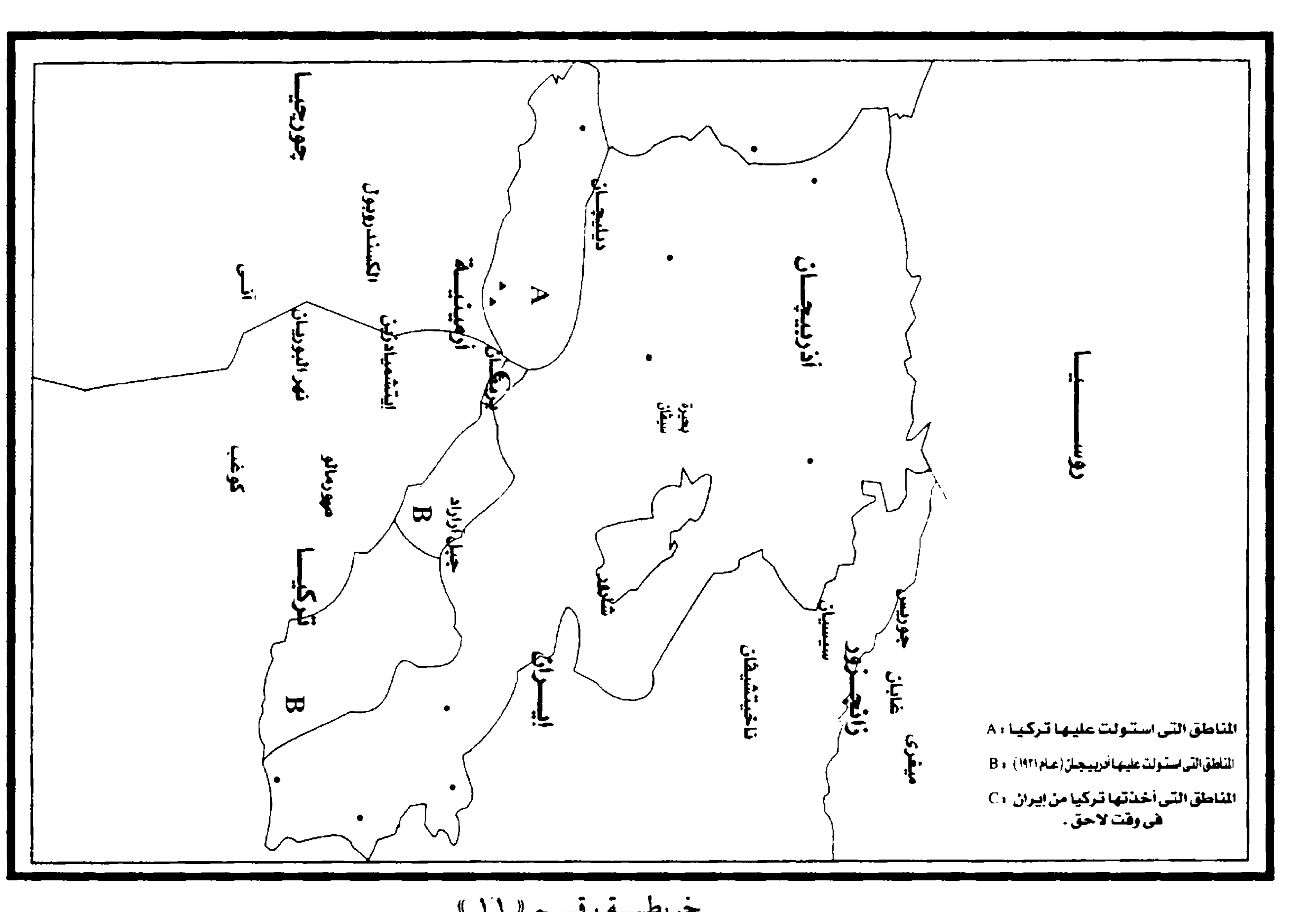
خريطـــة رقـــم « ٩ »

الجمهورية الأرمنيـــة فى ســبتمبر ١٩٢٠



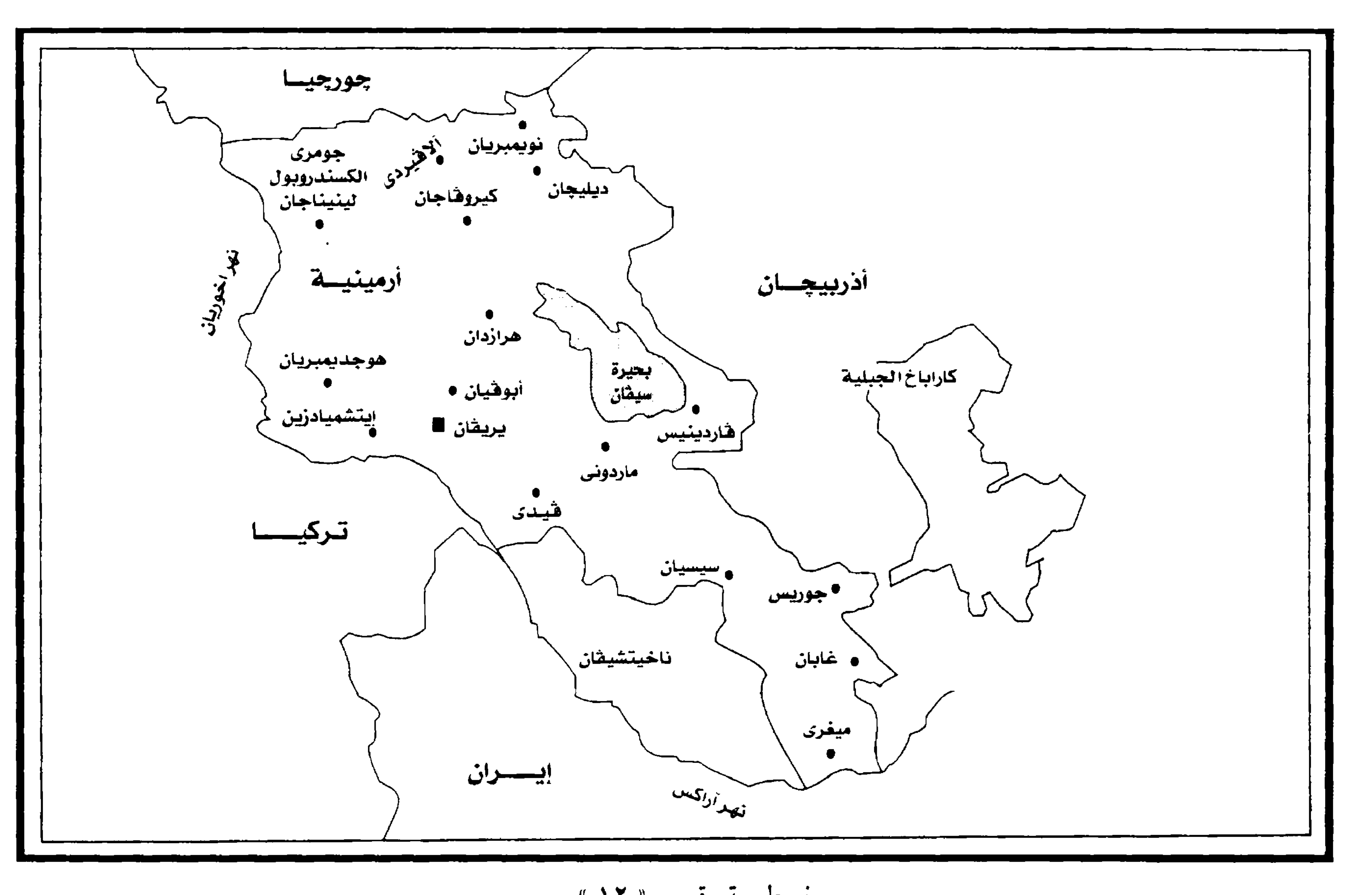
خريطة رقم « ١٠ »

حدود أرمينية كما رسمها ويلسون فى عام ١٩٢٠



خريطة رقم «١١»

الجمهورية الأرمنية فى أعقاب معاهدة الكسندروبول - ديسمبر ١٩٢٠



خريطة رقم « ١٢ »

أرمينية السوفيتية ١٩٢١ - ١٩٩١

الملحق الثانى

أحداث مهمة في تاريخ القضية الأرمنية

أحداث مهمة
فى
تاريخ القضية الأرمنية

- ١٤٦١ : اعتراف الدولة العثمانية بملة الأرمن الأرثوذكس .
- ٢٤ مايو ١٨٣١ : تأسيس ملة الأرمن الكاثوليك فى الدولة العثمانية .
- ٢٧ نوفمبر ١٨٥٠ : تأسيس ملة الأرمن البروتستانت فى الدولة العثمانية .

❀ ❀ ❀

- ١٨٦١ : مذابح الأرمن فى إقليم زيتون .
- ١٨٦٢ : انتفاضة الأرمن فى ڤان .
- ٢ أغسطس ١٨٦٢ : هزيمة الجيش العثمانى فى زيتون .
- ١٨٦٣ : انتفاضة الأرمن فى أرضروم .
- ٣٠ مارس ١٨٦٣ : تصديق الدولة العثمانية على نظامنامة الملة الأرمنية .
- ١٨٦٤ : انتفاضة الأرمن فى موش .

❀ ❀ ❀

- ١٨٧٢ : تأسيس « جمعية اتحاد الخلاص » فى ڤان ؛ وهى أول جمعية أرمنية سرية محلية .
- ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦ : إعلان الدستور العثمانى .
- ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦ : مطالبة بطريرك الأرمن الأرثوذكس بالأستانة نرسيس ڤارچابيديان بضرورة إجراء إصلاحات فى الولايات الأرمنية العثمانية الست .
- ٢٤ أبريل ١٨٧٧ : إعلان روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية .
- ٣١ يناير ١٨٧٨ : وقف إطلاق النار بين روسيا والدولة العثمانية .

- ١٤ فبراير ١٨٧٨ : حل مجلس المبعوثان العثمانى وإيقاف العمل بالدستور .
- ٣ مارس ١٨٧٨ : إبرام معاهدة سان إستيفانو بين روسيا والدولة العثمانية .
- ١٣ يولية ١٨٧٨ : إبرام معاهدة برلين بين روسيا والدولة العثمانية .
- ١٨٧٨ : تأسيس جمعية الصليب الأسود الأرمنية السرية فى ڤان .

❀ ❀ ❀

- ١٨٨١ : تأسيس جمعية « حماة الوطن » الأرمنية السرية فى أرضروم .
- ١٨٨٥ : تأسيس حزب الأرميناجان فى ڤان .
- ١٨٨٧ : تأسيس حزب الهنشاك (الناقوس) الاشتراكى الديمقراطى الأرمنى فى چنيف بسويسرا .
- ١٨٨٨ : تأسيس أول جمعية أرمنية سرية فى باريس .
- ١٨٨٩ : ميلاد حركة تركيا الفتاة .

❀ ❀ ❀

- ١٨٩٠ : تأسيس حزب الاتحاد الثورى الأرمنى (الطاشناق) فى تفليس .
- ١٨٩٠ : مظاهرات أرمنية نظمها حزب الهنشاك فى أرضروم ضد الباب العالى .
- ١٨٩١ : تشكيل فرق الخيالة الحميدية من عناصر غير تركية خاصة الأكراد .
- ١٨٩٢ : تأسيس اتحاد العمال الأرمن الثوريين فى تفليس .
- ١٨٩٤ : مذابح الأرمن فى إقليم ساسون الجبلى بالدولة العثمانية .

- ١٨٩٥ : تأسيس حزب الاتحاد والترقى .
- ١١ مايو ١٨٩٥ : وضع القوى الكبرى مشروع إصلاحى فى الولايات الأرمنية العثمانية الست .
- ٣٠ نوفمبر ١٨٩٥ : هجوم القوات العثمانية على القرى الأرمنية والأحياء الأرمنية بمدن الولايات الأرمنية الست .
- ٢٨ ، ٢٩ ديسمبر ١٨٩٥ : مذابح الأرمن فى مدينة الرها .
- ١٨٩٦ : انفصال جناح يمينى عن حزب الهنشاك مؤسساً حزب الهنشاك المعاد تكوينه في مصر .
- ٢٦ أغسطس ١٨٩٦ : هجوم «٢٦» أرمنياً طاشناقياً مسلحين بمتفجرات على البنك العثمانى بالأستانة .
- ٢٧ أغسطس ١٨٩٦ : بدء مذبحة الأرمن فى الأستانة وضواحيها .
- ١١ نوفمبر ١٨٩٦ : أصدرت الحكومة العثمانية بلاغاً وعدت فيه بتنفيذ الإصلاحات فى الولايات الأرمنية الست .

❀ ❀ ❀

- ٤ - ٩ فبراير ١٩٠٢ : انعقاد أول مؤتمر للأحرار العثمانيين فى باريس .
- ٦ يناير ١٩٠٣ : فشل محاولة اغتيال ماغاكيا أورمانيان بطريرك الأرمن الأرثوذكس بالأستانة .
- ١١ - ١٥ أغسطس ١٩٠٣ : حوادث ساسون الدامية .
- ٢٥ - ٢٩ مايو ١٩٠٤ : حوادث ساسون الدامية .
- ١٩٠٥ : مذابح القوقاز التى دبرتها روسيا القيصرية لتخريب الثورة .
- ٢١ يوليه ١٩٠٥ : فشل محاولة أفراد من حزب الطاشناق اغتيال السلطان عبد الحميد الثانى .
- ١٩٠٦ : حركة تركيا الفتاة تتحرك إلى سالونيك .

- ١٥ أبـــريـــل ١٩٠٦ : تأسيس الاتحاد الخيرى الأرمنى العام بالقاهرة .
- ٢٧ سبتمبر ١٩٠٦ : انصهار منظمتى تركيا الفتاة فى باريس وسالونيك فى منظمة واحدة صارت تُسمى « الاتحاد والترقى » .
- ٢٧ ـ ٢٩ ديسمبر ١٩٠٧ : انعقاد المؤتمر الثانى للأحرار العثمانيين فى باريس بمبادرة من حزب الطاشناق .
- ١٩٠٨ : تأسيس حزب الرامجاڤار الدستورى .
- ٢٤ يوليـــة ١٩٠٨ : الانقلاب العثمانى وإعلان الحكومة الدستورية .
- ١٤ سبتمبر ١٩٠٨ : تأسيس حزب الأحرار العثمانيين على أيدى الأمير صباح الدين .
- ٢٧ ديسمبر ١٩٠٨ : انعقاد مجلس المبعوثان وبه « ١٤ » نائباً أرمنياً .
- ١٣ أبـــريـــل ١٩٠٩ : محاولة انقلاب مضاد للاتحاديين .
- ١٤ ـ ٢٧ أبريل ١٩٠٩ : اقتراف مذابح ضد الأرمن فى قيليقية خاصة آضنه .

❀ ❀ ❀

- ٢٣ يوليـــة ١٩١٢ : وزارة المشير أحمد مختار الغازى وفيها كبرييل نورادونجيان وزيراً للخارجية .
- ١٩١٢ : تكليف الجاثليق الأرمنى كيڤورك الخامس بوغوص نوبار باشا برئاسة الوفد القومى الأرمنى فى باريس لمتابعة حل القضية الأرمنية .
- ٢٣ يـنـايـر ١٩١٣ : استيلاء الاتحاديين تماماً على السلطة العثمانية وظلوا بها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .
- ٨ فـبـرايـر ١٩١٤ : موافقة الدول الكبرى فى مؤتمر لندن على مشروع الإصلاحات الإدارية فى أرمينية العثمانية .

- ٢ أغسطس ١٩١٤ : إبرام اتفاقية سرية بالأستانة بين ألمانيا والدولة العثمانية للتعاون المشترك فيما بينهما .
- ٢ ـ ١٤ أغسطس ١٩١٤ : انعقاد مؤتمر حزب الطاشناق فى أرضروم .
- ١ نوفمبر ١٩١٤ : إعلان الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا ومسرحها الجبهة القوقازية .
- ٢٣ نوفمبر ١٩١٤ : إعلان الاتحاديين الجهاد الدينى باعتباره فرض عين على جميع مسلمى العالم ضد الملاحدة .
- ديسمبر ١٩١٤ : وصول أنور باشا إلى مركز القيادات العليا للجيش العثمانى الثالث فى أرضروم .

❀ ❀ ❀

- يناير ـ فبراير ١٩١٥ : هزيمة الجيش العثمانى فى القوقاز .
- فبراير ١٩١٥ : تجريد السلطات العثمانية الجنود والشرطة الأرمن من أسلحتهم وإدراجهم فى طوابير العمل .
- ٨ أبريل ١٩١٥ : إصدار السلطات العثمانية أمر ترحيل لأرمن زيتون .
- ٢٠ أبريل ١٩١٥ : بدء محاصرة الأتراك لـ ڤان .
- ٢٤ أبريل ١٩١٥ : بدء المذابح الأرمنية الكبرى فى الدولة العثمانية .
- مايو ـ يولية ١٩١٥ : ترحيل وذبح أرمن الولايات الأرمنية .
- ١٦ مايو ١٩١٥ : استيلاء الحكومة العثمانية على أملاك الأرمن وممتلكاتهم بموجب قانون أصدرته .
- ١٣ يولية ١٩١٥ : رفض أرمن جبل موسى الانصياع لأمر الترحيل واعتصامهم خمسة وأربعين يوماً فى جبل موسى .
- أغسطس ١٩١٥ : إلغاء الحكومة العثمانية نظامنامة الملة الأرمنية الصادر فى عام ١٨٦٣ .

- ١٧ أغسطس ١٩١٥ : استيلاء القوات الروسية على ڤان وترحيل سكانها إلى ما وراء القوقاز .
- ١٦ مايو ١٩١٦ : اتفاقية سايكس بيكو .
- ١٩١٦ : إصدار الحكومة العثمانية كتاباً عن المذابح الأرمنية بعنوان «الحقيقة عن الحركة الثورية الأرمنية والإجراءات الحكومية» .

❀ ❀ ❀

- ١٩١٧ : انعقاد أول مؤتمر للأرمن العثمانيين فى يريڤان لتنظيم عودتهم إلى أرمينية العثمانية .
- ١ يناير ١٩١٧ : إنهاء الحكومة العثمانية القضية الأرمنية رسمياً وإبطال المادة «٦١» من معاهدة برلين ١٨٧٨ .
- مارس ١٩١٧ : اندلاع الثورة الروسية الأولى فى بتروجراد .
- ٧ نوفمبر ١٩١٧ : قيام الثورة البلشفية .
- ٨ نوفمبر ١٩١٧ : إعلان البلاشفة مرسوم السلام .
- ١٥ نوفمبر ١٩١٧ : تأسيس قوميسارية إقليم ما وراء القوقاز فى تفليس بـ چورچيا .
- ٢٧ نوفمبر ١٩١٧ : تأليف هيئة تنفيذية عليا فيما وراء القوقاز تُسمى سايم (البرلمان القوقازى) .
- ١٨ ديسمبر ١٩١٧ : إبرام معاهدة إرزنجان لوقف القتال على جبهة القوقاز .
- ٢٩ ديسمبر ١٩١٧ : تعيين إستيبان شاهوميان مندوباً فوق العادة لشئون القوقاز .

❀ ❀ ❀

- ١١ يناير ١٩١٨ : الحكومة السوڤيتية تُصدر مرسوماً يُحدد موقفها من القضية الأرمنية .

- ٣ مـــــارس ١٩١٨ : إبرام معاهدة صلح بريست ليتوفسك بين روسيا والدولة العثمانية وألمانيا والنمسا ـ المجر .
- ١٥ أبـــريـــل ١٩١٨ : استيلاء القوات العثمانية على باطوم شمال جبهة القوقاز داخل الحدود الروسية .
- ٢٢ أبـــريـــل ١٩١٨ : تأسيس جمهورية ما وراء القوقاز الديمقراطية الفيدرالية .
- ٢٥ أبـــريـــل ١٩١٨ : استيلاء القوات العثمانية دون قتال على جارس شمال وسط جبهة القوقاز .
- ١٤ مـــــايو ١٩١٨ : مناشدة الچورچيين حماية الألمان .
- ٢٥ مـــــايو ١٩١٨ : انتصارات الأرمن على الأتراك فى سردارآباد وقره كيليسه .
- ٢٦ مـــــايو ١٩١٨ : استقلال چورچيا عن جمهورية ما وراء القوقاز .
- ٢٧ مـــــايو ١٩١٨ : استقلال أذربيچان عن جمهورية ما وراء القوقاز .
- ٢٨ مـــــايو ١٩١٨ : إعلان استقلال الجمهورية الأرمنية فى تفليس .
- ٤ يـونيـــــة ١٩١٨ : إبرام معاهدة باطوم بين الدولة العثمانية والجمهورية الأرمنية .
- ١٩ يـوليـــــة ١٩١٨ : مغادرة الحكومة الأرمنية تفليس إلى يريڤان .
- ١٥ سبتمبر ١٩١٨ : اقتراف مذبحة للأرمن فى باكو نظمتها القوات العثمانية ـ الآذرية .
- ١٩ سبتمبر ١٩١٨ : معركة عرعرة فى فلسطين باشتراك الفيلق الأرمنى .
- ٢٠ سبتمبر ١٩١٨ : إلغاء البلاشفة معاهدة صلح بريست ليتوفسك .
- ٢٠ سبتمبر ١٩١٨ : إعدام الثورى الأرمنى إستيبان شاهوميان .
- ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ : عقد هدنة مودروس التى أنهت الحرب العالمية الأولى فيما وراء القوقاز .

❀ ❀ ❀

- ١٩١٩ : مجاعة فى أرمينية .
- ١٩١٩ : عدم استقرار الحدود بين أرمينية وجارتيها أذربيجان وجورجيا .
- ١٩ يناير ١٩١٩ : اعتراف المجلس الأعلى لدول الوفاق (الحلفاء) باستقلال الجمهورية الأرمنية .
- ٣٠ يناير ١٩١٩ : وافق المجلس الأعلى للوفاق على مسودة قرار تُفصل بموجبه أرمينية وسورية والعراق وفلسطين والحجاز عن الدولة العثمانية ووضعها تحت الانتداب .
- ٤ فبراير ١٩١٩ : وصول وفدين الجمهورية الأرمنية إلى باريس للمطالبة بأرمينية الغربية ومخرج للجمهورية على البحر الأسود .
- ١٢ فبراير ١٩١٩ : تقديم الوفدين الجمهورى والقومى الأرمنى مذكرة مشتركة إلى الوفاق تحوى مطالبهما .
- ٢٤ فبراير - ٢٢ أبريل ١٩١٩ : انعقاد المؤتمر القومى الأرمنى لتأييد المطالب الأرمنية ومناقشة مستقبل أرمينية .
- ١٤ مايو ١٩١٩ : آمل زعماء الوفاق بأن الولايات المتحدة قد تقبل بانتداب عصبة الأمم على الدولة الأرمنية المزمع إنشائها .
- ١٩ مايو ١٩١٩ : وصول الضابط مصطفى كمال إلى سامسون على البحر الأسود بغية إعادة النظام فى الأناضول .
- ٢٢ يونية ١٩١٩ : مصطفى كمال يُوجه منشور آماسيا إلى جميع المنظمات التركية من أجل إنقاذ الأمة التركية .
- ٢٨ يونية ١٩١٩ : إبرام معاهدة فرساى بين دول الوفاق وألمانيا فقط .
- ٨ يولية ١٩١٩ : قرر مصطفى كمال نهائياً بأنه لن يبرح الأناضول حتى تسترد الأمة التركية استقلالها .
- ٢٣ يولية - ٧ أغسطس ١٩١٩ : انعقاد أول مؤتمر للأتراك القوميين فى أرضروم بزعامة مصطفى كمال .

- ٤ ـ ١١ سبتمبر ١٩١٩ : انعقاد المؤتمر الثانى للأتراك القوميين فى سيواس .

❀ ❀ ❀

- ٢٢ ينـاير ١٩٢٠ : اعتراف دول الوفاق (عدا الولايات المتحدة) بجمهوريات ما وراء القوقاز الثلاث (أرمينية وچورچيا وأذربيچان) .
- ٢٣ أبريل ١٩٢٠ : تأسيس مصطفى كمال حكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا فى أنقرة .
- ٢٧ أبريل ١٩٢٠ : اعتراف الولايات المتحدة بالجمهورية الأرمنية ومطالبة دول الوفاق إياها بقبول الانتداب عليها .
- ١ يونية ١٩٢٠ : رفض الكونجرس الأمريكى الانتداب الأمريكى على أرمينية .
- ٤ أغسطس ١٩٢٠ : إعلان الأرمنى الثورى مهران داماديان استقلال قيليقية ، إلا أن فرنسا قاومت هذا الاستقلال .
- ١٠ أغسطس ١٩٢٠ : إبرام معاهدة سيڤر .
- ٢٤ أغسطس ١٩٢٠ : إبرام اتفاقية صداقة فى موسكو بين البلاشفة والكماليين .
- ٢٤ سبتمبر ١٩٢٠ : فسخ القوات التركية الكمالية معاهدة سيڤر .
- ٢٢ نوفمبر ١٩٢٠ : إعلان ويلسون الحدود النهائية لأرمينية .
- ٢ ديسمبر ١٩٢٠ : استيلاء الأرمن الشيوعيين على يريڤان دون قتال قبل التوقيع على معاهدة الكسندروبول بساعات .
- ٢ ديسمبر ١٩٢٠ : إبرام معاهدة الكسندروبول بين أنقرة ويريڤان .
- ٤ ديسمبر ١٩٢٠ : إنذار موسكو حكومة أنقرة بوقف زحف قواتها شطر العاصمة الأرمنية يريڤان .

❀ ❀ ❀

- ١٨ فبراير ١٩٢١ : إنقلاب قاده الطاشناقيون أسفر عن طرد الشيوعيين من يريڤان .
- ١٥ مارس ١٩٢١ : اغتيال طلعت باشا على أيدى صوغومون تهلريان فى برلين .
- ١٦ مارس ١٩٢١ : إبرام معاهدة صداقة فى موسكو بين البلاشفة والأتراك .
- ٢ أبريل ١٩٢١ : استرداد الأرمن الشيوعيين السلطة فى يريڤان بمساعدة القوات البلشفية .
- أول أكتوبر١٩٢١ : تأسيس حزب الرامجاڤار الليبرالى بالأستانة .
- ١٣ أكتوبر ١٩٢١ : إبرام اتفاقية جارس بين جمهوريات ما وراء القوقاز وحكومة الجمعية الوطنية الكبرى فى أنقرة .
- ٢٠ أكتوبر ١٩٢١ : إبرام فرنسا معاهدة صلح مع أنقرة تنازلت بموجبها عن كل إقليم قيليقية الأرمنى وولايات عينتاب والرها وماردين لحكومة أنقرة .
- ٥ ديسمبر ١٩٢١ : اغتيال رئيس الوزراء العثمانى سعيد حليم فى روما على أيدى أرشاڤير شيراكيان .

❀ ❀ ❀

- ٢٢ مارس ١٩٢٢ : تكوين اتحاد ما وراء القوقاز من جمهوريات أرمينية وجورجيا وأذربيجان الاشتراكية .
- ٧ أبريل ١٩٢٢ : اغتيال بهاء الدين شاكر رئيس التشكيلات العثمانية المخصوصة على أيدى كل من آرام يرجانيان وأرشاڤير شيراكيان .
- ٢١ يولية ١٩٢٢ : اغتيال جمال باشا فى تفليس على أيدى بدروس دير بوغوصيان وأرداشيس كيڤوركيان .
- ٩ سبتمبر ١٩٢٢ : تدمير حى الأرمن وذبحهم فى أزمير .

• ١٣ ديسمبر ١٩٢٢ : تكوين جمهورية ما وراء القوقاز الاشتراكية الفيدرالية .

• ٣٠ ديسمبر ١٩٢٢ : إبرام معاهدة موسكو بين جمهورية ما وراء القوقاز الاشتراكية الفيدرالية وجمهوريات روسيا الاشتراكية وأوكرانيا وروسيا البيضاء الاشتراكية ، وبموجبها تأسس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

❀ ❀ ❀

• ٢٤ يوليه ١٩٢٣ : إبرام معاهدة لوزان التى شهدت اغتيال القضية الأرمنية .

❀ ❀ ❀

الملحق الثالث

تراجم الشخصيات الأرمنية

أڤيديس أهارونيان (١٨٦٦ ـ ١٩٤٨)

وُلد فى أغدير . تلقى تعليمه فى معهد كيڤوركيان بإيتشميادزين . قام بالتدريس فى أغدير بين عامى ١٨٨٦ ـ ١٨٩٦ . أصبح عضواً نشيطاً فى حزب الطاشناق . أكمل دراساته العليا فى لوزان وباريس بين عامى ١٨٩٨ ـ ١٩٠١ . عاد إلى ما وراء القوقاز واشتغل ببعض الأعمال الصحفية والأدبية . تعين فى عام ١٩٠٦ ضمن هيئة تحرير صحيفة « تروشاج » (العَلَمْ) ، وهى الجريدة الرسمية لحزب الطاشناق . تقلد نظارة معهد نرسيسيان بـ تفليس بين عامى ١٩٠٧ ـ ١٩٠٩ .

اعتُقل وسُجن فى ميتيخ وباكو وروستوف ونوڤوشيركاسك ، ولكنه هرب من السجن عام ١٩١١ إلى أوربا عن طريق الأستانة . استقر فى سويسرا وصاحف الدوريات القوقازية . عاد إلى ما وراء القوقاز عام ١٩١٦ . كان أحد منظمى المجلس الوطنى الأرمنى (سبتمبر ١٩١٧) وصار المتحدث باسم برلمان جمهورية أرمينية . ومنذ عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٢١ ، رأس أهارونيان وفد الجمهورية الأرمنية إلى الأستانة ثم إلى باريس . وبإسم حكومة الجمهورية الأرمنية ، وقَّع على معاهدة سيڤر التاريخية فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ . وظل يُتابع المفاوضات حتى معاهدة لوزان (يولية ١٩٢٣) التى اعترض عليها . استقر بعد ذلك فى مارسيليا . أُصيب فى فبراير ١٩٣٤ بشلل ، وظل عاجزاً حتى وافته المنية فى ٢٠ أبريل ١٩٤٨ .

❀ ❀ ❀

أڤيديس نازاربيجيان (١٨٦٦ ـ ١٩٣٦)

وُلد فى تفليس . تلقى دراساته فى سان بطرسبرج وباريس . كان ثورياً ماركسياً ومحللاً سياسياً وخطيباً وشاعراً . بداية ، عمل بالتنسيق مع پورتوكاليان ـ مؤسس حزب الأرميناجان ـ وكتب فى صحيفته «أرمينية» . اختلف معه حول مسار الثورة الأرمنية وأسس حزب الهنشاك بـ چنيڤ مع ستة طلبة آخرين فى أغسطس ١٨٨٧ صادقَ بليخانوف وڤيرا زاسوليش . أصدر صحيفة «هنشاك» . استقر فى لندن بين عامى ١٨٩٢ ـ ١٨٩٣ ، وبصفته منظم فرع الحزب هناك ، سافر بالتوالى إلى باريس

وأثينا وچنيڤ . عاد إلى لندن للاشتراك فى المؤتمر العام الأول لحزب الهنشاك المنعقد فى ١٨ سبتمبر ١٨٩٦ . اختلف مع بليخانوف ولينين ومارتوف حول القضية الأرمنية ، فقد أصر الروس على أن تبقى كل من أرمينية العثمانية والروسية منفصلتين .

ثمة محاولة فاشلة لاغتياله فى عام ١٩٠٣ على أيدى الهنشاكيين الجدد . وقع انشقاق بينه وبين صباح - كوليان ، وتصاعدت العلاقات مع الحركة الديمقراطية الاشتراكية ؛ وانحاز الحزب فى مؤتمره عام ١٩٠٥ المنعقد بباريس ضد نازاربيجيان ، الذى طالب عملياً بحل الحزب . وانبثق نفس الصراع فى المؤتمر الثامن للحزب المنعقد بأثينا عام ١٩٢٤ ؛ حيث اختير نائباً للرئيس ، ولكن آراءه قُوبلت بانتقادات . استقر فى موسكو عام ١٩٣٤ ومات بها عام ١٩٣٦ . وكانت زوجته مارو من مؤسسى حزب الهنشاك . عملت بشكل أساسى فى القوقاز ونُفيت إلى سيبيريا عام ١٩١٢ . انضمت إلى البلاشفة عام ١٩١٧ وماتت فى تفليس عام ١٩٤١ .

❀ ❀ ❀

إستيبان شاهوميان (١٨٧٨ - ١٩١٨)

وُلد فى تفليس عام ١٨٧٨ . انضم إلى الحركة الثورية منذ عام ١٨٩٨ . وأصبح فى عام ١٨٩٩ ماركسياً . وفى عام ١٩٠٠ صار ديمقراطياً اجتماعياً . طُرد فى نفس العام بسبب نشاطه الثورى . شكل مع هنشاكين وطاشناقيين يساريين اتحاد الديمقراطيين الاشتراكيين الأرمن فى عام ١٩٠٢ . كما اشترك سنتئذٍ فى تأسيس بروليتارية تفليس .

أصدر وحرر عدة صحف بلشفية وكتب فيها عن الفلسفة والأدب والفن بجانب السياسة والاقتصاد . نشط فى العمل الحزبى ، ولذا ، قُبض عليه ونُفى إلى أستراخان . انتُخب عضواً فى اللجنة المركزية للديمقراطيين الاشتراكيين أثناء غيابه . عاد إلى باكو فى ربيع عام ١٩١٤ . ونظم إضراب عمال النفط بها إبان شهرى مايو - يولية ١٩١٤ . قُبض عليه مرة أخرى فى عام ١٩١٦ ونُفى إلى ساراتوف .

أُطلق سراحه فى عام ١٩١٧ وانتُخب حاكماً لسوڤيت باكو فى ٦ مارس عامئذٍ . سافر إلى بتروجراد فى يونية ١٩١٧ للاشتراك فى مؤتمر السوڤيتات الروسية . عُين قائداً فوق العادة للشئون القوقازية فى ديسمبر ١٩١٧ . وخلال شهرى يناير - فبراير

١٩١٨ ، هاجم البرلمان القوقازى فى تفليس ، ولذا ، أمرت القوميسارية بالقبض عليه ، ولكنه نجح فى الهروب إلى باكو .

أقام علاقات حميمة مع الطاشناق منذ شهر مارس حتى شهر يولية ١٩١٨ . ولكن تدعمت قوته إبان أحداث «أيام مارس» مما يعنى إذعانه لحزب المساواة . تقلد منصب حاكم باكو فى ٢٥ أبريل ١٩١٨ بعد تأسيس الحكم السوفيتى بها . ورغم إدراكه بأن الثورة لم تنته بعد ، إلا أنه قد أحدث تحولاً شاملاً اقتصادياً واجتماعياً فى المدينة .

استسلم شاهوميان فى ٢٥ يولية ١٩١٨ للبريطانيين ، وغادر مع آخرين باكو علانية فى ١٤ أغسطس . واضطروا بسبب عاصفة المكوث فى جزيرة زهيل . ولكن قُبض عليهم فى اليوم التالى وأُعيدوا إلى باكو . أنقذهم ميكويان من الأتراك الغزاة وقادهم إلى كارسنوفودسك وسجنتهم اللجنة المعادية للبلاشفة المقيمة فى أشخاباد . تقرر قتلهم فى ١٨ سبتمبر ، وبالفعل ، أُعدموا جميعاً (٢٦ شخصاً) فى٢٠ سبتمبر ١٩١٨ .

❀ ❀ ❀

الكسندر خاديسيان (١٨٧٦ ـ ١٩٤٥)

كان والده نائباً بالمجالس المحلية بإقليم تفليس . تعلم فى مدرسة تفليس ، ثم على مدى ثلاث سنوات فى جامعة موسكو لدراسة الطب . كما دَرَسَ فى ألمانيا . بدأ نشاطاته السياسية عام ١٩٠٠ . أصبح عضو مجلس إدارة بلدية تفليس ١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ ، ثم مساعد عمدة تفليس ١٩٠٦ ـ ١٩١٠ ، وعمدة تفليس ١٩١٠ ـ ١٩١٧ رَأَسَ المجلس الوطنى الأرمنى بين عامى ١٩١٥ ـ ١٩١٧ وكان المنظم الرئيسى لحركة المتطوعين الأرمن .

انضم إلى حزب الطاشناق عام ١٩١٧ . وكان عضواً بوفد ما وراء القوقاز فى مفاوضات طرابيزون خلال مارس ١٩١٨ . وزير المالية فى وزارة ما وراء القوقاز . تفاوض ووقّع على اتفاقية باطوم فى ٤ مايو ١٩١٨ . وزير الخارجية من يونية حتى نوفمبر ١٩١٨ . وزير الداخلية بعد موت آرام مانوجيان . ناب عن رئيس الوزراء فى ربيع ١٩١٩ أثناء غياب كاتشازنونى . رئيس وزراء أرمينية من أغسطس ١٩١٩ حتى مايو ١٩٢٠ .

بعد تنازله عن الوزارة ، سافر إلى تفليس والأستانة وباريس ولندن وروما والبلقان مناشداً المساعدة لجمهورية أرمينية . كان المفاوض الرئيسى فى مؤتمر الكسندروبول من نوفمبر حتى ديسمبر ١٩٢٠ ، ووقّع على معاهدة الكسندروبول . أقام فى باريس بعد تبلشف أرمينية . ألف كتابين أولهما « بزوغ الجمهورية الأرمنية وتطورها » وثانيهما « مذكرات عمدة » . عمل أثناء الحرب العالمية الثانية فى منظمة اللاجئين الأرمن . اعتُقل بعد تحرير فرنسا ثم أُطلق سراحه بعد ذلك ، ولكن تدهورت حالته الصحية حتى مماته فى ١٠ مارس ١٩٤٥ .

❀ ❀ ❀

أرام مانوجيان (١٨٧٩ ـ ١٩١٩)

اسمه الحقيقى سيرجى هوڤهانيسيان . وُلد فى قرية زيڤا بـ جابان (زانجزور) . تلقى تعليمه فى شوشى ويريڤان . تزعم الطاشناق فى باكو ١٩٠١ لتنظيم العمال الأرمن . وفى عام ١٩٠٣ ذهب إلى إليزاڤيتبول لتنظيم عملية دفاع الأرمن عن أنفسهم . ارتحل إلى جارس ثم ڤان فى عام ١٩٠٤ . قام بالتدريس فى أوردو بعد إعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ .

عاد إلى ڤان أواخر عام ١٩١٢ . نظم فى عام ١٩١٥ مع أرميناج يجاريان عملية الدفاع عن ڤان . حاكم ڤاسبوراجان أثناء الاحتلال الروسى . غادرها إلى تفليس بعد الانسحاب الروسى . أرسله المجلس الوطنى إلى يريڤان عام ١٩١٨ . حاكم إقليم آراراد منذ مايو حتى يولية ١٩١٨ . نظم مع آخرين عملية الدفاع ضد الأتراك الغزاة . يُعد من الطاشناقيين المشاركين فى تأسيس جمهورية أرمينية . تقلد وزراتى الداخلية والمؤن فى حكومة كاتشازنونى . توفى متأثراً بالتيفوس فى ١٩ يناير ١٩١٩ .

❀ ❀ ❀

أرام يرجانيان (١٩٠٠ ـ ١٩٣٤)

وُلد فى جارين (أرضروم) . أمضى حياته المبكرة فى القوقاز . انضم إلى الحركة

التطوعية الأرمنية عام ١٩١٧ . وكانت شجاعته مشهوداً بها . كان ضمن فرقة درو فى معركة باش ـ أبران . وضع نفسه تحت تصرف حزب الطاشناق للعمليات الخاصة . فى عام ١٩٢١ ، اغتال فى چورچيا خان خويسكى الأذربيچانى عدو الأرمن . وفى ١٧ أبريل ١٩٢٢ ، اغتال فى برلين مع شيراكيان كلاً من بهاء الدين شاكر وجمال عزمى ، عضوا لجنة الاتحاديين المسئولة عن اقتراف الإبادة العرقية . أمضى يرجانيان فى رومانيا ردحاً من الزمن ، وفى عام ١٩٢٧ ذهب إلى بوينس آيرس . عانى من السل ، وانتقل إلى قرطبة (الأرچنتين) عام ١٩٣١ ومات هناك فى ٢ أغسطس ١٩٣٤ .

❀ ❀ ❀

أربيار أربياريان (١٨٥٢ ـ ١٩٠٨)

وُلد فى سامسون . تلقى تعليمه بمدرسة مراد رافائيليان بالبندقية . أصدر بالأستانة جريدتى « آريڤيلك » (الشرق) و «هايرينيك» (الوطن) . قام بدور رئيسى فى نشر الأفكار الليبرالية باللغة الأرمنية الشعبية (العامية) . حرر جريدة «ماسيس» وأسهم فى مجلة «مشاج» (الفلاح) . انضم إلى حزب الهنشاك . اعتُقل فى عام ١٨٩٠ بالأستانة بسبب نشاطاته الثورية . غادر الأستانة إلى لندن عام ١٨٩٦ وحرر بها مجلة «مارد» (المعركة) بين عامى ١٨٩٧ ـ ١٩٠١ . أصبح زعيم الهنشاكيين غير الاشتراكيين . غادر لندن إلى البندقية عام ١٩٠١ ، ثم إلى القاهرة فى عام ١٩٠٥ ، وحرر بها «شيراك» وأسهم فى جريدة «لوسابير» . قُتل فى عام ١٩٠٨ بشارع المناخ بالقاهرة .

❀ ❀ ❀

أرشاڤير شيراكيان (١٩٠٠ ـ ١٩٧٣)

وُلد بالأستانة ، نما وترعرع بين أحضان النخبة الطاشناقية المثقفة . فى الخامسة عشر من عمره أثناء الأحداث الهائلة بين عامى ١٩١٥ ـ ١٩١٦ ، كان مندوباً لحزب الطاشناق . بعد هدنة مودروس وانعقاد المؤتمر التاسع للحزب فى يريڤان عام ١٩١٩ ،

أبدى شيراكيان استعداده لملاحقة المسئولين عن الإبادة العرقية . قتل الخائن الأرمنى ڤاهى إحسان بالأستانة فى ٢٧ مارس ١٩٢٠ .

ذهب إلى يريڤان والتقى هناك بـ أرام يرجانيان ، ولكن قُبض عليهما فى تفليس . نجح شيراكيان فى الهروب وعاد إلى الأستانة حيث أُرسل فى مهمة إلى أوربا . إذ قتل الصدر الأعظم سعيد حليم باشا فى شوارع روما يوم ٥ ديسمبر ١٩٢١ ، وفى ١٧ أبريل ١٩٢٢ قتل فى برلين بالاشتراك مع يرجانيان اثنين من لجنة الاتحاديين هما بهاء الدين شاكر وجمال عزمى . أمضى شيراكيان بقية حياته فى الولايات المتحدة .

❀ ❀ ❀

أرمن كارو (١٨٧٣ ـ ١٩٢٤)

اسمه الحقيقى كاريكين باسدرمچيان . وُلد فى أرضروم . تعلم فى معهد ساناساريان بأرضروم ثم نانسى بفرنسا . انضم إلى حزب الطاشناق عام ١٨٩٥ . شارك فى عملية الهجوم على البنك العثمانى بالأستانة . عاد إلى أوربا ليتلقى تدريباً عالياً . عاد إلى ما وراء القوقاز ليقود بين عامى ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥ جناح تفليس لمحاربة المصادرات القيصرية والهجمات التترية .

عاد إلى أرضروم بعد إعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ ، وانتُخب فى البرلمان العثمانى (مجلس المبعوثان) . غادر الدولة العثمانية عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى وشارك فى تشكيل وحدات المتطوعين الأرمن الروس . أصبح سفيراً غير رسمى لجمهورية أرمينية فى واشنطن . عضو الوفد الاستشارى إلى مؤتمر صلح باريس خلال أبريل ١٩١٩ . شارك فى اغتيالات القادة الأتراك خلال عامى ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ .

❀ ❀ ❀

بابكين سيونى (١٨٧٩ ـ ١٨٩٦)

اسمه الحقيقى بدروس پاريان . وُلد فى آجن بأربكير . تلقى تعليمه فى الأستانة . أصبح عضواً فى حزب الطاشناق . طُرد من المدرسة لنشاطه السياسى . خطط ونظم

عملية احتلال البنك العثمانى بالأستانة فى أغسطس ١٨٩٦ . قُتل مبكراً عند بدء محاصرة البنك .

❀ ❀ ❀

بوغوص نوبار باشا (١٨٥١ ـ ١٩٣٠)

وُلد بالإسكندرية . ابن نوبار باشا رئيس نظار مصر ثلاث مرات . تمتد جذور عائلته إلى كاراباخ . تعلم فى مصر وفرنسا . عمل مهندساً فى المنافع العمومية بمصر . أحد مؤسسى مدينة هليوبوليس (مصر الجديدة) . أسس فى عام ١٩٠٦ مع آخرين الاتحاد الخيرى الأرمنى العام الذى ظل رئيساً له حتى عام ١٩٣٠ . كلفه الجاثليق كيڤورك الخامس عام ١٩١٢ لرئاسة الوفد الأرمنى إلى باريس لتنسيق الجهود الموالية للأرمن والدعاية للقضية الأرمنية .

ذهب إلى لندن فى سبتمبر ١٩١٦ لترتيب اتفاقية سايكس ـ بيكو . ساعد إلى حد كبير عام ١٩١٨ على تكوين فيلق الشرق الأرمنى . أصبح فى عام ١٩١٩ رئيساً للوفد القومى الأرمنى فى مؤتمر الصلح بباريس بالأصالة عن الأرمن الغربيين ، ورغم الاحتكاك مع وفد الجمهورية الأرمنية ، إلا أن كليهما قد نسقا العمل معاً . اعتزل الحياة السياسية بعد عام ١٩٢٣ وظل مقيماً فى باريس حتى وفاته عام ١٩٣٠ .

❀ ❀ ❀

خاتشادور مالوميان (١٨٦٣ ـ ١٩١٥)

وُلد فى ميغرى . درس فى معهد نرسيسيان بتفليس . صار عضواً فى الهيئة التحريرية لصحيفة «مشاج» منذ عام ١٨٨٣ . نَابَ عن كريكور أردزرونى فى المداولات الأولية لتأسيس اتحاد الثوريين الأرمن . سافر إلى چنيڤ لمواصلة دراساته . بدأ يُصاحف «تروشاج» منذ عام ١٨٩٩ ، واستخدم لقب إى . أكنونى للتوقيع على سلسلة مقالاته المعنونة بـ « أخبار قوقازية » . بعد ذلك ، انضم إلى الهيئة التحريرية وصار عضواً بالمكتب الغربى للطاشناق منذ عام ١٩٠١ .

منذ عام ١٩٠٧ ، حضر جميع المؤتمرات . وكان أحد المنظمين الرئيسيين لمؤتمر باريس لمعارضة سلطة الدولة العثمانية (١٩٠٧) . وبوصفه محللاً سياسياً نشيطاً ومتحدثاً بليغاً ، ألف عدداً من الأعمال مثل «جراح القوقاز » و « نحو الكفاح» . عاش فى الأستانة منذ عام ١٩٠٨ . وفى عام ١٩١٥ ، كان ضمن المجموعة الأولى من المثقفين الأرمن الذين راحوا ضحية الإبادة العرقية .

❀ ❀ ❀

روسدوم زوريان (١٨٦٧ ـ ١٩١٩)

وُلد فى تسغنا . تعلم فى مدرسة محلية بتفليس . أكمل دراسته العليا بأكاديمية بيتروڤسك الزراعية فى موسكو عام ١٨٨٩ ولكنه طُرد منها بعد عام لاشتراكه فى مظاهرة . أسس مع ميكائيليان وزاڤاريان حزب الطاشناق عام ١٨٩٠ . قام بالتدريس فى تبريز بين عامى ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ . وَضَعَ البرنامج السياسى لحزب الطاشناق مع المؤسسين الآخرين فى عام ١٨٩٢ . عمل فى چنيڤ بصحيفة «تروشاج» بين عامى ١٨٩٣ ـ ١٨٩٥ .

ذهب إلى أرضروم عام ١٨٩٥ حيث اعتُقل هناك ونُفى إلى إيران . ذهب إلى تفليس ومنها إلى البلقان للعمل مع الثوار المقدونيين . عاد إلى ما وراء القوقاز عام ١٩٠٢ ، نشط ضد المصادرات الروسية وفى الصراع الأرمنى ـ التترى عام ١٩٠٥ . أقنع حزب الطاشناق أثناء انعقاد مؤتمره الرابع بڤيينا عام ١٩٠٧ بالموافقة على اشتراكه فى الحركة الدستورية الإيرانية . ذهب إلى شتوتجارت وبلغاريا قبل عودته إلى القوقاز ثم إيران للمشاركة بفاعلية فى معركة الدستور الإيرانى .

سافر إلى ڤارنا للاشتراك فى المؤتمر الخامس لحزب الطاشناق . أقام فى الأستانة وأرضروم حتى عام ١٩١٤ . كان أحد الزعماء الطاشناقيين الذين ناقشوا فى المؤتمر الثامن لحزب الطاشناق مع زعماء الاتحاديين السياسة المتوقعة عند دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى . ذهب إلى ما وراء القوقاز عند اندلاع الحرب وأسهم

فى تنظيم قوات المتطوعين وإعانة اللاجئين . حذر من خطر الثورة فى وقت الحرب عندما عُزل القيصر . كان أحد تسعة من النواب الطاشناقيين الذين اختُيروا فى المجلس النيابى الروسى . ذهب إلى ستكهولم يستعرض القضية الأرمنية على الدولية الاشتراكية . عاد إلى باكو عام ١٩١٨ ، حارب ضد الهجوم التركى . ذهب إلى إيران ومنها إلى تفليس حيث مات بها .

❀ ❀ ❀

صوغومون تهلريان (١٨٩٦ ـ ١٩٦٠)

وُلد فى قرية باكاريج بـ كيمه . تلقى تعليمه فى مدارس يرزنجا (إرزنجان) ثم أكمله فى المدرسة الأرمنية المركزية بالأستانة . ذهب إلى صربيا عام ١٩١٣ هرباً من الأتراك . وفى العام التالى ، ذهب إلى القوقاز وشارك فى الحركة التطوعية بفرقة سيبوه . إن الإبادة العرقية وتدمير أرمينية الغربية والمذابح التى راح ضحيتها جميع أفراد أسرته ، صدمته بعمق وغرست فيه روح الثأر .

ولذا ، غادر الدولة العثمانية وتطوع فى عمليات منظمة نيميسيس *Nemesis* التى أسسها حزب الطاشناق . قتل الخائن الأرمنى مخيتار هاروتيون مجرديتشيان . سافر إلى برلين حيث قتل فى ١٥ مارس ١٩٢١ طلعت باشا المنفذ الرئيسى لإبادة الشعب الأرمنى . قُبض عليه ثم أُفرج عنه فى ٣ يونية عندما دافع عنه دكتور چوهانيس ليبسيوس الألمانى المشهور بتعاطفه مع الأرمن . استقر فى بلجراد ثم غادرها عشية الحرب العالمية الثانية إلى سان فرانسيسكو ومكث بها بقية حياته .

❀ ❀ ❀

كبرييل نورادونجيان (١٨٥٢ ـ ١٩٣٦)

وُلد بالأستانة فى أسرة تعود أصولها إلى آجن . بعد إتمام دراساته المحلية ، درس القانون الدولى فى أوربا . عاد إلى الأستانة وشارك بفعالية فى المجلس الأهلى الأرمنى كما عمل مستشاراً قانونياً لدى الباب العالى . أصبح وزيراً للأشغال العمومية بعد

الثورة الدستورية عام ١٩٠٨ ووزيراً للخارجية العثمانية فى عام ١٩١٢ إبان وزارة أحمد مختار الغازى التى اضطرت إلى الاستقالة عند اندلاع الحرب البلقانية . كان عضواً فى الوفد القومى الأرمنى بباريس خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها . ذهب إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٢١ فى لجنة تحقيق والتقى بالرئيس هاردنج . عاد إلى أوربا لمتابعة أعمال الوفد القومى الأرمنى محاولاً مع أفيديس أهارونيان ، دونما نجاح ، التأثير على معاهدة لوزان . نائب رئيس ، ثم رئيس شرفى ، للاتحاد الخيرى الأرمنى العام . استقر فى باريس حتى وفاته .

❀ ❀ ❀

كيفورك الخامس (١٨٤٦ ـ ١٩٣٠)

وُلد فى تفليس . تلقى دراساته فى إيتشميادزين . بزغ فى الهيكل الكنسى حتى انتُخب جاثليقاً فى عام ١٩١١ . أسس فى عام ١٩١٢ الوفد القومى الأرمنى بباريس . أعاد تنظيم الهياكل الكنسية فى مايو ١٩٢٦ .

❀ ❀ ❀

مادتيوس أزميرليان (١٨٤٨ ـ ١٩١١)

وُلد بالأستانة . ترسّم كاهناً فى عام ١٨٦٩ . مطران أرمن مصر بين عامى ١٨٨٦ ـ ١٨٩٠ . عاد إلى الأستانة عام ١٨٩٠ وانتُخب بطريركاً للأرمن فى الأستانة واشتهر فى عام ١٨٩٤ بلقب البطريرك الحديدى . تعاون مع الحركة الثورية الأرمنية . نفته السلطات العثمانية عام ١٨٩٦ إلى القدس . عاد إلى الأستانة عقب إعلان الدستور عام ١٩٠٨ . أُعيد انتخابه بطريركاً بين عامى ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ . انتُخب أيضاً فى عام ١٩٠٨ جاثليقاً لكل الأرمن بإيتشميادزين (وصار يُسمى مادتيوس الثانى) حيث تقلد منصبه منذ عام ١٩٠٩ حتى وفاته .

❀ ❀ ❀

ماغاكيا أورمانيان (١٨٤١ ـ ١٩١٨)

وُلد بالأستانة فى عائلة أرمنية كاثوليكية . أُرسل إلى روما عام ١٨٥١ وترسّم قسيساً عام ١٨٦٣ . وبعد أن اشتغل فترة بالتدريس فى الأستانة ، ذهب إلى روما مرة أخرى فى عام ١٨٨٦ للحصول على درجة علمية . وانتُخب عضواً فى الأكاديمية اللاهوتية بروما . شارك فى مجلس الڤاتيكان عام ١٨٧٠ . تقابل مع غاريبالدى عام ١٨٧٥ . تحول إلى الكنيسة الأرمنية الرسولية عام ١٨٧٩ مع «٧٥» آخرين بمراسم احتفالية أجراها البطريرك نرسيس ڤارچابيديان .

تعين مطراناً لأرضروم عام ١٨٨٠ ونجح فى تقليص التوترات السياسية المحلية بعد إنتفاضة أرضروم عام ١٨٨٢ ، ترقى أسقفاً عام ١٨٨٦ بإيتشميادزين وأصبح أستاذاً للاهوت عام ١٨٨٧ . اضطر إلى الرحيل بضغط حكومى عام ١٨٨٨ عائداً إلى الأستانة .

رأس الحلقة البحثية فى أرماش (قرب إزمت) منذ عام ١٨٩٠ ، وأصبحت تحت إدارته مؤسسة أكاديمية مهمة . انتُخب بطريركاً للأرمن فى الأستانة عقب استقالة البطريرك مادتيوس أزميرليان عام ١٨٩٦ الذى لم يحظ بأية شعبية بين الأرمن الثوريين والراديكاليين الذين رأوا فيه «عين السلطان» . أقنع السلطان أن يُطلق سراح كثير من السجناء الأرمن .

قدم استقالته إلى القصر السلطانى عام ١٨٩٩ ولكن السلطان لم يقبلها . اضطر إلى الاستقالة بعد ستة أيام من الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ . عندما شجبه المجلس الأرمنى فى نوفمبر شعر بالإهانة والإذلال . فى عام ١٩١٢ ، أعلن أنه برئ من الاتهامات . ذهب إلى القدس عام ١٩١٤ فى مهمة كنسية . رحل إلى دمشق عام ١٩١٧ ، ثم إلى الأستانة فى مايو ١٩١٨ ؛ ومات بها فى نوفمبر ١٩١٨ . أشهر مؤلفاته كتابى «آزكابادوم» (تاريخ الأمة) و « الكنيسة الأرمنية » .

❀ ❀ ❀

مجرديتش پورتوكاليان (١٨٤٨ ـ ١٩٢١)

وُلد فى كوم كابو بالأستانة . تعلم فى العاصمة العثمانية . كان واعياً منذ فترة

مبكرة من عمره بالصراع بين التقدميين والرجعيين فى الجالية الأرمنية . أصبح مدرساً فى توكاد عام ١٨٦٧ . اعتقلته السلطات العثمانية فى عام ١٨٦٩ لتحريضه الأرمن المحافظين على اتباع نشاطاته التعليمية المتقدمة . أُطلق سراحه وعاد إلى الأستانة .

حرر صحيفة «آسيا» واضطر لإغلاقها تحت ضغط المعارضة . اشترك فى تحرير صحيفة «منظوميى» اللغوية التركية ، وفى تحرير «ميغو هايستانى» (النحلة الأرمنية) بتفليس . شارك فى تأسيس جمعية آراراديان عام ١٨٧٦ لمحاولة تأسيس تعليم أرمنى أفضل فى الولايات . وأصبح ناظراً فى ڤان (فى نفس السنة) حيث ارتحل زائراً فى قرى الإقليم كله .

سافر إلى تفليس عام ١٨٧٧ للتشاور مع كريكور أردزرونى . عاد إلى ڤان عن طريق الأستانة عام ١٨٧٨ . أسس مدرسة مفتوحة أمام الجميع واضطر إلى إغلاقها بسبب التحزب . ذهب إلى الأستانة مرة أخرى عام ١٨٨١ ، قبل تأسيس مدرسة أخرى فى ڤان تُسمى «جيتروناجان ڤارچاران» . نفته الحكومة العثمانية فى مارس ١٨٨٥ وأغلقت المدرسة فى يونية . فى منفاه بمرسيليا ، ومن خلال صحيفته «أرمينية» ، كان بمثابة الروح الموجهة لحزب الأرميناجان ؛ أول حزب سياسى أرمنى . تلاشت خططه لتكوين جبهة أرمنية موحدة بموجب ظهور الأحزاب الثورية .

❀ ❀ ❀

مجرديتش خريميان (١٨٢٠ ـ ١٩٠٧)

وُلد فى ڤان . تبناه عمه الذى علمه الحياكة . سافر إلى إيتشميادزين عام ١٨٤١ . تزوج عام ١٨٤٥ . سافر إلى القدس والأستانة وقيليقية . ترسّم كاهناً عام ١٨٥٤ بعد وفاة زوجته وابنته ، بدأ إصدار « نسر ڤاسبوراجان » عام ١٨٥٥ . انتقل إلى دير ڤاراك باعتباره رئيساً لهذا الدير ويظل يُصدر صحيفته من هناك ، وعندما أصبح رئيساً لدير القديس جرابيد فى موش ، أصدر صحيفة أخرى فى عام ١٨٦٢ تُسمى «نسر دارون» .

ترقى أسقفاً فى عام ١٨٦٨ ، ثم البطريرك الأرمنى فى الأستانة بين عامى ١٨٦٩ ـ ١٨٧٣ . اضطر أن يستقيل بضغط من الحكومة العثمانية . وبناءً على اقتراح البطريرك نرسيس ڤارچابيديان ، سافر إلى برلين مع رئيس الأساقفة خورين ناربى وميناس

شيراز وإستيبان پاپازيان فى يونية ١٨٧٨ لعرض القضية الأرمنية على المؤتمرين ؛ ولكن سُمح لهم فقط بتقديم مذكرة مكتوبة تحوى مطالبهم .

بعد المؤتمر ، سافر إلى باريس ولندن . عاد إلى الأستانة وألقى خطبة شهيرة فى كاتدرائية إسكودار قارن فيها بين « المغارف الحديدية » للشعوب البلقانية و « المغارف الورقية » للأرمن . نفته السلطات العثمانية إلى القدس عام ١٨٨٩ . انتُخب جاثليقاً لكل الأرمن فى ١٧ مايو ١٨٩٢ . منعته السلطات العثمانية من السفر إلى إيتشميادزين عبر حدودها . ولذا ، اضطر أن يُسافر عبر طريق حيفا ، الإسكندرية ، تريست ، ڤيينا ، ڤولوشينسك ، أوديسا ، سيڤاستوبول ، باطوم ، تفليس . نقى العلاقات بين بطريرك الأستانة والجاثليقية فى عام ١٩٠٧ مؤكداً على أصلية وعالمية ورسولية كرسى إيتشميادزين .

❀ ❀ ❀

مهران داماديان (١٨٦٣ ـ ١٩٤٥)

وُلد بالأستانة فى أسرة أرمنية كاثوليكية . وبعد أن أنهى تعليمه فى مدرسة مراد رافائيليان بالبندقية عام ١٨٨٠ ، عمل مدرساً ، ثم مديراً لمدرسة ابتدائية فى موش بين عامى ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨ . بدأ حياته السياسية الثورية بالانضمام إلى حزب الهنشاك واشترك بفعالية فى الأحداث الدامية التى وقعت فى كوم كابو خلال يولية ١٨٩٠ . ولهذا ، اعتقلته السلطات العثمانية فى عام ١٨٩٣ ولكنه تمكن من الهرب إلى بلغاريا ثم إلى رومانيا . وفى سبتمبر ١٨٩٦ ذهب إلى لندن لحضور أول مؤتمر لحزب الهنشاك . ولكنه انشق على الحزب مع أربيار آربياريان وأسسوا حزباً جديداً فى مصر أسموه «الهنشاك المعاد تكوينه » .

وفى عام ١٩٠٨ أسس حزب «رامجاڤار ساهماناتراجان » (الديمقراطى الدستورى) باتحاد أعضاء حزب الأرميناجان وبعض الهنشاك المعاد تكوينه . تنقل خلال الحرب العالمية الأولى بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا خاصة باريس . وبعد الحرب ، اشترك فى الوفد القومى الأرمنى برئاسة بوغوص نوبار باشا نائباً عن آضنه بين عامى ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ .

أصبح رئيس حزب الرامجاڤار الليبرالى «رامجاڤار آزادجان» منذ تأسيسه عام

١٩٢١ بالأستانة . وفى بيروت بين عامى ١٩٢٩ ـ ١٩٣٧ كان عضواً بلجنة الاتحاد الخيرى الأرمنى العام وأحد مؤسسى جريدة «زارتونك» (النهضة) فى عام ١٩٣٧ . عاد إلى القاهرة ومات بها عام ١٩٤٥ بعد أن تحول إلى الكنيسة الأرمنية الرسولية .

❀ ❀ ❀

نرسيس ڤارچابيديان (١٨٣٧ ـ ١٨٨٤)

وُلد بالأستانة . ترك الدراسة فى سن الخامسة عشر عندما توفى والده . تعلم فى مدرسة أهلية عام ١٨٥٣ ثم فى مدرسة بأدرنة عام ١٨٥٥ . ترّسم قسيساً عام ١٨٥٨ ثم ڤارتابيد (راهب أعزب) بعد وقت وجيز ، أسهم فى صياغة « نظامنامة الملة الأرمنية » عام ١٨٦٣ . رّسمه جاثليق ڤيليقية أسقفاً فى عام ١٨٦٢ . فى السابعة والثلاثين من عمره ، انتُخب فى ٣ نوفمبر ١٨٧٣ بطريركاً بالأستانة . أصدر تعليماته للأرمن العثمانيين أن يمدوا أياد العون للمجهود الحربى العثمانى أثناء اندلاع الحرب الروسية ـ العثمانية عام ١٨٧٧ ، ولكن عندما سمع عن الفظاعات التى ارُتكبت ضد القرويين الأرمن ، سافر إلى سان إستيفانو ليُطالب بالأمن للأرمن . أرسل وفداً أرمنياً إلى برلين ، ولكنه عاد منكساً . نشط فى تأسيس المدارس .

طلب الاستقالة المسببة بمرضه ، لكنها رُفضت . انتُخب جاثليقاً لكل الأرمن فى مايو ١٨٨٤ ؛ ولكن صحته ازدادت تدهوراً . استقال من منصبه البطريركى قبل ١١ يوماً من وفاته بالأستانة فى ٢٦ أكتوبر ١٨٨٤ متأثراً بمرض السكر .

❀ ❀ ❀

هوڤهانيس كاتشازنونى (١٨٦٨ ـ ١٩٣٨)

أصل عائلته من أرضروم . تلقى دراساته فى الجامعات الروسية والألمانية . دَرَسَ العمارة وهندسة المعادن . أقام فى باكو وانضم إلى حزب الطاشناق . ألف كتاباً عن شعراء أرمينية الشرقية (١٩٠٢) . زار أرضروم بعد إعلان الدستور العثمانى (١٩٠٨) . انتقد تشكيل وحدات تطوعية (١٩١٤) . بعد عام ١٩١٧ ، كان عضواً فى

المجلس الوطنى الأرمنى ، وفى نوفمبر كان أحد تسعة طاشناقيين مختارين لتمثيل الحزب فى المجلس الدستورى الجديد (بتروجراد) .

كان المتحدث الرسمى عن حزب الطاشناق فى البرلمان القوقازى (سايم) من فبراير حتى مايو ١٩١٨ . عضو الوفد القوقازى فى مؤتمر طرابيزون (مارس ١٩١٨) . بعد استقلال أرمينية ، كان عضواً فى الوفد الذى وقّع معاهدة باطوم (٤ يونية ١٩١٨) . رأس أول وزارة فى أرمينية ووصل إلى يريفان فى ١٩ يولية . انتقده الطاشناقيون بسبب سياساته الاسترضائية .

سافر إلى أوربا وأمريكا منذ أبريل حتى مايو ١٩١٩ (مع وزير من الحزب الشعبى) للحصول على إعانات ومساعدات . تنازل عن رئاسة الوزارة إلى خاديسيان فى أغسطس ١٩١٩ . قبل رئاسة الوزارة مرة ثانية فى نوفمبر ١٩٢٠ ؛ ولكنه لم يستطع تشكيل حكومة . اعتُقل بعد بلشفة أرمينية ، ثم أُطلق سراحه فى ثورة فبراير .

غادر أرمينية إلى أوربا فى عام ١٩٢١ . نشر بياناً عاماً فى اجتماع الطاشناق بـ بوخارست فى مارس ١٩٢٣ تحت عنوان «لم يعد أمام الطاشناق إبداع أكثر مما كان» ، أوضح فيه ضرورة أن يُنهى الطاشناق وجوده كحزب وعلى جميع الأرمن أن يمدوا أياد العون لأرمينية السوفيتية . عاد إلى أرمينية السوفيتية وظل بها حتى مقتله أثناء تطهيرات ستالين - بيريا .



المصادر

- **Dasnabedian** : op.cit.,pp . 185 - 215 .

- **Walker** : op . cit., pp . 379 - 428 .

- **المشانق العربية والمجازر الأرمنية** : مصدر سابق .

❀ ❀ ❀

مصادر الدراسة

أولاً : وثائق منشورة

- **The Armenian Genocide :** Documentation, Germany, 1981, Vol. 1.
- **"The 'Armenian papers' of the Conference of San Remo"**, The Armenian Review, Vol. 33, Los Angeles, 1980.
- **"The Frontier Between Armenia and Turkey",** As Decided by President Woodrow Wilson, November 22, 1920, London, 1920.
- **"Treaty of Peace with Turkey"**, Signed at Sèvres, August 10, 1920, London, 1920.

❀ ❀ ❀

ثانياً : مذكرات وذكريات

(أ) بالعربية

– **مذكرات السلطان عبدالحميد** : إعداد محمد حرب (دكتور)، كتاب الهلال، عدد ٤١٨، دار الهلال، القاهرة، أكتوبر ١٩٨٥.

(ب) بالإنجليزية

- **Morgenthau, Henry :** Ambassador Morgenthau's Story, New York, 1918.

❀ ❀ ❀

ثالثاً : مؤلفات وكتب مختلفة

(أ) بالعربية

– **عبد العزيز الشناوى (دكتور)** : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثانى.

– **فايز نجيب إسكندر (دكتور)** : الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ – ٦٣٢-٦٦١م)، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٨٣.

– **فؤاد حسن حافظ (مستشار)** : تاريخ الشعب الأرمنى منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، ١٩٨٦.

– **قيس جواد العزاوى (دكتور)** : الدولة العثمانية – قراءة جديدة لعوامل الانحطاط،

دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.

– **كرسام أهارونيان** : القضية الأرمنية أمام الرأى العام العربى ، بيروت ، ١٩٦٥.

– **ك. ل. أستارچيان (دكتور)** : تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة ،الموصل، ١٩٥١.

– **مروان المدور** : الأرمن عبر التاريخ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٢ .

– **نعيم اليافى وخليل الموسى** : نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثمانى ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ١٩٩٥ .

❀❀❀

(ب) معربة

- **أرنست أ . رامزور** : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة : صالح أحمد العلى ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ .

- **أواديس پاپازيان** : المشانق العربية والمجازر الأرمنية من خلال محاكمات زعماء حزب الاتحاد والترقى أمام المحاكم العسكرية التركية الاستثنائية بين عامى ١٩١٩ – ١٩٢٠ ، ترجمة : الكسندر كشيشيان (دكتور) ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٢ .

– **پول دومو وفرانسوا چورچو** : « موت الإمبراطورية » (١٩٠٨ - ١٩٢٣) ، منشوراً فى كتاب تاريخ الدولة العثمانية ، إشراف : روبير مانتران ، ترجمة : بشير السباعى ، جزءان ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، الجزء الثانى .

- **تانير أكچام** : الهوية القومية التركية والقضية الأرمنية ، ترجمة : الكسندر كشيشيان، منشورات الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية ، حلب ، ١٩٩٨ .

– **توماس . أ . بريسون** : العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من ١٧٨٤ إلى ١٩٧٥ ، ترجمة : دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٥ .

- **فرانسوا چورچو** : «النزع الأخير » (١٨٧٨ - ١٩٠٨) ، فى كتاب تاريخ الدولة العثمانية ، إشراف : روبير مانتران ، ترجمة : بشير السباعى، جزءان، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣، الجزء الثانى.

– **مولان زاده رفعت** : الوجه الخفى للانقلاب التركى، تعريب : توفيق برو، مطبعة الوقت، حلب، ١٩٩٢.

– **هاملتون جب وهارولد بووين** : المجتمع الإسلامي والغرب ، جزءان ، ترجمة : أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) ، سلسلة تاريخ المصريين ، رقم ٣٦ ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٩٠ .

– **هايكازن غازاريان** : وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام ١٩١٥، ترجمة : نزار

خليلي، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية، رقم ٤، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٥.

❀ ❀ ❀

(جـ) بالإنجليزية

- **Atamian, Sarkis :** The Armenian Community, New York, 1955.

- **Bournoutian, George. A. :** A History of the Armenian People, 2 Vols, California, 1994, Vol.2.

- **Burtt, Joseph:** The People of Ararat, London, 1926.

- **Dasnabedian, Hratch :** History of the Armenian Revolutionary Federation Dashnaktsutiun 1890 - 1924, Milan, 1990.

- **Dekmejian, Hrair :** " Determinants of Genocide : Armenians and Jews as Case Studies" , the Armenian Genocide in perspective, Edited by Richard Hovannisian , Second printing, Oxford, 1987.

- **Hovannisian , Richard :** " The Armenian Question 1878-1923", in A Crime of Silence, The Armenian Genocide, The permanent Peoples' Tribunal, London, 1985.

- **Housepian, Dobkin :** " What Genocide ?", "What Hollocaust ?", The Armenian Genocide in perspective, Edited by Richard G. Hovannisian, Second Printing, Oxford, 1987.

- **Kuper, Leo :** "The Turkish Genocide of Armenians, 1915-1917", The Armenian Genocide in perspective, Edited by Richard Hovannisian, Second printing, Oxford, 1987.

- **Lang, David Marshall :** Armenia, Cradle of Civilisation, London, 1980.

- **Shaw, Stanford J & Shaw, Ezel Kural :** History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, 2 Vols, London, 1978, Vol.2.

- **Sonyel, Salahi Ramsdam :** The Ottoman Armenians, London, 1987.

- **Ternon, Yves :** " A Report on the Genocide of the Armenians of the Ottoman Empire 1915-1916", *A* Crime of Silence, the Armenian Genocide, London, 1985.

- **Toriguian, Shavarsh:** The Armenian Question and International

Law, Beirut, 1973.

- **Walker, Christopher J. :** Armenia , The Survival of a Nation, London, 1980.

- **Yeghiayan, Puzant :** Heroes of Hayastan, Cairo, 1993.

❀ ❀ ❀

رابعاً : مقالات وبحوث

* ***Armenia, U.S.A***

- **Alaux, Louis :** "The Armenian Schools in the Ottoman Empire", Vol. 1, No. 5, 1905.

* ***The Armenian Review, Los Angeles***

- **Artinian, Vartan :** "The Formation of Catholic and Protestant ***Millet*** in the Ottoman Empire", Vol. 28, No. 109, 1975.

- --------------- : " The Role of the ***Amiras*** in the Ottoman Empre", Vol. 34, No. 134, 1981.

- **Caprielian, Ara :** " The Role of the Armenians in the Ottoman Empire", Vol. 21, No. 83, 1968.

- **Etmekjian, James :** "The *Tanzimat* Reforms and thier Effect on the Armenians in Turkey", Vol. 25, No. 97, 1972.

- **Papazian , Vahan :** "Armenian Delegations to the Paris Peace Çonference", Vol. 13, No. 50, 1950.

- ------------- : "The Armenian National Congress in Paris (1919 February 24-April 22", Vol. 12, No. 48, 1960.

❀ ❀ ❀

خامساً : موسوعات

- **Encyclopedia International,** Vol. 2, Lexicon publications, 1981.

- **Encyclopaedia of Islam,** London, 1960, Vol. 1.

- **The New Encyclopaedia Britannica,** 30 Vols., London, 1979, Vol. 1.

❀ ❀ ❀


منتدى سور الأزبكية